كتاب

شعراء النصرانيّة

بعد الاسلام

القسم الثالث

شعراء الدولة العبّاسيّة



تأليف

الاب لويس شيخو اليسوعي

(ظهر تباعاً في مجلة المشرق)

طُبع

في مطبعة الآباء اليسوعيّين

بيروت

سنة ١٩٢٦

القسم الثالث

مقدمة

قد تعدَّد الكتبة النصارى في زمن بني عبّاس (١٣٢–٦٥٦هـ = ٧٥٠–١٢٥٨م اعني في الخمسة الاجيال التي ثبتت الخلافة في عهدتهم في بغداد عاصمة العراق. على ان معظم اولئك الكتبة خدموا الدولة في ما كانت اليهِ الآداب العربيَّة امسّ حاجةً فانقطعوا الى العلوم الفلسفيَّة والطبيَّة وتهافتوا على درس الآثار القديمة فنقلوا معظم تآليف اليونان وكثيرًا من تآليف الرومان والسريان الى العربيَّة فوسَّعوا بذلك نطاق معارف العرب ومهَّدوا لهم الطريق الى تلك النهضة الادبيَّة التي امتازوا بها في القرون الوسطى

على ان النصارى لم يهملوا مع ذلك درس اللغة العربيَّة وفنونها اللسانيَّة من نثر وشعر لولا ان كوارث الدهر قد اضاعت كثيرًا منها. وها نحن في هذا الجزء ندوّن ما وجدناهُ من ذلك متفرّقًا في كتب الادباء وخزائن المخطوطات الدوليَّة

١ ابو قابوس الشاعر النصراني

﴿اصلهُ وجنسهُ﴾ لا نعلم عن اصل ابي قابوس وجنسهِ الّا النزر القليل الذي لا يروي غليلًا. وجدنا في احد مخطوطات مكتبة باريس العموميَّة (Ms de Paris, 2107, ff. 41) الذي عنوانهُ احسن المسالك لاخبار البرامك ليوسف بن محمَّد البلوي انَّ ابا قابوس كان اسمهُ عمرو بن سليمان وابو قابوس كُنية. والقابوس في اللغة الرجل الجميل الوجه الحسن اللون. وبهِ تكنَّى ابو قابوس النعمان بن المنذر ملك الحيرة. وجاء في مخطوط آخر وهو كتاب الكواكب السنيَّة في شرح القصيدة المُقريَّة للادهمي

(Ms de Paris 1534, pp. 100) انَّهُ كان حيريًّا. وقد تصفَّح هذا النسب في تحفة المجالس للسيوطي (ص ١٧٥) فسمَّاهُ ابا قابوس الحميري وكان ينتمي الى بني شيبان

﴿زمانهُ ودينهُ﴾ عاش ابو قابوس في عهد هارون الرشيد في اواخر القرن الثامن للميلاد ولم يُروَ لمولده وموتهِ تاريخ. امَّا دينهُ فالنصرانيَّة لا شك فيهِ كما صرَّح كثيرون بالامر منهم ابن الرشيق في العمدة (ص ٣٣) قال: «كان ابو قابوس الشاعر رجلًا نصرانيًّا من اهل الحيرة» وكذا قال الشريشيّ في شرح مقامات الحريري (١: ٦٤) وابو بكر احمد البغدادي في تاريخ بغداد في مكتبة باريس (Ms, de Paris, 2128, ff. 80) وغيرهم

﴿اخبارهُ﴾ كان ابو قابوس شاعرًا منقطعاً الى البرامكة كالرقاشي الشاعر واشجع السُّلمي وجحظة البرمكي. وتقرَّب بهم الى الخليفة هارون الرشيد. ومن اخباره ما رواهُ صاحب تاريخ بغداد ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (ص ٨٣ من نسخة باريس) قال: «قال ابو قابوس النصرانيّ: دخلتُ على جعفر بن يحيى في يوم بارد فاصابني البرد فقال: يا غُلام اطرح عليهِ كساء من أكسية النصارى. فطرح عليَّ كساء من خزّ قيمتهُ الف دينار. (قال) فانصرفتُ الى منزلي فاردتُ ان اكتسيَهُ في يوم عيدٍ فلم أُصِبْ لهُ في منزلي ثوباً يشاكلهُ فقالت لي بُنَيَّة لي: اكتب الى الذي وهبَهُ لك حتى يرسل اليك بما يشاكلهُ من الثياب فكتبتُ اليهِ (من الطويل):

ابا الفَضْل لو أَبصرتَنا يومَ عيدنا ... رأيتَ مُباهاةً لنا في الكنائسِ

كان ذاك المِطْرَفُ الخزُّ جُبَّةً ... لَباهيتُ اصحابي بها في المجالِسِ

جُبَّةٌ من جبابِكم ... ومن طيلسانٍ من خيار الطَّيالسِ

وهيٍّ وثوبِ غِلالةٍ ... ولا بأس إنْ أَتبعتَ ذاك بخامسِ

اب في العيد خمسةٌ ... كفتْكَ فلم تحتجْ الى لُبْس سادسِ

افرطتُ فيما سألتُهُ ... وما كنتُ لو افرطتُ منهُ بآيسِ

لانَّ الشعرَ يَزْدادُ حمدُهُ ... اذا ما البِلى أَبلى جديد الملابسِ

قال فبعثَ اليهِ جعفر حين قرأ شعرَهُ بتخوتٍ خمسة من كل نوع تختاً»

وجاء في اخبار البرامك للبلوي وفي شرح مقامات الحريري للشريشي (١ : ٦٤) انَّ يحيي بن خالد كان اذا وعد انجز وينقدُ سريعاً ما وعد . ومن اقوالهِ : من لم يَبِتْ مسروراً بوعدٍ لم يجد للصنيعة مطعماً . فدخل عليهِ ابو قابوس النصراني فانشدهُ (من البسيط) :

رأيتُ يحيي أَتمَّ اللهُ نعمتَهُ عليهِ يأتي الذي لم يأتِهِ أَحدُ
يَنْسى الذي كان من معروفهِ ابداً الى الرجالِ ولا يَنْسى الذي يَعِدُ

فاجازه يحيي بجائزةٍ سنيَّة وقضى حوائجهُ

﴿ديوانهُ وشعرهُ﴾ لم نجد في مخطوطات المكاتب ولا في كشف الظنون للحاج خليفة ذكراً لديوان صنَّفهُ ابو قابوس الحيري . وانَّما جاء في فهرست ابن النديم (ص ١٦٣) في باب اخبار العلماء وما صنَّفوهُ من الكتب ما حرفهُ : « ابو قاموس الشيباني مائة ورقة » يريد انَّ ديوانهُ يبلغ مائة ورقة . اما قولهُ « ابو قاموس » فتصحيف « ابو قابوس » كما يظهر . ومنهُ يستدلّ على انهُ كان من بني شيبان الذين كانوا يحتلّون الحيرة

ومن شعرهِ ما رواهُ ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني (٣ : ١٢٦ - ١٢٩) يذكر مهاجاة ابي قابوس للعتَّابي وتحامُل ابي العتاهية على ابي قابوس قال : لمَّا هاجى ابو قابوس النصراني كلثومَ بنَ عمرو العتَّابي جعل ابو العتاهية يشتم ابا قابوس ويضع منهُ ويفضّل العتابي عليهِ فبلغهُ ذلك فقال فيهِ (مجزوء الكامل) :

قُلْ للمُكَنّي نفسَهُ متخيّراً بعتاهِيَهْ
والمُرسِلُ الكَلِمَ القبيحَ وعَتْهُ أُذنٌ واعِيَهْ
ان كنتَ سِرًّا سُؤْتني او كان ذاكَ علانيهْ
فعليك لعنةُ ذي الجلا لِ وامُّ زيدٍ زانيَهْ

يعني امَّ ابي العتاهية وهي امُّ زيد بنت زياد فقيل لهُ : اتشتمُ مسلماً ? فقال : لم اشتمه وانَّما قلت :

فعليك لعنةُ ذي الجلا ... لِ ومن عَنينا زانيهْ

وافضلُ من ذلك قولهُ لمّا اوقع هارون الرشيد بجعفر . قال البغداديّ : « ومـا انقضت الأيّام حتى قُتل جعفر بن يحيي وصُلب عند جسر بغداد فرأوا ابا قابوس تحت جذعهِ يزمزمُ فاخذهُ صاحب الحرَس وادخلهُ على الرشيد فقال لهُ : ما كنتَ قائــلًا تحت جذع جعفر ؟ قال : أتُنَجّيني منك للصدق ؟ قـــال : نعم . قال : ترحّمتُ والله عليهِ . ثمَّ انشدهُ يشفع عنـدهُ للفضل بن يحيي (من الوافر) :

أمينَ اللهِ هَبْ فَضْـلَ بنَ يحيي ... لنفسك ايهـا الملـكُ الهُمامُ (١

وما طَلَبي اليك العفوَ عنهُ ... وقد قَعَدَ الوشاةُ بهِ وقـاموا (٢

أرى سببَ الرضى عنــهُ قويًّا ... على اللهِ الزيادَةُ والـتَّمامُ

نذرتُ عليهِ فيهِ صيامَ شهرٍ ... فان تَمّ الرِضى وجبَ الصيـامُ

وهــذا جعفرٌ بالجسر تمحو ... محـاسنَ وجهــهِ ريحٌ قَتـامُ

اقولُ لــهُ وقمتُ لــديهِ نصبــاً ... الى ان كاد يفضحني القيامُ :

أمــا واللهِ لولا خوفُ واشٍ ... وعينٌ للخليفـةِ لا تنـامُ

لَطُفْنا حول جِذْعِكَ واستَلَمْنا ... كما للناس بالَحجَر استلامُ (٣

فمـا شاهــدنا قبلك يا ابنَ يحيي ... حُسامــاً فَلَّــهُ قبــلًا حسامُ (٤

عُقابُ خليفــةِ الرحمـان فخرٌ ... لمن بالسيفِ عـاقبـهُ الحِمامُ (٥

١) ويروى : أيُّها الفضلُ الهمامُ
٢) ويروى : وقد قعد الوشاةُ بنا
٣) ويروى : بالركن استلامُ
٤) رواهُ في العُمْدة :
وما ابصرتُ قبلك يا ابن يحيى ... حساماً قدَّهُ السيفُ الحسامُ
٥) ويروى : عانقهُ الحِمامُ . ويروى : اوضعهُ الحِمامُ ويروى : حساماً حتفهُ السيفُ الحسامُ

على الدنيا وساكنها جميعاً لدولةِ آل برمكٍ السلامُ

قال ابن الرشيق في العمدة (ص ٣٣) : وقد اختلط هذا الشعر بشعرين في وزنهِ ورويّهِ ومعناهُ احدهما لاشجع السُلَمي والآخر لسليمان (الاعمى) اخي (مسلم بن الوليد) صريع الغواني فالناس فيهِ مختلفون وهذه صحّتهُ . (قال) فانظرْ الى تجاسرهِ على مثل هذا الامر العظيم من الشفاعة والرثاء

واردف البغدادي قائلًا : «ولمّا سمع هارون الرشيد هذه الابيات اطرق مليًّا ثمّ قال : رَجُلٌ اولى جميلًا فنال بهِ جميلًا . يا غُلام نادِ بامان ابي قابوس وألّا يُعرَّض لهُ . ووصّى حاجبهُ ألّا يحجبهُ عنهُ

هذا ما رواهُ ابن الرشيق وابو بكر البغدادي . وقد ذكر في الاغاني (١٥ : ٣٦) اربعة من اواخر ابيات القصيدة الميميَّة السابقة للرقاشي الفضل بن عبد الصمد الشاعر . وروى عنهُ انهُ قال تلك الاشعار عند جذع جعفر وان الرشيد احضره كما مرَّ الخبر عن ابي قابوس ثمَّ سألهُ : وكم كان يُجري عليك ? قال : الف دينار في كل سنة . قال : فانّا قد اضعفناها لك

وقصيدة ابي قابوس مرويّة ايضاً في كتاب جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام من مخطوطات ليدن (Ms Leiden, CCCCXI ff.107r) لعميد الدين ابن الغنائم مسلم ابن محمود الشيرازي امّا رواية القصيدة لسليمان الاعمى فوردت في العقد الفريد لابن عبد ربه (٣ : ٣٢) على الصورة الآتية نذكرها تتمّةً للافادة :

هدا الخالونَ عن شَجْوي وناموا وعيني لا يُلائمُها منامُ
وما سَهَري بأني مستهامٌ اذا سهرَ المُحِبُّ المُستهامُ
ولكنَّ الحوادثَ أرَّقتني في أرَقٌ اذا انقطعَ الغمامُ
فقلتُ وفي الفؤادِ ضريمُ نارٍ وللعَبَراتِ من عيني انسجامُ
على المعروف والدنيا جميعًا ودولةِ آلِ برمكٍ السلامُ
جزعتُ عليك يا فَضْل بن يحيى ومن يجزع عليك فلا يُلامُ
هوَتْ بك انجمُ المعروفِ فينا وعزَّ بفقدك القومُ اللئامُ
وما ظلَمَ الالهُ اخاك لكن قضاءٌ كان سبَّبهُ اجترامُ
عِقابُ خليفةِ الرحمان فخرٌ لمن بالسَّيف صبَّحهُ الحِمامُ

عَجِبتُ لِما دها فَضْلَ بن يحيى ... وما عجبي وقد غضبَ الإمامُ
جرى في الليلِ طائرُهم بنَحْسٍ ... وصَبَّحَ جعفرًا منهُ اصطلامُ
ولم أرَ قبل قَتْلك يا ابن يحيى ... حساماً قدَّهُ السيفُ الحسامُ
يَرَيْن الحادثاتُ لهُ سِهاماً ... فغالَتْهُ الحوادثُ والسهامُ
وانَّ الفضل بعد رداءِ عزٍّ ... غدا ورداؤهُ دالٌ ولامُ
فقل للشامتين بهِ جميعاً ... لَكُمْ امثالُها عامٌ فعامُ
امينَ الله فِ الفضلَ بن يحيى ... رضيعك والرضيعُ لهُ ذِمامُ
ابا العبَّاسِ انَّ لكلِّ همٍّ ... وان طال انقراضٌ وانصرامُ
ارى سَبَب الرضاء لهُ قَبولٌ ... على الله الزيادةُ والتمامُ
وقد آليتُ معتذرًا بنَذْرٍ ... ولي فيما نذرتُ بهِ اعتزامُ
بأن لا ذقتُ بعدكمُ مُداماً ... وموتي أن يفارقني المدامُ
أأَلهو بعدكم وأقرُّ عيناً ... عليَّ اللهوُ بعدكمُ حرامُ
وكيف يطيبُ لي عيشٌ وفضلٌ ... اسيرٌ دونَهُ البلد الشآمُ
وجعفر ثاوياً بالجسر بلَّتْ ... محاسنَهُ السمائمُ والقتامُ
أمُرُّ بهِ فيغلبني بكائي ... ولكنَّ البكاء لهُ اكتتامُ
اقول وقمتُ منتصباً لديهِ ... الى أن كاد يفضحني القيامُ
أما والله لولا خوفُ واشٍ ... وعينٌ للخليفةِ لا تنامُ
لَطُفْنا حولَ جذعك واستلَمْنا ... كما للناس بالحجر استلامُ

وقد روى في جمهرة الاسلام (f. 63) رثاء آخر لابي قابوس قالهُ في اخيهِ سعيد ويروى هناك انَّ الاصمعيَّ فضَّلهُ على شعر محمَّد بن مناذر بل على شعر جرير والفرزدق والاخطل اوَّلهُ (من الطويل):

فما أمُّ سَقْبٍ اودَعتهُ قَرارةً ... من الارض وانساخت لتَروى وتهجعا

الى ان قال بعد وصف حزن الناقة على حوارها بتسعة عشر بيتاً :

بأَوجعَ مني يا سعيدُ تحرُّقاً ... عليك ولكن لم أَجدْ عنك مدفَعا
فلو أنَّ شيئاً في لقائك مُطْمِعٌ ... صبرتُ ولكن لا ارى فيهِ مُطْمعا

فأُقسمُ لا تنفكّ نفسي شجيّـةً ... عليك ووجهي حائلَ اللون أسفعا
وقد كنتُ أَلحي مَنْ بكى لمصيبةٍ ... فها انا ذا قد صرتُ ابكي وأَجزعا
وقد قَرَّعتْني الحادثاتُ ورُثتها ... بثكلك حتى لم اجدْ بيَ مَقرعا
وقد كنتُ مغبوطاً وقد كنتُ مُصعَباً ... فاصبحتُ مرجوماً لفقدك أخضعا
وقد كنتَ لي أنفاً حميّاً فغالَني ... بك القَدَرُ الجاري فأَصبحتُ أَجدعا
فلو انَّ طودًا من تِهامَةَ ضافَـهُ ... من الوَجد ما قد ضافَني لتَضعضعا
فيا سيّدًا قد كان للحيّ عصمـةً ... ويا جبلًا قـد كان للحيّ مَفْزعـا
رُزيتُ بـهِ خير الرزايا ولم أَجـدْ ... لهُ خلَفاً في الغابرين فأَقنعـا
وأَبيضَ وضّاحِ الجبين كأَنَّهُ ... سنا قَمرٍ أَوفى مع العشر أربعـا
قطيعَ لسان الكلب عن نَبْح ضيفهِ ... موطّأَ اكنافِ الرواقِ سَمَيْدعـا
ومجتنبـاً للقول في غير حينـهِ ... حِفاظاً وقوّالًا اذا قـال مِصْقعـا
يصونُ ببَذْل المالِ نفساً كريمةً ... وعرضاً حمى عن كل سوءٍ ممنَّعا
فتى الخير لم يهجُم بغَدْرٍ ولم يُعَبْ ... بعَجْزٍ ولم يَمْدُدْ الى الذمّ إِصْبعـا
ولا غابَ الّا نافسَ القومُ بينهم ... ولا آبَ إِلّا كان للحيّ مِقْنَعـا
ومـا زال حَمَّالًا لكلّ عظيمـةٍ ... الى ان قضى من نحبهِ مذ تَرعرعا
فتى كان لا يدعو الى الشرّ نفسهُ ... فان جاءَهُ الشرُّ امتطاهُ فأَوضعـا
ويركبُ صعبَ الامر حتى يَرُدَّهُ ... على عَقبٍ منـهُ ذلولًا موقَّعـا
رأَتْهُ المنايا خيرَنا فاخترَمْنَهُ ... وكنَّ بتعجيلِ الأَخايرِ سُرَّعا

ومنها :

تَرى الناسَ ارسالًا اليهِ كأنّما تضمَّن ارزاقَ العُفاةِ لهم معا
فمِن صادرٍ قد آبَ بالريّ حامدٍ ومن واردٍ شاحٍ بفيهِ ليَكْرعا
ويوماً تراهُ يسحبُ الوَشي غادياً ويوماً تراهُ في الحديد مقنَّعا
اذا نال من اقصى مدى المجد غايةً سما طالبًا من تلك اسنى وأَرْفعا
أَجلُّ عن العُور الهواجر سَمْعَهُ ووقَّرهُ مِنْ ان يُقالَ فيسمعا
له راحةٌ فيها حَياً لصديقهِ وأُخرى سقَتْ أَعداءَهُ السمَّ مُنقعا
فما فُجع الاقوامُ من رُزئها لك بأَعظمَ ممَّا قد رُزئتَ وأَفظعا
ومن طاب نفساً عن اخٍ لوداعه فما طبتُ نفساً عن اخي يومَ ودَّعا
فوا عجباً للارض كيف تأَلَّبتْ عليهِ ووارَتْ ذلك الفضلَ اجمعا
ويا بؤس هذا الدَّهرِ من ذي تلوُّنٍ وذي فجعاتٍ ما أَفظَّ وأَفظعا

هذا ما انتخبنا من هذا الرثاء وهو يبلغ ٩٠ بيتاً

٢ اسحق بن حُنَين

﴿اصلهُ ودينهُ﴾ هو ابو يعقوب اسحق بن ابي زيد حُنَين بن اسحق العبادي . كان ابوهُ حنين من اشهر اطبَّاء عصره واجلّهم خدَمَ هارون الرشيد والخلفاء بعده . ونقل الى العربيَّة كتباً عديدة من تآليف اليونان . وكان عباديًّا والعِباد قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانيَّة بالحيرة كما ورد في المعاجم العربيَّة وغيرها . والنسبة اليهم عِباديٌّ قال الشاعر يصف عباديًّا ساقي الخمرة:

يسقيكها من بني العباد رَشاً منتسبٌ عيدهُ الى الأَحَدِ

﴿اخبارهُ﴾ قال ابن العبري في تاريخ الدول (ص ٣٥٢) : «وكان لحنين ولدان داوُد واسحق فامَّا اسحق فخدم على الترجمة وتولّاها واتقنها واحسن فيها وكانت نفسهُ أَميَل الى الفلسفة وامَّا داود فكان طبيباً للعامَّة . وقال ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١ : ١٨٨) : «كان لحنين ولدان داود واسحق وصنَّف لهما كتباً طبيَّة في المبادئ والتعليم ونقل لهما كتباً كثيرة من كتب جالينوس . فامَّا داوُد فاني لم اجد لهُ

شهرةً بنفسهِ بين الاطبّاء ولا يوجد لهُ من الكتب ما يدلُّ على براعتهِ وعلمهِ وان كان الذي يوجد لهُ انّما هو كنّاش واحد . وامّا اسحق فانّهُ اشتهر وتميّز في صناعة الطبّ ولهُ تصانيف كثيرة ونقل من الكتب اليونانيَّة الى العربيَّة كتباً كثيرة الّا ان جُلَّ عنايتهِ كانت مصروفة الى نقل كتب الحكمة مثل كتب ارسطوطاليس وغيره من الحكماء» . وقال جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٨٠) : «وكان اسحق قد خدم مَن خدم ابوهُ من الخلفاء والرؤساء وكان منقطعاً الى القاسم بن عُبيد الله (وزير المعتضد بالله) وخصيصاً بهِ ومتقدّماً عندهُ يُفشي اليهِ اسرارهُ» . وقال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٠١) ولحق اسحقَ في آخر عمره الفالجُ وبهِ مات وتوفي ببغداد في ايّام المقتدر بالله وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٨ (٩١٠-٩١١م)

﴿آدابهُ وشعرهُ﴾ قال ابن النديم في الفهرست (ص ٢٨٥) : «كان اسحق في نجار ابيهِ في الفضل وصحّة النقل من اللغة اليونانيَّة والسريانيَّة وكان فصيحاً بالعربيَّة يزيد على ابيهِ في ذلك . . . ولهُ من الكتب سوى ما نقل من الكتب القديمة كتابُ الادوية المفردة على الحروف . كتاب كنّاش الخفّ . وكتاب تاريخ الاطباء» وقال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٠٠-٢٠١) «ولاسحق حكايات واشعار مستظرفة ونوادر» . ورد هذا في نسخة برلين (Ms de Wetzstein, 323, fol. 182v) . وذكر من كلامهِ قولهُ «قليلُ الراح صديقُ الروح وكثيرُها عدوّ الجسم» . ثم قال : ومن شعرهِ يذكر كبار الاطباء ويفتخر بالطبابة (من الطويل) :

انا ابنُ الذين استُودع الطبُّ فيهمُ ... وسُمّي بهِ طفلٌ وكهلٌ ويافعُ

يُبصّرُني آرِسْطَاليسُ بارعاً ... يقوّم منّي منطقٌ لا يُدَافعُ

وبُقْراطُ في تفصيل ما أَثْبَتَ الأُلى ... لنا الضرّ والاسقامَ طَبٌّ مضارِعُ

وما زال جالينوسُ يشفي صدورَنا ... لِما اختلفَتْ فيهِ علينا الطبائعُ

ويحيى بنُ ماسَوَيْهْ وأَهرُنُ قبلَهُ ... لهم كتبٌ للناس فيها منافعُ

رأى انَّهُ في الطبّ نيلَتْ فلم يكن ... لنا راحةٌ من حفظها واصابعُ

(قال)ونقلتُ من خطّ ابن بُطلان في رسالتهِ المعروفة بدعوة الاطباء انّ القاسم ابن عُبَيد الله وزير المعتضد بلغهُ انّ ابا يعقوب اسحق قد شرب دواء مُسهِلاً فأحبَّ مداعبتَهُ وكان صديقاً لهُ فكتب اليهِ (من الهزج) :

أَبِنْ لي كيف أَمسيتَ وكم كان من الحالِ
وكم سارت بك الناقةُ نحو المنزل الخالي

فكتب اليهِ اسحق بن حنين (الهزج) :

بخيرٍ كنتُ مسرورًا رخيَّ الحالِ والبالِ
فامَّا السَّيرُ والناقةُ والمُرتَبعُ الخالي
فإِجلالُكَ أَنسانِيهِ يا غايةَ آمالي

ثمَّ ذكر لهُ تآليف غير السابقة منها كتاب فيهِ ابتداء صناعة الطبّ واسماء جماعة من الحكماء والاطباء . وكتاب الادوية الموجودة في كل مكان . وكتاب اصلاح الادوية المسهلة واختصار كتاب اقليدس وكتاب المقولات وكتاب ايساغوجي وهو المدخل الى صناعة المنطق واصلاح جوامع الاسكندرانيين وشرح جالينوس لكتابَ الفصول لأَبقراط ومقالة في الاشياء التي تفيد الصحّة والحفظ ويمنع من النسيان أَلَّفها لعبد الله ابن جمعون وكتاب الادوية المفردة ومختصر كتاب صنعة العلاج بالحديد وكتاب آداب الفلسفة ومقالة في التوحيد

٣ سعيد التُّسْتَري النصراني

﴿نسبهُ واخبارهُ﴾ اسمهُ ابو الحسن (ويروى : ابو الحسين) سعيد بن ابرهيم التُّسْتَري نسبة الى تُستَر او شوشتر من مدن خوزستان في العجم . ورد ذكرهُ في الفهرست لابي الفرج بن النديم (ص١٣٤) قال : « ابن التستري . . . ويكنى ابا الحسين كان نصرانياً . قريب العهد من صنائع بني الفرات وهو وابوهُ يلزم السَّجع في مكاتباتهِ » . ونقل الصفَدي هذا الوصف في وافي الوفيات (Ms. de Paris, 706, fol. 130r) وروى

عن ياقوت «انهُ كان يكتب لعليّ بن محمّد بن الفرات» وزير المقتدر بالله. واخبر هلال الصابي في تاريخ الوزراء (ص٣٣ ,éd. Amédroz) انهُ لمّا أوقف الخليفة المقتدر سنة ٣٠٦هـ (٩١٨م) ابا الحسن عليّ بن الفرات قُبض على التُستري مع مولاهُ واعتُقل عند نصر الحاجب. ثمّ أُفرج عنهُ وعاد مع ابي الفرات الى ديوان الكتابة ثمّ اعتُقل كلاهما ثانيةً سنة ٣١٢هـ (٩٢٢م) بعد وزارة ابن الفرات الثانية. وقد ذكرهُ الصابي في تاريخهِ (ص ٢٤٠) في جملة من كان يحضر مائدةَ الوزير ابن الفرات وما كان يجري فيها من العادات اللطيفة والآدابِ الشريفة في اكلهم وشربهم واصناف طعامهم وتأنُّقهم في مجالس الانس

﴿أدبُهُ وشعرهُ﴾ قال ابن النديم (ص١٣٤): «والتُسْتري من الكتب كتاب المقصور والممدود على حروف المعجم وكتاب المذكّر والمؤنث على ذلك الترتيب. وكتاب الرسائل في الفتوح على هذا الترتيب ورسائل مجموعة في كلّ فنّ». وقد نقل الصفدي قولهُ هذا بالحرف عن ياقوت ثمّ اورد لهُ مقاطيع شعريَّة كما يلي. قال يحضّ المرء على تسرية الهمّ عن نفسهِ (من السريع):

ما لك قد هَيَّمك الهمُّ وضلَّ منك الحزمُ والفهمُ
لو رُمتَ ان يبقى الأذى ما بَقي لا فرحٌ دامَ ولا غَمُّ

قال الصفدي: قلتُ: مثلُهُ قول القائل:

لا تسألِ الدهرَ في ضرَّاء يكشفها فلو سألتَ دوامَ البؤس لم يَدُمِ

ثم اورد لهُ في الغزَل (من المقتضب) (١:

قلتُ: زُوري. فأرسَلتْ: أَنا آتيك سَحْره
قلتُ: بالليل كان أَخفَى وأدنى مَسرَّه
فاجابت بحجَّةٍ زادت القلبَ حسرَه:

---

١) هذه الابيات وما يليها في نسخة خطية من مكتبتنا الشرقية فيها شرح شواهد التنصيص (ص ١٤٥)

انا شمسٌ وانّما تطلعُ الشمس بُكرَه

بكرة اي غدوةً. وروى ابو الحسن احمد بن عليّ البتيّ الكاتب عن ابيهِ قال: كنّا عند ابي الحسين سعيد بن ابرهيم كاتب ابن الفرات فغنّت ستارتُهُ (من الخفيف):

وعدَ البدرُ بالزيارة ليلًا فاذا ما وفى قضيتُ نذوري

قلتُ: يا سيّدي لِمَ تُؤْثِرُ الليـلَ على بهجة النهار المنيرِ

قال لي: لا أُحبُّ تغيير رَسمي هكذا الرسمُ في طلوع البدورِ

فاختلفَت الجماعة لمن هذا الشعر. فقال بعضهم للناجم. وقال قومٌ للعباس وذكروا جماعةً فقال سعيد: هو لي. ثمَّ انشدَنا (من الخفيف):

قلتُ للبَدْر حين أعتَبَ: زُرْني وأشمَتِ الهَجْرَ بالقِلى والتجافي

قال: انّي مع العِشاء سآتي فانتظرني ولا تخَفْ من خلافي

قلتُ: يا سيّدي فألّا نهارًا فهو أدنى لقُرْبةِ الائتلافِ

قال: لا استطيعُ تغييرَ رسمي انّما البدرُ في الظلام يوافي

(قال) وكنتُ نقلتُ الابيات عن نسخةٍ صحيحة مقابلةً واري الصواب في البيت الاوّل

«وأشمَتِ الوَصلَ بالقلى والتجافي»

وقد جمع المعنيين ابو العلاء المعرّي في قولهِ :

هي قالت لمّا رأت شيبَ رأسي وارادت تنكُّرًا وازورارا:

انا بدرٌ وقد بدا الصبحُ من شَيـبك والصبحُ يطردُ الاقمارا

قلتُ: لا بل اراك في الحسن شمسًا لا تُرَى في الدجى وتبدو نهارا

٤ ابو الحسن بن غسَّان

﴿اسمهُ ودينهُ﴾ قال جمال الدين ابن القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٤٠٢) انهُ ابو الحسن (ويُروى الحُسين) الطبيب البصريّ. ودعاهُ ابن بطلان في كتاب دعوة الاطباء (ص ٩٠) بابي غسَّان. وجاء ذكرهُ في تاريخ فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل (ص٩٦ éd. Gismondi) فكنَّاهُ بابي علي بن غسَّان وروى هناك نصرانيَّتهُ وما انفقهُ على نجاز بناء دير مار فثيون في بغداد وذلك سنة ٣٤٣ ﻫ (٩٥٣م). فتبيَّن من ذلك انهُ كان نصرانيًّا كلدانيًّا من النساطرة

﴿اخبارهُ﴾ قال ابن القفطي (ص ٤٠٢): « هذا رجلٌ طبيب من اهل البصرة يعلّم الطبّ ويشارك في علوم الاوائل وخدَمَ بصناعتهِ ملوك بني بويهِ وعلى الخصوص عَضُد الدولة فنَّاخسرو ». وفنَّاخسرو هذا هو المعروف بابي شجاع من الملوك البويهيين وممدوح الشاعر المتنبي توفي في ٨ شوال سنة٣٧٢(٩٨٢م). وقال عنهُ ابن ماري في المجدل (ص ٩٦) انهُ كان «كاتباً لركن الدولة» وركن الدولة هو ابو عضد الدولة كان تولى اوَّلًا على اصبهان ثمَّ خلف اباهُ في تدبير الدولة في بغداد بعد اخيهِ مؤيّد الدولة توفي سنة ٣٦٦ (٩٧٦م)

﴿أَدبهُ وشعرهُ﴾ قال جمال الدين القفطي (ص ٤٠٢): وكان لابي الحسن هذا ادبٌ متوفّر وشعرٌ حسن فممَّا قالهُ لعضد الدولة عند مسيرهِ الى بغداد (من المتقارب):

يسوسُ الممالكَ رأيُ المَلِكْ ويحفَظها السيّد المحتَنِكْ
فيا عَضُدَ الدولةِ انْهَضْ لها فقد ضُيّعَت بين شَشٍّ ويَكْ

شَشّ وَيكْ عددان فارسيَّان معناهما في لعب النرد (الطاولة) ستَّة وواحد. قال ابن القفطيّ: «وذلك لانّ عزّ الدولة بختيار الذي اخذ عضد الدولة الامر منهُ كان لَهِجاً بلعب النرد». قال: ومن شعر ابي الحسن ايضاً في بختيار الذي اخرجهُ عَضُد الدولة عن العراق يهجوهُ ويستهجن عزمَهُ ويستضعفهُ:

اقام على الاهواز سبعين ليلةً يدبّر امر المُلك حتى تدمَّرا

يدبّر امرًا كان اوّلهُ عَمًى   وأَوسَطُهُ بَلْوَى وآخِرهُ خرا

وممّا ورد لابن غسَّان في كتاب دعوة الاطباء وهو يدعوهُ هناك بابي حسَّان بن غسَّان (ص ٩٠) قولهُ في احكام الدهر والموت (من الخفيف) :

حُكمُ كأسِ المَنُون أَن يتساوى   في اَحتساها الغبيُّ والألمعيُّ

ويَحُلَّ البليدُ تحت ثرى الأَرْ   ضِ كما حلّ تحتَها اللوذعيُّ

اصبحا رِمَّةً تزايلَ عنها   فعلُها الجوهريُّ والعرَضيُّ

وتَلاشى كيانُها الحَيَواني   وتوارى تقديمها المنطقيّ

٥ الموصلي النصرانيّ

هكذا رواهُ البيهقي في كتاب المحاسن والمساوئ (ص ٦٩–٧٠ éd. Schwally) ولم يزدنا علماً . وهو كما يظهر من شعراء اواخر القرن الثالث واوائل الرابع للهجرة لان البيهقي الذي ذكرهُ عاش في ذلك العهد ثم ذكر لهُ ابياتاً في مديح بني هاشم (من الطويل) :

عَدي وتُيَمْ لا أُحاوِلُ ذكرَهُمْ   بسوءٍ ولكنّي محبٌّ لهاشمِ

وهل تأْخذنيّ في عليٍّ وحُبّهِ   اذا لم أعِشْ يوماً ملامةُ لائمِ

يقولون . ما بالُ النصارى تُحبّهُ   واهلُ التُّقى من مُعْربٍ وأعاجمِ

فقلتُ : لهم اني لَأَحسبُ حُبَّهُ   طواهُ إلهي في قلوبِ البهائمِ

٦ يحيى بن عدي

﴿نسبهُ وزمانهُ ودينهُ﴾ قال ابن النديم في الفهرست (ص ٢٦٤) وجمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٣٦١ وابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١ : ٢٣٥)

هو ابو زكريّا يحيي بن عدي بن حميد بن زكريّا المنطقي نزيل بغداد واليهِ انتهت الرئاسة ومعرفة العلوم الحكميَّة في زمـانهِ . قرأ على ابي بشر بن متى بن يونس (الفيلسوف النصراني) وعلى ابي نصر الفارابيّ وعلى جماعة في وقتهم وكان نصرانيّا يعقوبي النِحْلة» . قال جمال الدين القفطي (ص ٣٦٣–٣٦٤) :

« مات الشيخ ابو زكريا يحيي بن عدي الفيلسوف يوم الخميس لتسع بقين من ذي القعدة سنة ٣٦٤ ﻫ وهو لثلث عشرة من آب سنة ١٢٨٥ للاسكندر (٩٧٥م) ودُفن في بيعة القطيعة ببغداد وكان عمرهُ ٨١ سنة شمسيَّة ورأيت في بعض التعاليق بخطّ من يُعنى بهذا الشأن : وفاتهُ كانت في اليوم المقدَّم ذكرُهُ من الشهر المقدَّم ذكرهُ من السنة ٣٦٣(٩٧٤م) »

﴿اخبارهُ وآدابهُ وشعرهُ﴾ قال ابن ابي اصيبعة: « كان يحيي جيّد المعرفة بالنقل وقد نقل من اللغة السريانية الى اللغة العربية وكان كثير الكتابة ووجدت بخطـهِ عدّة كتب» . وقال القفطي: « كان ملازماً للنسخ بيـدهِ كتبَ الكثير من كل فنّ وكان يـكتب خطّاً قاعدًا بيّناً» . قال ابن النديم: « وعاتبتُهُ على كثرة نسخهِ فقـال لي: من اي شيء تعجب في هذا الوقت أمن صبري ? وقد نسختُ بخطي نسختين من التفسير للطبري وحملتُها الى ملوك الاطراف . وقد كتبتُ من كتب المتكلّمين ما لا يُحصى . لعهدي بنفسي وانا اكتب في اليوم والليلة مائة ورقة واقلّ» . ثمَّ عدَّد لهُ جمال الدين القفطي كتباً كثيرة ألّفها في المنطق وابواب الفلسفة او عرَّبها عن ارسطاطاليس وغيرهِ من اليونان . ولهُ عدَّة فصول حسنة في الدفاع عن العقائد النصرانيَّة وتفنيـد مَن تعرَّض لها وقد نشرنا شيئاً من ذلك في المشرق سابقاً(١

وقد وقفنا على فصلٍ كتبهُ عن يحيي شهابُ الدين العُمَري صاحب مسالك الابصار (نسخـة المكتبة الخديويَّة ص ٣٣٦–٣٣٧) قال في باب طبقات الاطباء :

« ومنهم يحيي بن عدي ابو زكريّا المنطقي حكيمٌ علمُهُ والوَدْق شيَّـان ، وقلمُهُ والبرق سيَّان ، كان اوَّل حالهِ عَلَماً في ملَّتهِ ، ومعلّماً لاهل قبلته ، وعُرف بالمنطق مع انهُ بعض علومهِ ، ومن جملة مـا دخل من الخصائص في عمومهِ ، وأضاءَت لهُ من الادب لُمَع تمّمت فضائلهُ ، وتمَّت هلالهُ والبدور الكوامل متضائلهُ »

---

١) اطلب ما نشرهُ حضرة الكاهن اوغست بيريه (Aug. Périer) من ترجمة يحيي وتآليفهِ اللاهوتية (راجع المشرق ١٩[١٩٢١]:٦٢١)

وليحيي بن عديّ شعر قليل منهُ قولهُ في مَن يردُّ اعتقاد اسرار الدين لعدم فهمها (Paris, Ms 101, f 45[r]) (من البسيط) :

أَفْعَمْتَ فَحْصَ المعاني عن حقائقها فلم يَبِنْ لك اذ لم تُحْسِنِ النظرا
فالشمس تخفى على من ليس ذا بصرٍ وليس تَخْفى على من أُعْطِيَ البَصَرا

وحدَّث الآمدي ابو الحسين انهُ سمع من ابي علي بن زرعة تلميذهِ يقول: انَّ ابا زكريَّا يحيي بن عدي وصَّى اليهِ ان يكتب على قبرهِ حين حضرَتْهُ الوفاة وهو في بيعة توما بقطيعة الدقيق هذين البيتين (من الخفيف) :

رُبَّ مَيْتٍ قد صار بالعلم حيًّا ومُبقّى قد مات جهلًا وعيًّا
فاقتنوا العلمَ كي تنالوا خلودًا لا تَعُدُّوا الحياةَ في الجهل شَيًّا

٧ ابو تمَّام الطائي

﴿ توطئة ﴾ قرأنا في آخر عدد من المقتطف (اغسطس ١٩٢٥ ص ٣٣٤) ما نصُّهُ :

«عندنا نسخة الدكتور فان ديك في شرح التبريزي للحماسة وعليها بخطّ الدكتور انَّ ابا تمّام كان نصرانيًّا . فمن اين اتى الدكتور فان ديك بذلك والمتعارف انَّ أبا ابي تمّام كان نصرانيًّا»

فاحببنا ان نفرد هنا فصلًا لهذا الشاعر في كلامنا عن شعراء النصرانيّة في عهد الدولة العبَّاسيّة . فننظر ما في مدَّعى الدكتور فان ديك من الصحة

﴿ نسب ابي تمام ﴾ هو حبيب بن اوس الطائي ينتهي نسبهُ الى ابي القبيلة الغوث ابن طيءٍ ومنهُ الى يعرب بن قحطان . يُكنَّى بابي تمَّام وتمَّام ابنهُ ورد ذكرهُ في تعريف بعض امور ابيهِ في الاغاني وغيرهِ . وُلد حبيب في جاسم وهي على ما قال المسعودي في مروجهِ الذهبيّة (٧ : ١٤٧) «قرية من اعمال دمشق بين بلاد الاردن ودمشق بموضع يعرف بالخولان (بالجَوْلان) على اميال من الجابية وبلاد نوا (كذا) وهي مراعي أيوب عم» . امّا صاحب الاغاني فقال (١٥ : ١٠٠) : «هو من نفس طيءٍ صليبة

مولدهُ ومنشأهُ بناحية منبج (كذا) بقرية منها يقال لها جاسم» وكان مولدهُ على قول تمّام ابنهِ سنة ١٨٨هـ (٨٠٤م) ووفاتهُ سنة ٢٣١ (٨٤٥ م) امّا الشائع بين الكتبة والمؤرخين كنفطويهِ والطبري وابن الاثير انَّ وفاته كانت في الموصل وقعت سنة ٢٢٨ (٨٤٢—٨٤٣م). وروى ابن خلّكان في وفات الاعيان (١ : ١٥٠) عن ابي القاسم الآمدي في الموازنة قولهُ : «والذي عند اكثر الناس في نسب ابي تمام انَّ اباهُ كان نصرانيًّا من اهل جاسم قرية من قرى دمشق يقال لهُ تدوس (ولعلها تدَّاوس او تَدْرُس) العطَّار فجعلوهُ أوْساً وقد أُلْصِقَ لهُ نسبة الى طيّ» . لكنَّ ابن خلّكان لم يصدّق على قول الآمدي ولم ينكر نسبتهُ الى طيّ وانَّما نقل قول الصولي: «قال قوم ان ابا تمّام هو حبيب بن تدوس النصراني فغيّر فصار اوساً» ثمَّ روى عن ابيهِ انهُ «كان خمَّارًا بدمشق»

﴿ خلاصة اخبار ابي تمّام ﴾ قال الانباري في طبقات الادباء (ص ٢١٣) : «ابو تمّام شامي الاصل» وروى ابن خلكان ١ :١٥٣) : «انهُ كان يخدم حائكاً ويعمل عندهُ بدمشق». قال : «ونشأ بمصر قيل انهُ كان يسقي الماء في جامع مصر» وزاد الانباري: «وجالس الادباء فاخذ عنهم وتعلّم وكان فطناً فهماً وكان يحبُّ الشعر فلم يزل يعانيهِ حتى قال الشعر وأجادهُ وسار شعرهُ وشاع ذكرهُ» . وقد تنقّل ابو تمام في انحاء الشام وسكن مدَّة حمص فلم يحمد اهلها (اطلب ديوانهُ ص ٢٣٨ طبعة محيي الدين الخياط) ورحل الى العراق: قال الانباري (ص ٢١٤) : «وبلغ الخليفةَ المعتصم خبرهُ فحملهُ اليهِ فعمل فيهِ ابو تمام قصائد عدَّة واجازهُ المعتصم وقدَّمهُ على شعراء وقتهِ». ولمَّا سكن في بغداد جالس فيها الادباء وعاشر العلماء وكان موصوفاً بالظرف وحسن الاخلاق وكرم النفس ثمَّ مدح الخليفة هارون الواثق خلَف المعتصم وسافر في اوَّل ايَّامهِ الى سامرَّا ورحل الى خراسان وارمينية والجزيرة فمدح كبار عمَّال الدولة واعيانها كمالك بن طوق التغلبي وابي دلف واحمد بن ابي دؤاد وعبدالله بن طاهر وخالد ابن يزيد بن مزيد والوزيران محمَّد بن الزيّات والحسن بن وهب. فعُني بهِ الحسن وولّاهُ بريد الموصل فاقام بها اقلّ من سنتين ومات ولم يتفقوا على سنة وفاتهِ قال البحتري : «وبنى عليه ابو نهشل بن حميد الطوسيّ قبَّةً. (قلتُ) ورأيت قبرهُ بالموصل خارج باب الميدان على حافَّة الخندق والعامّة تقول: هذا قبر ابي تمّام الشاعر» (رواهُ

ابن خلكان)

﴿دين ابي تمام﴾ رأيت انَّ الدكتور ڤان ديك أعلن في نسخة من حماسة ابي تمام انّ « أبا تمّام كان نصرانيًّا » وفي قولهِ هذا نظر :

﴿اوَّلا﴾ اتّفق مَن ذكر والد ابي تمام كالصولي والآمدي انهُ كان نصرانيًّا فلا بُدَّ انَّ ابنهُ حبيباً ولد ونشأ على دينهِ ومن هذا القبيل يجوز القول انَّ أبا تمام كان نصرانيًّا

﴿ثانياً﴾ لنا في اسمهِ حبيب وهو من الاسامي الشائعة بين النصارى النادرة بين المسلمين ما يدلُّ على نصرانيَّته

﴿ثالثاً﴾ وليس في نسبتهِ الى طيّ ما ينفي نصرانيَّتهُ فقد اثبتنا في كتابنا النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة (ص ١٢١—١٢٢و١٣٢—١٣٣ و٤٥٦—٤٥٧) شيوع النصرانيّة في قبيلة طيّ وثبات قسم كبير من بطونها على نصرانيَّتهم حتى بعد الاسلام بزمن طويل

﴿رابعاً﴾ وفي مزاولته في حداثته الحياكةَ والسقاية ما يدلّ على خمولهِ بسبب دينهِ

﴿خامساً﴾ ثمَّ ليس لنا كلام صريح لاحد رواة ترجمتهِ ما يدلُّ على جحودهِ دينهُ النصرانيّ

هذا ما يحملنا على القول بنصرانيَّة ابي تمام. على انَّ في ديوانهِ عدَّة ابيات تشعر بانه يدين بالاسلام فحيناً يَحلف بالبيت الحرام ويقول انهُ حجّ اليه وحيناً آخر يذكر نبي العرب ودين الاسلام كانهما نبيُّهُ ودينهُ واذا ذكر الروم نبذَهم بالشرك والكفر ويعظِم القرآن. وهذا كلُّهُ لمَّا يثبت اسلامهُ .

فلا نرى تطبيقاً بين الامرين إلَّا ان نقول انهُ لمَّا اصاب حظوةً عند الخلفاء وعند وجوه الامراء وكبار الدولة عدل عن دينه الى الاسلام مجاملةً او طمعاً بحطام الدنيا. وليس قولنا هذه حدساً وقد اخذ العجب جنابَ خليل مردم بك في كتابه الحديث «شعراء الشام في القرن الثالث»(ص٣٥—٣٧) حيث قابل بين مديح ابي تمَّام للخلفاء من اهل السنّة واطرائهِ للشيعة العلويّة وانتصاره لحقوقها في الخلافة فرأى تناقضاً بيّناً نسبهُ الى اختلاف الزمان

امّا المسعودي في مروج الذهب فنسب أبا تمّام الى المجون وقلّة الدين قال (٧: ١٥١):

«وكان (اي ابو تمام) ماجنًا خليعًا في بعض احوالهِ وربّما ادّاهُ ذلك الى ترك موجبات فرضهِ تماجنًا لا اعتقادًا (!)»

ثم روى لبعض الثقات عن المبرّد النحوي نقلًا عن الحسن بن رجاء قال:

«صار اليَّ ابو تمام وانا بفارس فاقام عندي مقامًا طويلًا ونُميَ اليَّ من غير وجهٍ انّهُ لا يصلّي. فوكلتُ بهِ مَن يراعيهِ ويتفقدهُ في اوقات الصلوات فوجدتُ الامر على ما اتّصل بي فعاتبتهُ على فعلهِ. فكان من جوابهِ أن قال: أتُراني انشطُ للشخوص اليك من مدينة السلام واتجشّم هذه الطرقات الشاقّة واكسلُ عن هذه الرَّكَعات لا مؤونةَ عليَّ فيها لو كنتُ اعلم انَّ لمن صلّاها ثوابًا وعلى من تركها عقابًا؟ (قال) وهممتُ والله بقتلهِ ثمَّ تخوّفت ان يُصرَفَ الامر الى غير جهةٍ. قال المبرّد: وهو مع هذا يقول:

وأحقُّ الانام أن يَقضيَ الدّين م امرؤٌ كان للإله غريمَا

وهذا قولٌ مباينٌ لهذا الفعل»

فترى انّ اسلام ابي تمام كان سطحيًّا ليس تماجنًا فقط كما قال المسعودي بل اعتقادًا ايضًا فذكرناهُ هنا بين شعراء النصرانية ليس افتخارًا بدينهِ بل بيانًا لحقيقة تاريخيَّة. ثمَّ انَّ في شعرهِ ابياتًا تنبئ بمعرفتهِ لعادات النصارى كقولهِ في هرب توفيل زعيم الروم (الديوان ٣٣: ٢):

جفا الشرقَ حتى ظنَّ من كان جاهلاً بدين النصارى ان قِبلَتَهُ الغَربُ

﴿منزلتهُ بين شعراء عصره﴾ لا نطيل الكلام في هذا الموضوع بعد ان طرقهُ قبلنا ائمّة الكتّاب وخصوصًا ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني (١٥: ٩٩–١٠٨) فاعتبر ابا تمّام «كأميرِ الشعراء وخاتمهم مَن لا يشقّ الطاعنون عليه غبارهُ ولا يدركون وان جدُّوا آثارهُ» وذكر قول الحسن بن وهب يرثيه:

فُجِعَ القريضُ بخاتم الشعراء وغدير روضتها حبيب الطائي

ماتا معًا وتجاورا في حفرةٍ وكذاك كانا قبلُ في الاحياءِ

ورثاهُ محمّد بن عبد الملك الزّيّات وهو حينئذٍ وزير فقال:

نبأٌ أتى من اعظم الانباء لمّا ألَمَّ مُقلقِلَ الأَحشاء

قالوا حبيبٌ قد ثوى فأَجبتُهم ناشدتكم لا تجعلوهُ الطائي

ولا نشاء ان نروي شيئاً من شعرهِ وديوانهُ في ايدي الجميع وقد تكرّر طبعهُ. فطُبع اوّلًا في مصر سنة ١٢٩٢ﻫ طبعةً سقيمة بلا شكل وبشروح قليلة على الهامش. ثمَّ عُني بطبعهِ في بيروت الاديب شاهين عطيَّه اللبناني سنة ١٨٨٩ ثمَّ كرَّر طبعهُ محمد جمال مع شروح لمحيي الدين الخيّاط. وهاتان الطبعتان مع فضلهما على الطبعة المصريّة إلّا انهما قاصرتان عن كل ما يطلبهُ العلماء من الضبط بالشكل الكامل وتعريف النسخ المنقول عنها الديوان وشرح المعاني وبيان ظروف القصائد واثبات الروايات المختلفة وَجمع ما جاء متفرّقاً من شعر ابي تمام في كتب الادباء. فانك ترى مثلًا في ما رواهُ ابو الفرج الاصفهاني في الاغاني عدَّة مقاطيح من شعر ابي تمام لم تُروَ في الديوان. وكذلك هناك وفي الكامل للمبرّد وغيرهما قطعٌ اخرى فيها روايات مخالفة لروايات الدواوين المطبوعة وبعضها افضل من المطبوع. فيا ليت احدًا من ادبائنا يَسُدُّ هذه الثُّلَم ويستفيد من ملحوظات ابي القاسم محمّد الآمدي في الموازنة بين ابي تمام والبحتري فيُعنى بطبعةٍ جديدة وافية الشروط لذلك الديوان الفريد والاثر الجليل

٨ ثابت بن هارون

﴿نسبهُ واخبارهُ وشعرهُ﴾ هو ابو نصر ثابت بن هارون النصرانيّ الرّقي العراقيّ. قال ابو الحسن علي الباخزي المتوفى سنة ٤٦٧ﻫ (١٠٧٤م) في كتابهِ دمية القصر وعصرة اهل العصر (Flügel, Ms de Vienne, I, 367, f. 46-47) (١:

«ومن شعراء العراق ابو نصر ثابت بن هارون الكاتب النصرانيّ». وعرَّف زمانهُ بما كتبهُ في اواسط القرن الرابع للهجرة والعاشر للمسيح ولم يذكر شيئاً من اخباره ثم قال: ومن شعرهِ قولهُ في من يحجب بابهُ (من الوافر):

على رَبْعٍ يحقُّ بهِ الحجابُ ويُغلَق منهُ دونَ الخير بابُ (٢
سأهجُرُ كلَّ بابٍ رُدَّ دوني اذا ما ازورَّ او خشِيَ الحجابُ

---

١) راجعنا ايضاً نسخة لندن (ع ٥٧٣)

٢) ويروى: دون الحرّ بابُ

ثمّ ذكر لثابت الرقيّ رثاء قالهُ في المتنبّي الشاعر (المتوفّى سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥م) ثمّ قال: «وهذا ممّا شذّ عن الثعالبي (١ وذهب عنهُ شعرهُ. واذا كان المتنبي في طبقات يتيمتهِ من العصريين فالذي بعدهُ ممّن يُهدي المرثية اليه وينوح مع وُرق الحمام عليهِ أَولى بان يُعَدّ من الطبقة. وقد عرض عليَّ ابنُ الشيخ ابي الحسن علي بن يحيى الكاتب في ديوان الحضرة «ديوانَ المتنبي» مُحلَّى الظهر بتوقيعَين لهُ خطَّهُما بيمينهِ واثبت بهما أَسماع هذا الفاضل اشعارَهُ منهُ مرّتين فرنَيْتُ وعرض مجموعهـا على سمعهِ كرّتين. وجرى بعد حصوله تحت كلاكل الأَجل المتاح، وتصديقهِ قولهُ في ترك مهجتهِ سائلةً على كلّ الارماح، على قضيّة كرم العقل واستئثار الامير عضد الدولة على فاتك وبني اسد». وهذا رثاؤهُ المتنبي (من الكامل):

الدهرُ أَخبثُ (٢ والليالي أَنكدُ ... من ان تعيشَ لأَهلها يا احمدُ

ذُقتَ الكريهةَ بغتةً وفُقدتَها ... وكريهُ فقدِك في الورى لا يُفقَدُ

قُل لي ان اسطَعتَ الكلام (٣ فإِنني ... صَبُّ الفؤَادِ الى خطابك مُكمَدُ

أَتركتَ بعدك شاعرًا واللهِ لا ... لم يبقَ بعدك في الورى مَنْ يُنشِدُ

ما كان تاركَكَ الزمانُ لاهلهِ ... انّ الزمان على الغريبة يحسدُ

قصدَتك لمَّا أَنْ رأتك نفيسَها ... بُخلًا بمثلك والنفائِسُ تُقصَدُ

غدَرَ الزمانُ بهِ فجارَ ولم تزلْ ... ايدي الزمان ببأسهِ تستنجدُ

لَقِيَ الخطوبَ فبذَّها (٤ حتى جرى ... غلَطُ القضاء عليهِ وهو تعمُّدُ

وقال يستثير فيها ابا شجاع عضد الدولة على فاتك وبني اسد:

صَهٍ (٥ يا بني اسدٍ فلستُ بنجدةٍ ... آثرتُ فيهِ بل القضاءُ يُقيَّدُ

---

١) يريد انّ الثعالبي سها عن ذكر ثابت بن هارون فلم ينظمهُ في جملة الشعراء في كتابهِ يتيمة الدهر

٢) ويروى: الدهرُ أَنكى ٣) ويروى: الخطاب. ويروى: الجواب

٤) ويروى: وبدَّها ٥) ويروى: مَهْ

يا ايها الملكُ المؤيَّدَ دعوةً ممَّن حَشاهُ بالأَسى تتوقَّدُ
هذي بني اسدٍ بضيفك اوقعتْ وحوتْ عطاءَك اذ حواهُ الفرقدُ
ولهُ عليك بقصدهِ يا ذا العَلا حقُّ التجرّمِ والذمامُ الأوكدُ
فارعَ الذمامَ وكن لضَيفك طالباً انَّ الذمام على الكريم مؤيَّدُ
وارعَ الحقوقَ لقصدهِ وقصيدهِ عضدَ الملوكِ فليس غيرُك يُقصَدُ
واذا المكارم والمحامدُ أُسنِدَت فالى الامير ابي شجاعٍ تُسنَدُ

٩ بشر بن هارون

﴿ اصلهُ ودينهُ واخبارهُ ﴾ هو ابو نصر بشر بن هارون النصراني العراقي . وهو كما يلوح لنا من قرابة ثابت بن هارون السابق ذكرهُ . وكان لبشر اخوان ابرهيم وجابر ذكرهما الطبريّ في تاريخهِ (٣ : ١٥١١ و١٥٢٤) وقال هناك بشر وابرهيم كانا كاتبين لمحمَّد بن عبدالله بن طاهر الامير والي العراق من قبَل المتوكل . واخبر انهُ في السنة ٢٤٩ (٨٦٣ م) شغَبَ الجند والشاكريَّة في بغداد وانتهبوا الدواوين وقطعوا الدفاتر فالقوها في الماء وانتهبوا دار بشر وابرهيم ابني هارون النصرانيَّين كاتبي محمَّد ابن عبدالله وذلك كلُّهُ في الجانب الشرقيّ من بغداد . ثمَّ ذكر جابرًا اخاهما وقال عنهُ ان محمَّد بن عبدالله وجَّههُ الى طبرستان لبعض امورهِ

قال الصفدي في الوافي بالوفيات (Ms de Paris, 706, fol. 130.) : كان ابو نصر بشر بنَ هارون النصراني كثير الهجو للوزراء والرؤساء فممَّن هجاهم ابو نصر سابور بن ازدشير وزير شرف الدولة ابن عضد الدولة بن بويه المولود سنة٣٣٦ والمتوفى سنة ٤١٦ هـ (٩٤٧—١٠٢٥ م) وكان سابور قليل الالفاظ جافي الاقوال دقيق الخطّ منتظمهُ قصير التوقيع مختصرهُ كثير الشرّ مَخوف البطش شديد التأثر في المعاملات والميل الى المصادرات . فقال بشر يهجوهُ (من الكامل) :

سابورُ وَيْحك ما أخسَّكَ م ما أخصَّك بالعيوبِ
وأكَدُّ وَجْهَك بالشناءَ م ةِ للعيون وللقلوبِ
وجهٌ قبيحٌ في التبسُّم م كيف يحسُنُ في القطوبِ

واخبر ابن حمدون في تذكرته (Ms British Museum, Or. 3179, fol. 98)
قال : «حضر يوماً بشر بن هارون وجماعة من الكتّاب في دار محمّد المهلّبي الوزير بحيث يراهم ويسمع كلامهم وهم لا يشاهدونهُ فانشأ احدهم يقول :

سِبالُ الوزيرِ سبالٌ كبيرُ

فقال الآخر :

وعقلُ الوزير وفضلٌ صغيرُ

فقال بشر بن هارون :

زيادةُ هـذا بنقصانِ ذا كما طال هذا النهارُ القصيرُ

فخرج اليهم المهلبي وشاتمهم وجلس معهم ومازحهم واجاز كلَّ واحدٍ»

وجاء في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ابي المحاسن (طبعة نيويرك ص ٥٩) وفيها (اي سنة ٣٨٥-٩٩٥م) توفي بشر بن هارون ابو نصر النصراني الكاتب وكان شاعرًا هجّاء خبيث اللسان كتب مرّة الى ابرهيم الصابي (السريع) :

حضرتَ بالجسم وقد كنتَ لو بالنفس لمَّا تَرَني حاضرا
أنطَقَني بالشعر حبّي لكم ولم اكن من قَبْلها شاعرا

فكتب اليهِ الصابئ تحت خطّهِ : «ولا بَعْدَها»

١٠ عيسى بن فرُّخنشاه

﴿اسمهُ واصلهُ ودينهُ﴾ هو عيسى بن فَرُّخنشاه من نصارى بغداد وكان

نسطوري النِحلة اشتهر في اواسط القرن الثالث للهجرة والتاسع للمسيح في ايّام الخلفاء العبّاسيين المستعين والمهتدي والمعتزّ والمعتمد تكرَّر ذكرهُ في عهدهم في تاريخ الطبري. ولعلَّ اسمهُ يدلّ على كون اصلهِ من العجم وقد ورد في بعض روايات الطبري على صورة «فَرْنشاه» وممّا اخبرهُ في حوادث السنين ٢٤٥و٢٤٩و٢٥١هـ(٣: ١٤٤٤ و١٥١٣—١٥١٤و١٦٤٠ و١٦٦١) انَّ الخليفة المستعين اتّخذهُ كاتبًا لوزيره الحسن بن مَخْلَد سنة ٢٤٥ (٨٥٩م) ثم ولّاهُ ديوان الخراج بعد عَزْل الفضل بن مروان سنة ٢٤٩هـ(٨٦٣م). واثبتهُ عليهِ خلفهُ المعتزّ. وذكر في تاريخ سنة ٢٥٢هـ(٨٦٦م) انَّ الاتراك وثبوا عليهِ فتناولوهُ بالضرب واخذوا دوابَّهُ فقام المغاربة للدفاع عنهُ. وروى في تاريخ سنة ٢٥٦ (٨٧٠م) ثورة الاتراك على الخليفة المهتدي وثبات عيسى بن فرُخنشاهُ في وجههم وقال: «انَّ الامور كانت تجري على يدهِ وانَّ مقامهُ كان كمقام الوزير»

وعلى ظنّنا انهُ هو الذي اشار اليهِ ابن ماري في تاريخ بطاركة المشرق (ص ٨٣) حيث قال انَّ فَرُخانشاه قام باستقبال يوانّيس مطران الموصل لمّا تعيَّن جاثليقًا على النصارى سنة ٢٨٠ (٨٩٣م). امّا سنة وفاتهِ فلم نقف عليها وقد اشتهر من قرابتهِ الأَخوان سعيد وعبدالله ابنا فرُخنشاهُ ولعلّ عيسى كان بكرهما. وكان سعيد يكنّى بابي عمرٍو ثمّ ذكرهما هلال الصابي في تاريخ الوزراء (ص ١٦١و٢٠٥ و٢٤٠—٢٤١) وقال انهما كانا نصرانيين وكاتبين للوزير ابي الحسن بن الفرات وذكر لهما اخبارًا شتّى. وكذلك ذكر عَريب القرطبيّ في تاريخ الصلة(ص ٥٩) الفضلَ بن يحيى بن فرُخنشاه الديواني النصراني من دير قنّا على عهد الخليفة المقتدر واستصفاء الخليفة لمالهِ

﴿آدابهُ وشعرهُ﴾ كان عيسى بن فرُخنشاه من كتّاب ديوان الخلفاء ذوي الانشاء البديع. ذكرهُ ابن النديم في الفهرست (ص ١٦٧) فقال: انهُ كان كاتبًا مقلًّا وقد ذكر لهُ الصابئ في أدب الكتّاب شعرًا قال (ص ٤٦): «اهدى بعضُ الكتّاب غلامًا كاتبًا الى رئيس لهُ وكتب اليه يصفهُ بالخطّ وغيرهِ. وسمعتُ من يحكي انَّ قائلَ ذلك عيسى بن فرُخُنشاه بابراهيم بن عبّاس الصولي وكان عيسى يكتب لهُ ولا ادري كيف صحّتهُ لاني لم اعتدّ بما لم اسمعهُ من افواه الرجال (من الكامل):

إقْبَلْ هديَّةَ شاكرٍ تَجزيهِ بالنَّزْرِ الجليلا

بـدرًا يُضِيءُ اذا نظَرْ ... تَ اليهِ لم يأْلَفْ أُفولا(١

اني بعثتُ بهِ وكنـتُ بحُسْنِ موقعهِ كفيلا

لمَّا رأيتُ بخطّهِ ... حُسناً يصيدُ بهِ العقولا

كمُنَمْنَمِ المَوْشيّ قد ... سحَبَ القِيانُ بهِ الذيولا(٢

او كالرياض بكى الحَيا ... فيها فأَوسَعَها هُمولا (٣

وتراهُ للمعنى اللطيفِ م اذا اثَرْتَ بهِ قَبولا

لا مستعيدًا منك اذ ... تُملي عليهِ ولا مَلُولا

عرَفَ المبادئَ والوصو ... لَ من الحكايةِ والفُصولا

وصنوفَ ترتيبِ الدعا ... ءِ وأَنْ يُقَصّرَ او يُطيلا

والهَمْزَ والممدود والـمقصور والمَثَلَ المَقُولا

والفعلَ والاسماءَ والـمصروفَ منها والثقيلا

فأَستَكْفِهِ واُضمِرْ لهُ ... أَن لا تُريد له البديلا

يَحمِلْ بفضلِ لسانهِ ... وبيانهِ منك الثَقيلا

وروى الصولي ايضاً (ص ٨٤) قال دخل عيسى بن فرُخنشاه على جارية وهي تكتب خطًّا حسناً فقال (من الطويل) :

١) يقال : افل البدرُ افولًا اذا غاب

٢) قال في شرحهِ : يقال وشيتُ الثوب وشياً من باب وَعَدَ رقمْتُهُ ونقشتُهُ فهو موشيّ والاصل مفعول . ونمنمتُهُ نمنمة رقشتُهُ وفي الصحاح : هي خطوط متقاربة قصار شبْه ما تُنمنمُ الريحُ من دقاق التراب ولكل وشيٍ نمنمة . والقيان جمع قَيْنةوهي الأمة المغنية او اعمُّ . والتقيُّن التزيُّن بالوان الزينة

٣) الحيا مقصور الغيثُ . وهمل المطر همولًا جرى

سريعةُ جَرْيِ الخطّ تَنْظمُ لؤلؤاً ويـنثرُ دُرًّا لفظُهـا المترشّفُ

وزادت لـدَينا حظوةً ثمّ اقبلَتْ وفي اصبعَيْها اسمرُ اللونِ مُرْهفُ(١

أَصمُّ سميعٌ سـاكـنٌ متحرّكٌ ينال جسيماتِ المدى وهو اعجفُ(٢

١١ ابن بطريق

في كتاب مسالك الابصار في اخبار ملوك الأَمصار لشهاب الـدين ابي العبّاس احمد العمري (نسخة المكتبة الخديويّة ٥ : ١٤٧) بعد ترجمة ابن عدلان ذكر المؤلف ابياتاً نسبها الى ابن بطريق ولم يزد افادةً . وقد تسمّى غير واحد بابن البطريق كسعيد ابن البطريق صاحب التاريخ ويحيى او يوحنا بن بطريق وعيسى بن بطريق وكلّهم نصارى عاشوا في القرن التاسع للميلاد . والمرجَّح انَّ الابيات لاحدهم نذكرها هنا تتمّةً للافادة يخاطب فيها الشاعرُ موفَّقَ الدين ابن عدلان متفكّهاً (من البسيط) :

موفَّق الدين يا مَنْ في فكاهتهِ وفيهِ يحلو لعَيْن الساهرِ الأَرَقُ

انَّ ابنَ عدلانَ في إيقاد شمعتهِ ما شانَهُ الغَيظُ من بُخْلٍ ولا الخَنَقُ

لكن رأى الليل أَولى ان يُقَضّيَهُ في نيّراتِ معـانٍ منك تأْتلقُ

لا شيء احسنُ منها اذ بدت شُعُلاً شتَّى يُنظَّم فيها لؤلؤٌ نَسَقُ

١٢ ابن بُطلان المتطبّب الراهب

﴿اسمهُ ووطنهُ ودينهُ واساتذتهُ﴾ قال جمالُ الدين القفطيّ في تاريخ الحكماء

---

١) مُرهف اسم مفعول من ارهفتُ السيف ونحوهُ اذا رقّقت شفرتَهُ

٢) الاعجف الهازل

(ص ٢٩٤) : هو الحكيم ابو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون طبيب منطقي نصراني من اهل بغداد قرأ على علماء زمانهِ من نصارى الكرخ. وقال ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء من طبقات الاطباء (١ : ٢٤١) : « كان قد اشتغل على ابي الفرج عبدالله بن الطيب(١ وتتلمذ لهُ وأتقن عليهِ قراءة كثيرٍ من كتب الحكمة وغيرها. ولازَمَ ايضاً ابا الحسن ثابت بن ابرهيم بن زهرون الحرّاني الطبيب واشتغل عليهِ وانتفع بهِ في صناعة الطبّ وفي مزاولة اعمالها» . وجاء لجمال الدين القفطي في محلّ آخر (ص ٣١٤) ما حرفهُ : « وقد كان ابن بطلان هذا من اصحاب ابي الفرج ابن الطيّب البغداديّ وكان ابو الفرج يُجلّهُ ويعظّمهُ ويقدّمهُ على تلاميذهِ ويكرّمهُ ومنهُ استفاد وبعلمهِ تخرَّج وقد رأيتُ مثال خطّ ابي الفرج لهُ على كتابه ثمار البرهان من شرحهِ وهو : «قرأ عليَّ هذا الكتاب من اوّلهِ الى آخرهِ الشيخ الجليل ابو الحسن المختار بن الحسن ادام الله عزّهُ وفهّمهُ غاية الفهم»

﴿اخبارهُ واسفارهُ﴾ قد اغنانا جمال الدين وابن ابي اصيبعة عن تفتيش اخبارهِ والتنقيب عنها الّا انَّ بين روايتها تبايُناً لا بُدَّ من ذكرهِ للانتقاد. قال القفطي (ص ٢٩٤) : « كان (اي ابن البُطلان) مشوَّهُ الخِلقة غير صبيحها كما شاء الله فيهِ وفضُلَ في علم الاوائل يرتزق بصناعة الطبّ وخرج عن بغداد الى الجزيرة والموصل وديار بكر ودخل حلب واقام وما حمدها » . ومن ظريف ما حصل لهُ في حلب وقتئذٍ ما اخبرهُ القفطي قال (ص ٣١٥) : « ولمّا دخل ابن بُطلان الى حلب وتقدَّم عند المستولي عليها سألهُ ردَّ امر النصارى في عبادتهم اليهِ فولّاهُ ذلك واخذ في إقامة القوانين الدينيَّة على اصولهم وشروطهم فكرهوهُ. وكان بحلب رجلٌ كاتب طبيب نصرانيّ يُعرف بالحكيم ابي الخير بن شرارة وكان اذا اجتمع بهِ وناظرهُ في امر الطبّ يستطيل عليهِ ابن بطلان بما عندهُ من التقاسيم المنطقيَّة فينقطع في يدهِ واذا خرج عنهُ حملهُ الغيظ على الوقيعة فيهِ ويحمل عليهِ نصارى حلب . فلم يمكن ابنَ بطلان المقامُ بين أظهرهم وخرج عنهم وكان ابن شرارة بعد ذلك يقول : لم يكن اعتقادهُ مَرضيًّا» (٢

١) هو الفيلسوف النسطوري كاتب الجاثليق صاحب التآليف الدينيَّة والفلسفيَّة والطبيَّة المتعددة المتوفّى سنة ١٠٤٥م (اطلب كتابنا المخطوطات العربيَّة لكتبة النصرانيَّة ص٢٢ ع٦٧)

٢) لعلَّه يشير بذلك الى مذهب ابن بطلان النسطوري

ثم قال القفطي : وخرج ابن بطلان عن حلب الى مصر فاقام بها مدَّةً قريبة واجتمع فيها بابن رِضوان المصري الفيلسوف في وقتهِ وجرت بينهما منافرة احدثتها المغالبة في المناظرة وخرج ابن بطلان عن مصر مُغضَباً على ابن رِضوان وورد انطاكية راجعاً عن مصر فاقام بها وقد سَئِمَ كثرة الاسفار وضاقَ عَطَنهُ عن معاشرة الأَغمار فغلب على خاطره الانقطاع فنزل بعض دِيَرَة انطاكية وترهَّب وانقطع الى العبادة الى ان توفي بها في شهور سنة اربع واربعين واربعمائة (١٠٥٢م) »

ورواية ابن القفطي كاد ابنُ العبريّ ينقلها بحرفها في تاريخهِ مختصر الدول (ص ٣٣١)

امَّا رواية ابن ابي اصيبعة فهي اوسع وادقّ وهي تختلف عن رواية جمال الدين في عدَّة امور قال (ص ٢٤١) : « وكان ابن بُطلان معاصرًا لعليّ بن رِضوان الطبيب المصري وكان بين ابن بُطلان وابن رضوان المراسلات العجيبة والكتب البديعة الغريبة ولم يكن احد منهم (منهما) يؤلف كتاباً ولا يبتدع رأياً إلّا ويردّ الآخر عليهِ ويُسفّه رأيهُ فيه . وقد رأيتُ اشياء من المراسلات التي كانت فيما بينهم (بينهما) ووقائع بعضهم (بعضهما) في بعض . وسافر ابن بطلان من بغداد الى ديار مصر قصدًا منهُ الى مشاهدة علي بن رِضوان والاجتماع به . وكان سفرهُ من بغداد في سنة ٤٣٩ (١٠٤٢م) . ولما وصل في طريقه الى حلب اقام بها مدَّةً واحسن اليه مُعزّ الدولة ثِمال ابن صالح بها واكرمهُ اكراماً كثيرًا . وكان دخولهُ الفسطاط في مستهلّ جمادى الآخرة من ٤٤١ (ك ١ ١٠٤٩) واقام بها ثلث سنين وذلك في دولة المستنصر بالله (ص ٢٤٢) من الخلفاء المصريين . وجرت بين ابن بُطلان وابن رضوان وقائع كثيرة في ذلك الوقت ونوادر ظريفة لا تخلو من فائدة . وقد تضمَّن كثيرًا من هذه الاشياء كتابٌ أَلَّفهُ ابن بُطلان بعد خروجه من ديار مصر واجتماعهِ بابن رضوان . ولابن رِضوان كتابٌ في الردّ عليهِ . وكان ابن بُطلان اعذب ألفاظًا واكثر ظرفاً وأَميَز في الادب وما يتعلّق بهِ . وممّا يدلُّ على ذلك ما ذكرهُ في رسالتهِ التي دعاها بدعوة الاطباء . وكان ابن رِضوان أَطبَّ وأَعلَمَ بالعلوم الحكميَّة وما يتعلّق بها . وكان ابن رِضوان أَسود اللون ولم يكن بالجميل الصورة . ولهُ مقالة في ذلك يردُّ فيها على من عيَّرهُ بقُبح الخلقة وقد بيَّن فيها بزعمهِ انَّ الطبيب الفاضل لا يجب ان يكون وجههُ

جميلًا . وكان ابن بطلان اكثر ما يقع في عليّ بن رضوان من هذا القبيل واشباهه . ولذلك يقول فيه في الرسالة التي وسمها بوقعة الاطبّاء (من الطويل) :

فلمَّا تبدَّى للقوابلِ وجههُ نكصْنَ على أعقابهنَّ من النَّدَمْ
وقُلنَ وأخفينَ الكلام تسترًّا : ألا ليتنا كنَّا تركناهُ في الرَّحِمْ

«وكان يلقّبهُ بتمساح الجنّ . وسافر ابن بطلان من ديار مصر الى القسطنطينيَّة واقام بها سنةً وعرضت في زمنه اوباء كثيرة . ونقلتُ من خطّهِ ما ذكر من ذلك ما هذا مثالهُ قال :

«ومن مشاهير الأوباء في زماننا الذي عرض عند طلوع الكوكب الاثاري في الجوزاء من سنة ٤٤٦ (١٠٥٤م) فانَّ في تلك السنة دُفن في كنيسة لوقا بعد ان امتلأت جميع المدافن في القسطنطينيَّة ١٤,٠٠٠ نَسَمة في الخريف . فلمَّا توسط الصيف في سنة ٤٤٧ (١٠٥٥م) لم يوفِ النيل فمات في الفسطاط والشام اكثر اهلها وجميع الغرباء إلَّا من شاء الله . وانتقل الوباء الى العراق فأتى على اكثر اهلهِ واستولى عليهِ الخراب بطروق العساكر المتعادية واتّصل ذلك بها الى سنة ٤٥٤ (١٠٦٢م) وعرض للناس في اكثر البلاد قروح سوداويّة واورام الطحال . . . ولمَّا نزل زُحَلُ برجَ السرَطان تكامل خراب العراق والموصل والجزيرة واختلت ديار بكر وربيعة ومُضَر وفارس وكرمان وبلاد المغرب واليمن والفسطاط والشام واضطربت احوال ملوك الارض وكثُرَت الحروب والغلاء والوباء . . . (وذكر مَنْ فُقد من العلماء بزمانهِ في مدَّة بضع عشرة سنة) بوفاة الاجلّ المرتضى والشيخ ابي الحسن البصري والفقيه الحسن القدوري واقضى القضاة الماوردي وابن الطيّب الطبري على جماعتهم رضوان الله . ومن اصحاب علوم القدماء ابو عليّ بن هيثم وابو سعيد اليمامي وابو علي بن السمح وصاعد الطبيب (ص٢٤٣) وابو الفرج عبدالله ابن الطيّب . ومن متقدّمي علوم الادب والكتابة علي بن عيسى الربعي وابو الفتح النَّيسابوري وبهمنيار الشاعر وابو العلاء بن نزيك وابو عليّ بن موصلايا والرئيس ابو الحسن الصابي وابو العلاء المعرّي . فانطفأت سُرُج العلم وبقيت العقول بعدهم في الظلمة»

«وتوفي ابن بطلان ولم يتَّخذ امرأةً ولا خلّف ولدًا ولذلك يقول من ابيات (من الطويل) :

ولا احدٌ ان متُّ يبكي لميتتي سوى مجلسي في الطبّ والكُتب باكيًا

(قلنا) فمن هذا يتَّضح وجود عدَّة اختلافات بين رواية ابن ابي أُصيبعة ورواية جمال الدين القفطي :

١ً يذكر جمال الدين قبح صورة ابن بطلان . وامَّا ابن ابي اصيبعة فانهُ ينسب ذلك الى علي بن رضوان خصمهِ . ولو كان ابن بُطلان مثلهُ قبحاً لما تجاسر على هجوهِ

٢ً قال جمال الدين انَّ ابن بُطلان « اقام في مصر مدَّةً قريبة » إمَّا ابن ابي اصيبعة فجعل اقامتهُ هناك «ثلاث سنين»

٣ً ذكر جمال الدين انَّ ابن بطلان عاد من مصر الى انطاكية وترهَّب ببعض اديرتها . امَّا ابن ابي اصيبعة فيذكر انهُ سافر من مصر الى القسطنطينيَّة واقام فيها سنةً

٤ً وجعل جمال الدين وفاة ابن بطلان في انطاكية سنة ٤٤٤ (١٠٥٢م) على خلاف ما ورد من التفاصيل في ابن ابي اصيبعة اذ يذكر ما كتبهُ في السنتين ٤٤٥ و ٤٤٦ . لا بل ذكر في جملة تآليفهِ (ص ٢٤٣) مقالةً صنَّفها في انطاكية سنة ٤٥٥ (١٠٦٣م) ويؤيد ذلك بقولهِ «انَّ ابن بطلان صنَّف كتاب دعوة الاطباء ألّفها للامير نصير الدولة ابي نصر احمد بن مروان» . قال : «ونقلتُ من خطّ ابن بُطلان وهو يقول في آخرها : فرغتُ من نسخها انا مصنفها يوانيس الطبيب المعروف بالمختار بن الحسن بن عبدون بدير الملك المنيَّح قسطنطين بظاهر القسطنطينيَّة في آخر ايلول من سنة ١٣٦٥ (اي من تاريخ اليونان) . ويكون ذلك بالتاريخ الاسلامي من سنة ٤٥٠» فترى انَّ ابن بطلان مكث زمناً طويلًا في القسطنطينيَّة وانَّ وفاتهُ بعد السنة ٤٤٤ بعدَّة سنين . وفي كشف الظنون للحاج خليفة (٤ : ٣١٨) انَّ وفاة ابن بُطلان وقعت سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧٠—١٠٧١م) . وبين التاريخين كما ترى بونٌ عظيم

﴿أدب ابن بطلان وشعرهُ﴾ يشهد على أدب ابن بطلان وشعرهِ ابنُ ابي اصيبعة حيث يقول (١ : ٢٤٣) : « ولابن بُطلان اشعار كثيرة ونوادر ظريفة وقد ضمَّن منها اشياء في رسالته التي وسمها بدعوة الاطباء وفي غيرها من كتبهِ . ودعوة الاطباء هذه قد عُني بطبعها المرحومان الدكتور بشاره زلزل في مصر والدكتور اسكندر البارودي في الطبيب . ومنها نسخةٌ حسنة قديمة في مكتبتنا الشرقيَّة . وهذه بعض امثلةٍ من شعر ابن بطلان ممَّا ورد في كتابه دعوة الاطباء (ص ٢٠) قال في اختيار الاصحاب (من الوافر) :

عدوُّك من صديقك مستفادٌ فلا تستكثرنَّ من الصِحابِ
لانَّ الداء اكثرُ ما تراهُ يكونُ من الطعام او الشرابِ

وقال (ص ٢٤) في منفعة الادوية (من الوافر) :

فانَّ المُرّ حين يَسُرُّ حلوٌ وانَّ الحُلوَ حين يضرُّ مرُّ
فخُذْ مُرًّا تُصادِفْ منهُ حلوًا ولا تَعْدِلْ الى حلوٍ يَضُرُّ

ولهُ (ص ٦٢) يهجو طبيباً (من المنسرح) :

قالت لهُ النفسُ: كُنْ طبيباً تقضي على الناس بالذهابِ
تأخذُ مالَ العليلِ قهرًا ثمَّ توأتيهِ الى الترابِ

وقال (ص ٦٧) في نكبات الزمان بعد فقد احد احبابهِ (من البسيط) :

عينُ الزمانِ أصابَتنا فلا نظرَتْ وعذّبتْ بعذابِ الهجر ألوانا
قد كنتُ أُشفقُ من دمعي على بَصَري فاليومَ كلُّ عزيزٍ بعدكم هانا

ومن اقوالهِ (ص ٧٠) عن لسان من لا يرى إلّا سلامة نفسه (من الرمل) :

انَّما دُنيايَ نفسي فاذا ذهبَتْ نفسي فلا عاش أَحَدْ
ليتَ انَّ الشمس بعدي غَرَبَتْ ثمّ لم تَطْلُعْ على اهلِ بَلَدْ

وقال (ص ٨٧) في مصالحة العدوّ (من الوافر) :

وكم من مُرْتَدٍ للصُّلح يوماً فلم يَنْجَحْ بذاك الارتيادِ
لانَّ الجُرْح يُنقَضُ بعد حينٍ اذا كان البناءُ على فسادِ

وممَّا انشدهُ في البطنة والشرَه (من المنسرح) :

كم اكلةٍ دخلَتْ حَشا شَرِهٍ فأخرَجتْ روحهُ من الجسدِ
لا باركَ اللهُ في الطعام اذا كان هلاكُ النفوسِ بالمَعدِ

رحلة ابن بطلان الى الشام

هذه الرحلة صنَّفها ابن بطلان على صورة رسالة كتبها ووجَّهها الى بغداد الى ابي الحسن هلال بن الحسن الصابي (١ سنة ٤٤٠ ه (١٠٤٩ م) رواها ياقوت قطعاً متفرّقة في معجم البلدان وجمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء

وكانت احوال الشام في تلك السنين مضطربة وكثرت فيها الحروب. كان الخليفة في بغداد القائم بامر الله وكانت مصر تحت حكم المستنصر بالله العلويّ. وكان يملك على حلب معزّ الدولة ثمال بن صالح بن مرداس صاحب الرَّحبة سابقاً. امَّا انطاكية فكان استولى عليها الروم سنة ٣٥٢ ه (٩٦٣م) في عهد «نيقيفورس فوكاس» فبقيت في يدهم الى السنة ٤٧٧ه (١٠٨٤م) فدخلها ابن بطلان في ايَّام حكم الروم عليها :

« ﴿المقدَّمة﴾ بسم الله الرحمن الرحيم أنا لِما اعتقدهُ من خدمة سيّدنا السيد الاجلّ اطال الله بقاءَهُ وكَبَتَ اعداءَهُ دانياً وقاصياً، وأفترِضَهُ من طاعتهِ مقيماً وظاعناً، أَضمرتُ عند وداعي حضرتهُ العالية وقد ودَّعتُ منها الفضل والسؤدد والمجد والفخر والمَحْتِد أَن اتقرَّب اليها وأُجدّد ذكري عندها بالمطالعة عمَّا أَستطرفُهُ من اخبار البلاد التي أَطرُقها واستغربها من غرائب الاصقاع التي أَسلكها خدمةً للكتَّاب الذي هو تاريخ المحاسن والمفاخر، وديوان المعالي والمآثر، ليودعهُ ادام الله تمكينهُ منها ما يراهُ ويلحق ما يستوقفهُ ويرضاهُ وعليَّ ذكرهُ. فما رأيتُ احداً بمصر وهذه الاعمال اكثر من الراغب فيهِ. وكل رئيس في هذه الديار متشوّق اليهِ ولوصولهِ مترقّب متوقّع. ولو وصلتْ منهُ نسخة لبلغ الجالبُ لها أُمنيتهُ في رِبحها ونَفعها. والى الله تعالى ارغب في نشر فضيلتهِ الباهرة ومحاسنهِ الزاهرة بجودهِ

« ﴿من بغداد الى حلب﴾ كنتُ خرجتُ من بغداد وبدأْتُ بلقاء مشايخ البلاد وخواصّها واستملاء ما عندهم من آثارها وعجائبها. فذُكر لي اخبار مستطرفة وغرائب

١) وروى ياقوت (٢: ٣٠٦) انهُ كتبها الى هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابي في دولة بني مرداش. وهلال هذا من مشاهير الكتاب توفي سنة ٤٤٨ ه (١٠٥٦م)

عجيبة وعجائب غريبة وانواع من الشعر (١ رائقة . واضيق الوقت وسُرعة الرسول اضربت عن اكثره واختصرتُ على أقلّه . وكنتُ خرجتُ على اسم الله وبركته مستهَلّ شهر رمضان سنة اربعين واربعمائة (ك ٢ ١٠٤٩) مُصعدًا في نهر عيسى (٢ على الانبار . ووصلتُ الى الرَّحبة (٣ بعد تسع عشرة مرحلة وهي مدينة طيّبة وفيها من انواع الفواكه ما لا يُحصى وبها تسعة عشر نوعاً من الأَعناب . وهي متوسّطة بين الانبار وحلب وتكريت والموصل وسنجار والجزيرة . وبينها وبين قصر الرصافة مسيرة اربعة ايّام . « وهذا القصر (٤ حصنٌ دون دار الخلافة ببغداد مبنيّ بالحجارة وفيه بيعة عظيمة ظاهرُها بالفصّ المذهَّب (٥ انشأها قسطنطين بن هيلانة وجدّد الرَّصافة وسكنها هشام بن عبد الملك وكان يَفرَع (يفزَع) اليها من البقّ في شاطئ الفرات . وتحت البيعة (٦ صهريج في الارض على مثل بناء الكنيسة معقود على اساطين الرخام مبلَّط بالمرمر مملوء من ماء المطر . وسكان هذا الحصن بادية اكثرهم نصارى ومعاشهم تخفير القوافل وجَلب المتاع والصعاليكُ مع اللصوص . وهذا القصر في وسط بريّة مستوية السطح لا يردّ البصر من جوانبها إلّا الأُفق »

« ﴿حلب﴾ ورحلنا منها الى حلب (٧ في اربع رحالات وهي بلدٌ مسوَّر بالحجر الابيض فيه ستة ابواب وفي جانب السور قلعة في اعلاها مسجد وكنيستان وفي احداهما كان المذبح الذي يقرّب عليه ابراهيم عم . وفي اسفل المغارة كان يخبأ فيها غنمهُ واذا حلبها اطاف الناس بلبنها فكانوا يقولون : « حَلَبَ ام لا » ويسأل بعضهم

١) ويروى : اقطاع من الشعر
٢) نهر عيسى احد الانهار المشتقّة من الفرات
٣) الرحبة هي المدينة المعروفة برحبة مالك بن طوق على شطّ الفرات
٤) ما وُضع بين هلالين ورد في معجم البلدان لياقوت (٢ : ٧٨٥) ولم يروه جلال الدين القفطي
٥) الفصّ المذهب هو المعروف بالفسيفساء (mosaïque)
٦) كانت في الرصافة بيعة للقديس سرجيوس الذي استشهد هناك مع القديس بَخُوس وكان العرب يعظمونها وذكرها الاخطل في شعره
٧) هذا الوصف ذكرهُ ايضاً ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٣٠٦)

بعضاً عن ذلك فسُمّيت حلب (١ . وفي البلد جامع وستُّ بِيع وبيمارستان صغير والفقهاء يُفتون على مذهب الإماميَّة . وشربُ اهل البلد من صهاريج مملوءة بماء المطر . وعلى بابهِ نهرٌ يُعرف بقُوَيق يَمُدُّ في الشتاء وينضبُ في الصيف . وفي وسط البلد دار عُلوَةَ صاحبة البحتري (٢ وهو بلد قليل الفواكه والبقول والنبيذ إلّا ما يأتيهِ من بلاد الروم (٣ . ومن عجائب حلب انَّ في قيساريَّة البَزّ عشرين دكاناً لوكلاء يبيعون فيها كل يوم متاعاً قدرهُ عشرون الف دينار . مستمرٌّ ذلك منذ عشرين سنة والى الآن . وما في حلب موضع خراب اصلًا »

﴿انطاكية﴾ وخرجنا من حلب طالبين انطاكية بينها يوم وليلة فبتنا في بلدةٍ للروم تُعرف بعِمٍّ فيها عين جارية يُصاد فيها السمك ويدور عليها رحى وفيها من الخنازير (٤ ومباح النساء والخمور امرٌ عظيم . وفيها اربع كنائس وجامع يؤذّن فيهِ سرًّا . والمسافة التي بين حلب وانطاكية عامرة لا خراب فيها اصلًا ولكنها ارضُ زرعٍ للحنطة والشعير تحت شجر الزيتون (٥ قراها متصلة ورياضها مزهرة ومياهُها منفجرة يقطعها المسافر في بالٍ رخيٍّ وأمن وسكون . وانطاكية بلد عظيم ذو سور وفصيل وللسور ثلثمائة وستون برجاً يطوف عليها بالنوبة اربعة آلاف حارس يُنفَذون من القسطنطينيَّة من حضرة الملك فيضمنون حراسة البلد سنةً ويُستبدَل بهم في الثانية . وشكل البلد كنصف دائرة قُطرها يتَّصل بجبل والسور يصعد مع الجبل الى قُلّتهِ ويستتمّ دائرة (٦ . وفي رأس الجبل داخلَ السور قلعةٌ تبينُ لبعدها من البلد صغيرةً . وهذا الجبل يستر عنها الشمس فلا تطلع عليها الّا في الساعة الثانية . والسور المحيط بها دون الجبل خمسة ابواب وفي وسطها بيعة القسيان (٧ . وكانت دار قُسيان

(١) هذه رواية ضعيفة فانَّ اسم حلب ورد في الآثار الاشوريَّة قبل عهد ابراهيم الخليل
(٢) هي علوة بنت زُرعة الحلبيَّة كان البحتري يشبّب بها
(٣) هذا ما ذكرهُ القفطي لابن بطلان عن حلب وزاد عليهِ ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٣٠٧) ذكر بعض شعراء وجدهم في حلب وختم بها وضعناهُ بين هلالين
(٤) روى ياقوت (٣ : ٧٢٩) : « مشارير الخنازير
(٥) روى القفطي : بجنب شجر الزيتون
(٦) روى ياقوت : فتتمّ دائرة
(٧) روى القفطي : قلعة القسياني

للملك الذي احيا ولدَهُ فُطرس رئيس الحواريين (١ وهو هيكل طولهُ مائة خطوة وعرضهُ ثمانون وعليهِ كنيسة على أساطين ودائر الهيكل اروقة يجلس فيها القضاة للحكومة ومعلمو (٢ النحو واللغة . وعلى احد ابواب هذه الكنيسة فِنجان (٣ الساعات يعمل ليلًا ونهارًا دائمًا اثنتي عشرة ساعة وهو من عجائب الدنيا . وفي أعلاه خمس طبقات في الخامسة منها حمَّامات وبساتين ومقاصير حسنة (٤ تخرُّ منها المياه وعلَّة ذلك انَّ الماء ينزل عليها من الجبل المطلّ على المدينة

وهناك من الكنائس ما لا يُحدّ كثرةً كلُّها معمولة بالفضّ (بالفِصّ) الذهب (٥ والزجاج الملوَّن والبلاط المجزَّع . وفي البلد بيمارستان يراعي البطريرك المرضى فيهِ بنفسهِ . «ويُدخل المجذَّمين الحمَّامَ في كل سنةٍ فيغسل شعورهم . ومثل ذلك يفعل الملك بالضعفاء كل سنةٍ ويعينهُ على خدمتهم الاجلَّاء من الرؤساء والبطارقة التماس التواضع (٦ » . وفي المدينة من الحمَّامات ما لا يوجد مثلهُ في مدينةٍ اخرى لذاذةً وطِيبةً « لان وَقودها من الآس وماءَها تسعى سَيحاً بلا كلفة »

« وفي بيعة القُسْيان (٧ من الخدم المسترزقة ما لا يُحصى . ولها ديوان لدَخْل الكنيسة وخَرْجها . وفي الديوان بضعة عشر كاتباً . ومنذ سنةٍ وكسر وقعت في الكنيسة صاعقة وكانت حالُها عجيبة . وذلك انهُ تكاثرت الامطار في آخر سنة ١٣٦٢ للاسكندر الواقع في سنة ٤٤٢ للهجرة وتواصلت اكثر أيام نيسان . وحدث في الليلة التي صبيحتُها يوم السبت الثالث عشر من نيسان رعدٌ وبرقٌ اكثر ممَّا أُلِف

---

١) ورد في بعض التقاليد القديمة انَّ القديس بطرس الرسول لمَّا دخل انطاكية وجد ابن واليها الروماني ميتاً فاحياهُ وعمَّد الوالد والولد ونشر النصرانية في انطاكية واعطاهُ الحاكم قصرهُ فجعلهُ كنيسة عُرفت ببيعة القُسيان

٢) روى ياقوت : متعلّمو

٣) فِنْجان كلمة فارسيَّة تعريب بنكان وهي الساعة الرواليّة (clépsydre) ويقال في العربيَّة ايضاً بنكام

٤) روى ياقوت : مناظر حسنة

٥) روى ياقوت : بالذهب والفضَّة

٦) ما جعلناهُ بين هلالين رواهُ ياقوت وحدهُ (١ : ٣٨٢)

٧) كل هذه القطعة بين الهلالين التي تتضمَّن وصف الزلزلة التي حدثت في انطاكية لم يذكرها جلال الدين القفطي وانَّما دوَّنها ياقوت (١ : ٣٨٢-٣٨٤)

وعُهِد وسُمع في جملتهِ اصوات رعدٍ كثيرة مَهولة ازعجتِ النفوس ووقعت في الحال صاعقةٌ على صدَفةٍ مخبيَّة في المذبح الذي للقُسْيان ففلقت من وجه النَسرانيَّة (كذا) قطعةً تشاكل ما قد نُحت بالفاس والحديد الذي تُنحَت بهِ الحجارة وسقط صليبٌ حديد كان منصوباً على علوّ هذه الصدَفة وبقي في المكان الذي سقط فيهِ . وانقطع من الصَّدَفة ايضاً قطعة يسيرة . ونزلت الصاعقة من منفذٍ في الصدَفة وتنزَّل فيهِ الى المذبح سلسلة فضَّة غليظة يُعلَّق فيها الثميوطون (كذا) وسعة هذا المنفذ اصبعان فتقطَّعت السلسلة قطعاً كثيرة وانسبك بعضها ووُجد ما انسبك منها ملقًى على وجه الارض . وسقط تاج فضّةٍ كان معلّقاً بين يدي مائدة المذبح وكان من وراء المائدة في غربيّها ثلث كراسي خشبيَّة مربَّعة مرتفعة يُنصَب عليها ثلثة صلبان كبار فضّة مذهَّبة مرصّعة وقُلع قبل تلك الليلة الصليبان الطرَفيان وتشظّيا وتطايرت الشظايا الى داخل المذبح وخارجهِ من غير ان يظهر فيها اثر حريق كما ظهر في السلسلة ولم ينل الكرسيَّ الوسطانيَّ ولا الصليبَ الذي عليهِ شيء . وكان على كل واحد من الاعمدة الاربعة الرخام التي تحمل القبة الفضة التي تغطي مائدة المذبح ثوبُ ديباج ملفوف على كل عمود فتقطّع كل واحد منها قطعاً كباراً وصغاراً . وكانت هذه القطع بمنزلة ما قد عَفِنَ وتهرّأ ولا يُشبه ما قد لامستهُ نار ولا ما احترق ولم يلحق المائدة ولا شيئاً من هذه الملابس التي عليها ضررٌ ولا بان فيها اثرٌ . وانقطع بعضُ الرخام الذي بين يدي مائدة المذبح مع ما تحتهُ من الكلس والنورة كقطع الفاس . ومن جملتهِ لوح رخام كبير طفَرَ من موضعه فتكسَّر الى علوّ تربيع القبة الفضّة التي تغطّي المائدة وبقيت هناك على حالهِ وتطافرَ بقيَّة الرخام الى ما قرُب من المواضع وبَعُدَ . وكان في المجنَّبة التي للمذبح بكَرة خشب فيها حبل قُنّب مجاور السلسلة الفضة التي تقطّعت وانسبك بعضها معلّقٌ فيها طبق فضة كبير عليهِ فراخ قناديل زجاج بقي على حالهِ ولم ينطفئْ شيء من قناديلهِ ولا غيرها ولا شمعة كانت قريبة من الكرسيّين الخشب ولا زال منها شيءٌ . وكان جملة هذا الحادث مما يُعجب منهُ . وشاهدَ غير واحد في داخل انطاكية وخارجها في ليلة الاثنين الخامس من شهر آب من السنة المقدّم ذكرها في السماء شبهَ كُرَةٍ ينورُ منها نورٌ ساطعُ لامع ثم انطفأ واصبح الناس يتحدثون بذلك . وتوالت الاخبار بعد ذلك بانهُ كان في اوّل نهار الاثنين في مدينة غَنْجَرةَ وهي داخل بلاد

الروم على ١٩ يوماً من انطاكية زلزلة مهولة تتابعَتْ في ذلك اليوم وسقط منها ابنيةٌ كثيرة وخُسفَ موضعٌ في ظاهرها . وكان هناك كنيسة كبيرة وحصنٌ لطيف غابا حتى لم يبقَ لهما اثر ونبَعَ من ذلك الخَسْف ماءٌ حارٌ شديد الحرارة كثير المَنبَع المتدفق وغرق منهُ سبعون ضيعة . وتهارب خلقٌ كثير من تلك الضياع الى رؤوس الجبال والمواضع المرتفعة العالية فسلموا . وبقي ذلك الماء على وجه الارض سبعة ايَّام وانبسط حول هذه المدينة مسافة يومين ثمَّ نَضبَ وصار موضعهُ وحلًا . وحضر جماعة ممَّن شاهد هذه الحال فحدَّثوا بها اهل انطاكية على ما سطَّرتُهُ وحكوا انَّ الناس كانوا يُصعدون امتعتهم الى رأس الجبل فيضطرب من عظم الزلزلة فيتدحرج المتاع الى الارض»

«وظاهر البلد نهرٌ يُعرف بالمقلوب(١ يأخذ من الجنوب الى الشمال وهو مثل نهر عيسى وعليهِ رحى ويسقي البساتين والاراضي . وخارج البلد دير سمعان وهو مثل نصف دار الخليفة يُضاف فيها المجتازون يقال انَّ دَخْلَهُ في السنة اربعمائة الف دينار(٢ . ومنهُ يُصعَد الى جبل اللكَّام وفي هذا الجبل من الديارات والصوامع والبساتين والمياه المنفجرة والانهار الجارية والزهَّاد والسيَّاح وضرب النواقيس في الاسحار وألحان الصلوات ما يتصوَّر معهُ الانسان انهُ في الجنة . وفي انطاكية شيخ يُعرف بابي نصر ابن العطار قاضي القُضاة فيها لهُ يدٌ في العلوم مليح الحديث والإفهام

«وخرجت من انطاكية الى اللاذقية وهي مدينة يونانيَّة(٣ لها مينا ومَلعب وميدان للخيل مدوَّر . وبها بيتٌ كان للاصنام وهو اليوم كنيسة وكان في اوَّل الاسلام مسجدًا وهي راكبة البحر وفيها قاضي للمسلمين وجامع يصلّون فيهِ واذان في اوقات الصلوات الخمس . وعادة الروم اذا سمعوا الاذان ان يضربوا الناقوس . وقاضي المسلمين الذي بها من قبل الروم . . . ومن البلد من الحبساء والزهَّاد في الصوامع والجبال كلُّ فاضل يضيقُ الوقت عن ذكر احوالهم والالفاظ الصادرة عن صفاء عقولهم واذهانهم»

١) يريد نهر العاصي او نهر اورُنْط

٢) وجاء في ياقوت (٢ : ٦٧٢) : ولهُ من الارتفاع كل سنة عدَّة قناطير من الذهب والفضَّة

٣) كانت اللاذقيَّة وقتئذٍ في ايدي الروم

١٣ صاعد بن شمَّاس

﴿زمانهُ ودينهُ﴾ ورد ذكر صاعد بن شمَّاس في رحلة ابن بطلان ومنهُ يُستدل على زمانهِ وعلى دينهِ ووطنهِ . وقد مرَّ بك انَّ ابن بطلان عاش في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح . امَّا ما قال عنهُ ابن بطلان فورد في معجم البلدان لياقوت (٢ : ٣٠٧) في مـادَّة « حلب » قال ابن بطلان : «وفيها (اي حلب) كاتبٌ نصرانيٌّ لهُ في قطعةٍ في الخمر اظنه صاعد بن شمَّامة (كذا)»

خاضت صوارمُ ايدي المازحين (١ بها   فألبسَتْ جسمَها دِرْعاً من الحَبَبِ

فقولهُ «صاعد بن شمَّامة» قد اصاحهُ ناشر كتاب معجم البلدان في فهرس الاعلام (٦ : ٤٧٦) ودعاهُ «صاعد بن شمَّاس» ويحيل هناك الى الجزء الرابع (ص ٨٠) حيث يروي ثلثة ابيات انشدها «ابو زياد اصاعد» دون زيادة في التعريف ولعلَّها اصاعد آخر غير ابن شمَّاس فظنَّ ناشر الكتاب انها لهُ . فنرويها هنا على علَّاتها وهي واردة في مادَّة « قَرينة» اسم روضة او وادٍ قال (من الوافر) :

أَلا يا صاحبيَّ قِفا قليـلًا   على دار القـدورِ فحَيِّياها

ودارٍ بالشُّمَيط فحيِّيـا بي   ودارٍ بالقَرينـة فأسْألاهـا

سقتْهـا كلُّ واكفةٍ هتونٍ   تُرَجّيها جَنوبٌ او صَباها

فدارُ القدور والشُّميط والقَرينة كلّها امكنة في البرّيَّة . وهذا غاية ما عرفنـا عن صاعد المذكور

١٤ عون الراهب

﴿ زمانهُ وشعرهُ ﴾ ورد ذكرهُ في كتـاب زهر الآداب وثمر اللباب لابي

١) كذا في الاصل بالحاء ولعلّها «المازجين» بالجيم

اسحاق الحصري القيرواني فاستدللنا بذكره فيهِ انهُ كان من ادباء القرن الحادي عشر للمسيح سبق الحصري المتوفى سنة ٤٥٣ للهجرة الموافقة للسنة ١٠٦١ للمسيح . وقد روى لعون الراهب ابياتاً في مديح الغراب ردًّا على من يتشاءم بهذا الطائر فقال (في الطبعة المصرية على هامش عقد الفريد لابن عبد ربهِ(٢ : ٨٤)وفي الطبعة الجديدة (٢ : ١٧٠) (من الكامل) :

غلطَ الذين رأيتُهم بجهالةٍ يَلْحُون كلَّهُمُ غراباً ينعقُ
ما الذنبُ إلَّا للأَباعِرِ انَّها ممَّا يُشِتُّ جميعهم ويفرّقُ
انَّ الغراب بيُمْنهِ تدنو النوى وتُشتِّتُ الشَّمْلَ الجميعَ الأَيْنُقُ

وقد بحثنا كثيرًا في كتب الادباء وتراجم القدماء لنقف لعون المذكور على اثر فخاب رجاؤنا

١٥ ابن مَرْغَر الاشبيلي

﴿ زمانهُ ودينهُ ﴾ ابن مرغر هو ايضاً من شعراء القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح . وقد ورد اسمهُ على صور شتَّى فيُروى ابن مَرْغري وابن المرغوي وابن المزعريّ وابن المغربيّ . والصواب ما ذكرنا . كان في ايَّام الملك ابي القاسم محمَّد الملقَّب بالمعتمِد بن عبَّاد وهو آخر ملوك العبَّاديّين في اشبلية حاضرة الاندلس ملَكَ من السنة ٤٦١ الى ٤٨٤هـ (١٠٦٨—١٠٩١م) . وكان ابن مرغر من نصارى الاندلس لا شكَّ في الامر

﴿ اخبارهُ وشعرهُ ﴾ اخبارهُ قليلة وجدنا منهـا شيئاً في مخطوطات مكاتب اوربَّة الشرقيَّة . فمن ذلك ما جاء في كتاب اخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء(Ms de Leide, 834, II p. 288)للملك المنصور امير حماة المتوفَّى سنة ٦١٧ (١٢٢٠م) قال (ص ٢٤٧—٢٤٨)) :«ابن مرغر من نصارى الاندلس من اهل اشبيلية . قال الشيخ ابو عبَّاس شهاب الدين احمد بن يحيي بن الفضل العمري في

كتاب مسالك الابصار من ممالك الامصار : ابن مرغر النصراني مُجيدٌ على ما عُرف من مُدامه ، وعُلم منهُ من جهل ما فكَّ عنهُ فِدامه ، وقد تردَّى القلب (١ وهي ثِماد ، وتنطَّق الاوتاد وهي جماد ، وتُضيء النار وهي من حطب الى رماد ، والحمامةُ وهي عجماء قد تسعَجُ ، والغمامة وهي طُلَّةٌ تُستَنجَع »

ثمَّ انشد لهُ يصف كلبَ صيدٍ . وهي ستة ابيات رويت في نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (٢ : ٩٤٦) فقال : « حُكي ان ابن المرغوي (كذا) النصراني الاشبيلي اهدى كلبة صيد للمعتمد بن عبَّاد وفيها يقول (من المنسرح) :

لم أرَ مَلْهًى لذي اقتناصٍ (٢ ومكسباً مُقْنِعَ الحريصِ
كمثل خطَّارٍ ذاتِ جيدٍ أَتْلَعَ في صفرة القميصِ (٣
كالقوس في شكلها ولكن تنفذُ (٤ كالسَّهْم للقنيصِ
ان تَخِذَتْ أنفها دليلًا دلّ على الكامن العويصِ
محبوكةُ الظَّهْر لم يَخُنهُ لخوف بطنٍ لها خميصٍ (٥
لو انها تستثير برقاً لم يجدِ البرقُ من محيصِ

قال (ومنها في المديح) :

يشفع تأميلهُ (٦ بودٍّ شَفْعَ القياساتِ بالنصوصِ

وقد روى لهُ عماد الدين الاصفهاني في كتاب خريدة القصر وجريدة اهل العصر

---

١) كذا في الاصل . ولعلَّ الصواب تروَى القُلُب وهو جميع قَليب اي البئر وتروَّى كمثل رَوِيَ ٢) ويروى : لدى اقتناص
٣) ويروى : كمثل خطلاء . . اتلع مصفرّة . واتلع عن صفرة
٤) ويُروى : ينفذ
٥) ويروى : لم يخنهُ . . بها
٦) ويروى : تنويلهُ

(Ms de Paris, n° 3330, fol. 175^r, de Londre, 574) غيرها من الابيات ·
منها قولهُ في المديح (من الكامل) :

والله اكبرُ انت بدرٌ طالعٌ والنَّقعُ(١ دجنٌ والكماةُ نجومُ
والجُرْدُ افلاكٌ وانت مُديرها وعدوُّك الغاوي وانت رجومُ (٢

وقال في قوم بات عندهم فلم يوقدوا لهُ سراجاً (من البسيط) :

نزلتُ في آل مكحولٍ وضيفهُمُ كنازلٍ بين سمع الارض والبصرِ
لا تستضيءُ بضوءٍ في بيوتهمُ ما لم يكن لك تطفيلٌ على القمرِ

وقال يمدح كريماً رطَّب لسانهُ بكرمهِ وشحذ قريحتهُ في مديحهِ (من البسيط) :

انطقتني بالنَّدى حتى سرى نَفَسي كما تنفَّس في الأَنداء رَيْحانُ
وغاص في بحر نعماك المحيط بهِ فهذهِ دُرَرٌ منهُ ومَرْجانُ

١٦ زَبينا النصراني

﴿زمانهُ وشعرهُ﴾ زبينا اسم سرياني بمعنى المبيع والمملوك · كان في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح · ذكرهُ الراغب الاصفهاني (المتوفى سنة ٥٠٢هـ ١١٠٨م) في كتابهِ محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء وروى لهُ شعرًا (١ : ١٩٦) في باب الرجل « الموصوف بكثرة المساوئ » بعد ذكره لقول الاخطل :

قومٌ تناهى اليهم كلُّ فاحشةٍ وكلّ مخزيةٍ سُبَّتْ بها مُضَرُ

قال زبينا النصراني (من البسيط) :

---

١) ويروى : والنفع بالفاء
٢) وفي نفح الطيب (٢ : ٩٤٦) : والجودُ ... وهنّ رجوم

لي صاحبٌ لستُ أُحْصِي من محاسنهِ شيئاً صغيرًا ولا تُحصى مساويهِ(١

وليس فيهِ من الخيرات واحدةٌ واكثرُ السوء لا بل كلُّهُ فيهِ

وقد نقّبنا عن زبينا هذا لنعرف شيئاً من اخبارهِ فلم يُجدنا التنقيب شيئاً

١٧ ربيب النصراني

﴿زمانهُ وشعرهُ﴾ ربيب النصراني هو ايضاً من الشعراء الذين نقل عنهم بعضَ مقاطيع اشعارهم الراغبُ الاصفهاني في كتابهِ «محاضرات الادباء» وبهِ عرفنا زمانهُ اي انهُ من شعراء القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح. وفي غير هذا الكتاب لم نجد لهُ ذكرًا ولعلّهُ هو زبينا السابق ذكرهُ فيكون اسمهُ مصحَّفاً. امّا ما رواهُ عنهُ فهو بيت مفرد ذكرهُ في باب «المغالاة بما لا يقلّ وجودهُ» (١ : ٢٩٢) قال ربيب النصراني (من البسيط) :

وكلّ شيءٍ غلا او عَزَّ مَطلبُهُ مُسترخَصٌ ومُهانُ القَدْرِ إن رَخصَا

١٨ سعيد النصراني

﴿زمانهُ وشعرهُ﴾ سعيد النصراني هو الشاعر الثالث الذي اوقفنا عليهِ الراغب الاصبهاني في محاضراتهِ فأفادنا انهُ عاش في زمانهِ اي في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح ولم يزدنا علماً امّا شعرهُ فلم يروِ منهُ الّا ثلثة ابيات في باب «مزاورة الحبيب وملاقاته والنظر اليهِ» (٢ : ٦٤) قال سعيد النصراني (من الخفيف) :

وَعدَ البدرُ بالزيارةِ ليلًا فاذا ما وَفى قضيتُ نذوري

قلتُ : يا سيّدي وِلَمْ توْثر الليلَ على بهجة النهار المُنيرِ

١) في الاصل : احصى . وهو غلط لاختلاف القافية

قال : لا استطيعُ تغييرَ رسمي هكذا الرسمُ في طلوع البدورِ

وقد بحثنا بدون جدوى عن سعيد النصراني المذكور في الراغب فلم نتوفَّق الى معرفة شيء من اخبارهِ في سائر الكتب التي راجعناها

١٩ امين الدولة العلاء بن مُوصلايا

﴿ اسمهُ وزمانهُ ﴾ قال عماد الدين الاصبهاني في خريدة القصر وجريدة العصر (Ms de Paris, 3326) : «هو امين الدولة ابو سعد العلاء بن الحسن بن وَهب بن الموصلايا » وفي نسخة ليدن (Ms de Leide, 881, p. 41) وفي تراجم ابن خلِّكان (ص٥٤٥ طبعة باريس) انهُ يكنى «ابا سعيد العلاء بن الحسين» . وضبط ابنُ خلكان اسمهُ مُوصَلايا بضم الميم وسكون الواو وفتح الصاد قال : «وهو من اسماء النصارى» . كان منشأه بغداد فدعاهُ ابن خلكان «بالكاتب البغدادي ومنشئ دار الخلافة» على انَّ اسم جدّهِ يدلّ على انَّ اصلهم من المُوصل

اما زمانهُ فانهُ عاش في القرن الخامس للهجرة كانت وفاتهُ في ١٣ ربيع الاوَّل سنة ٤٩٧ (اواسط كانون الثاني ١١٠٤م) كما روى الاصفهاني في خريدة القصر وابن الاثير في الكامل . امّا ابن خلكان فجعل وفاتهُ في تاسع عشر من جمادى الاولى من السنة ويروى ثامن عشر جمادى

وجاء في نكت العميان للشيخ خليل بن ايبك الصفدي (مكتبة بايزيد في الاستانة نمره ١٦٣) انهُ ولد سنة ٤١٢ (١٠٢١م) فيكون عاش ٨٥ سنةً

﴿ دينهُ ﴾ ولد امين الدولة نصرانيًا وعاش نصرانيًّا في خدمة الخلفاء الى السنة ٤٨٤هـ (١٠٩١م) فاسلم . أمَّا اسلامهُ فلم يكن عن اقناع واختيار بل كرهاً واضطرارًا كما روى ابن تغري بردي في تاريخ سنة ٤٨٤ (ed. Popper, III, 287) قـال :

«فيها في صفر كتب الوزير ابو شجاع (محمَّد بن الحسين الرُّوذْراوَري) الى الخليفة (المقتدي بالله) يعرِّفه باستطالة اهل الذمَّة على المسلمين (كذا) وانَّ الواجب تمييزهم عنهم . فأمر الخليفة ان يفعل ما يراهُ . فألزمهم الوزير لبس الغيار والزنانير وتعليق الدراهم الرصاص في اعناقهم

مكتوبٌ «عليَّ الدراهم» وتُجعَل هذه الدراهم ايضاً في اعناق نسائهم في الحمَّامات ليُعرَفن بها وان يَلْبَسنَ الخفاف فردًا اسود وفردًا احمر وجلجلًا في ارجلهنَّ. فذلُّوا وانقمعوا بذلك وأسلم حينئذٍ ابو سعد ابن المُوصَلايا كاتب الانشاء للخليفة وابن اخيهِ ابو نصر هبة الله »

فترى التساهل المزعوم الذي يدَّعيهِ بعض الكتبة للخلفاء وكيف أُكره على جحود دينهم كثيرون من النصارى وفي جملتهم ابن الموصلايا أفيحقُّ لنا ان ننظمهُ في سلك الاسلام وان دان بهِ ظاهرًا في السنين الاخيرة من حياتهِ ؟

﴿ أخباره ﴾ كان ابن موصلايا من نصارى بغداد المنتمين الى البدعة النسطوريَّة ورد ذكرهُ في تاريخ المجدل لابن ماري النسطوري (١٢٢ و١٣٣). واصل اسرتهِ من الموصل كما يدلّ عليهِ اسمهُ تخرَّج بالآداب على اهل نحلتهِ ثمَّ دخل في ديوان الانشاء في خدمة الخلفاء. قال الصفدي في كتابهِ نَكْت الهِمْيان في نُكت العميان (عن نسخة الاستانة. اطلب طبعتهُ الجديدة ص ٢٠١—٢٠٢) :

« كان (ابن موصلايا) يتولَّى ديوان الرسائل منذ ايَّام القائم (بامر الله) وناب في الوزارة وأضرَّ آخر عمرهِ وكانت خدمتهُ خمساً وستين سنة كل يوم منها يزيد جاههُ وناب في الوزارة. ولمَّا أضرَّ كان ابن اختهِ هبة الله بن الحسن يكتب الانشاءات عنهُ . وكان كثير الصدقة والخير. ومولدهُ سنة ٤١٢ وتوفي سنة ٤٩٧ ثامن عشر جمادى الاولى. وكان الخليفة قد لقَّبهُ امين الدولة. قال محمَّد بن عبد الملك الهمداني (ويروى : الهمذاني) : ومَن قرأ علم السيَر عَلِمَ انَّ الخليفة والملوك لم يثقوا باحدٍ ثقتهم بامين الدولة ولا نصحَهم احد نصْحَهُ»

وقال عماد الدين الاصفهاني في خريدة القصر :

« ولم يزل امين الدولة موقَّرًا موفَّر الحرمة ينوب عن الوزارة المقتديَّة والمستظهريَّة حتى قال عميد الدولة للمستظهر عنهُ وعن ابن اخيهِ : هما عينا الدولة واميناها لا يُبرَم دونها امرٌ . وكان كثير الصدقة والصلة ذُكر عنهُ انهُ فرّق في يوم من ايام الغلاء (ويروى : في ايَّام قليلة) ثلاثين الف رطل خبزًا »

وقال ابن الاثير في الكامل في تاريخ سنة ٤٩٧ انَّ امين الدولة توفي فجأة وانهُ «كان كثير الصدقة جميل المحضر صالح النيَّة ووقف املاكهُ على ابواب البرّ»

(قلنا) فكان جزاؤهُ على هذا الفضل العميم ان أرغموهُ على جحود دينهِ. فتأمَّل ﴿آدابهُ وشعرهُ﴾ غنيٌّ عن البيان ان رجلًا تولَّى ديوان الانشاء للخلفاء مدَّة خمساً وستين سنة بلغ من الآداب مبلغاً عظيماً. قال عماد الدين الاصفهاني يصف

كتابتهُ ويطري حسن انشائهِ :

« كان امين الدولة بليغ الانشاء سديد الآراء رسائلهُ تعبّر عن فضلهِ ووفور علمهِ . وكان نثرهُ احسن من نظمهِ لتمرُّنهِ عليهِ وانقطاعهِ اليهِ . على انَّ لهُ مقاطعات مستعذبة اراها احلى من الأَرْي وأَزْيَن من الحلي وهي في اسلوب شعر الكتّاب بعيدة عن التكلُّف في الصنعة ، ارقّ معنى من الدمعة ، واعذب لفظًا [للمتكلّم] مستبشر الطلعة »

امَّا ابن تغري بردي فقد وصفهُ في تاريخهِ (٣: ٣٤٥) بالمترسّل والشاعر المُجيد . وقد خلَّف ابن موصلايا كتاباً في الترسُّل ذكرهُ القلقشنـدي في صبح الاعشى (١٣: ٢٧٢) . امَّا شعرهُ فدونك ما جمعنا منهُ نقلًا عن كتاب خريدة القصر لعماد الـدين وعن نكت العميان لخليل بن ايبك الصفدي وعن تاريخ ابن تغري بردي . فمنهُ (من الخفيف) :

يا خليليَّ خلّياني ووَجْدي فكلامُ العذول(١ ما ليس يجدي
وَدِّعاني فقد دعـاني الى الْحُكْـم م غريمُ الغرامـة اللَّتِ عندي (٢
فعساهُ يرقُّ اذ ملَكَ الرقّ م بنقدٍ من وصلهِ او بوَعْدِ
ثمَّ مَنْ ذا يُجير منـهُ اذا جـا رَ ومَنْ ذا على تَعَدّيهِ يُعْدي

وقال في وصف المُدامة (من الطويل) :

وكأسٍ كساها الْحسنُ ثوبَ مُلاءَةٍ فحازَتْ ضياءً مُشْرقاً يُشبهُ الشمسا
اضاءت على كفّ المُدير وما درى وقد دَجتِ الظلماءُ أَصْبَح َام أَمْسى

ومن شعرهِ ايضاً (من السريع) :

يا هنـدُ رقّي لفتًى مُذْنِفٍ يَحسنُ فيهِ طلبُ الأَجْرِ
يرعى نجومَ الليل حتى يرى حَلَّ عُراهـا بيدِ الفَجْرِ

١) ويروى : فلام العذول

٢) ويروى : غريم الغرام للذي عندي . واللَّتِ بدل اللتي لضرورة الوزن

ضاق نطاقُ الصبر عن قلبهِ عنـد اتّساع الخَرْقِ في الهَجْرِ

وهو القائل (من الوافر) :

اقول للائمي في حبّ ليلي وقـد ساوى نهـارٌ منهُ ليلا
أَقِـلَّ فما أَقلّتْ قطُّ أَرضٌ مُحبًّا جرّ في الهِجْران ذَيْلا

وقال في الشوق ووصف الخمرة (من الطويل) :

أَحِنُّ الى روضِ التَّصابي وأَرتاحُ وأَمْتَحُ من حوضِ التصافي وامتاحُ
واشتاقُ رِئْماً كلّما رُمتُ صيدَهُ تَصُدُّ يدي(١ عنهُ سيوفٌ وارماحُ
غَزالٌ اذا ما لاح او فاح نشرُهُ تُعَذَّبُ ارواحٌ وتَعْـذُب ارواحُ
بنَفْس وان عَزَّتْ واهليَ اهلُهُ لها غُرَرٌ في الحسْن تبدو وأَوضاحُ
نجومٌ اعاروا النورَ للبدرعندما اغاروا على سِرْب الملاحة واجتاحوا
فتَتَّضحُ الأَعْذارُ فيهم اذا بدَوْا ويفتضحُ الاخوان(٢ فيهم اذا لاحوا
وكَرْخيَّةٍ عذراءَ يُعْذِرُ حبُّها ومن زَنْدها في الدهر تُقْدَحافراحُ(٣
اذا جُلِيَتْ في الكأس والليلُ ما انجلى تقَابلَ إِصْباحٌ لَدَيْكَ ومِصْباحُ
يطوفُ بها ساقٍ لسُوق جَمالِهِ نَفاقٌ لإِفْسادِ الهوى فيهِ إِصلاحُ
بهِ عجمةٌ(٤ في اللفظ تُغْري بوصلهِ وان كان منهُ في القطيعة إِفصاحُ
وغُرَّتُهُ صبحٌ وطُرَّتُهُ دُجى ومَلبَسُهُ دُرٌّ وريقتُـهُ راحُ

---

١) ويروى : تَصَدَّى يُرى
٢) ويروى : ويفتضحُ اللاحون
٣) ويروى : يعذرُ . . . ومن دَنّها . . تُقدح اقداح . واراد بالكرخ خمر كَرْخ بغداد
٤) ويروى : لهُ عجمةٌ

أَباح دمي مذ بُحتُ في الحبّ باسمهِ ... وبالشَّجْو من قبلي المحبُّون قد باحوا
وأَوعَدَني بالسوء ظلماً ولم يكن ... لإشكال ما يُفضي الى الضَّيم ايضاحُ
وكيف اخافُ الضَّيم او احذرُ الرَّدى ... وغوثي على الايَّام أَبلجُ وَضَّاحُ
وظِلُّ نظام الملك للكَسْر جابرٌ ... والضرّ منَّاعٌ وللخير منَّاحُ

وله ايضاً (من الطويل) :

واني لَصبٌّ بالصَّبا مذ غَداتها ... هبوبٌ بهاتيك الخيام يجولُ
ومن عجبٍ ان أَبتغي من نسيمها ... شفاءَ عليلٍ والنسيمُ عليلُ

ولهُ في خريدة القصر من نسخة ليدن ابياتٌ اخرى منها داليةٌ بديعة لم يسمح لنا الزمان بنسخها . امَّا ترسُّلهُ فقد ورد منهُ مثال في تاريخ المجدل لابن ماري (ص١٣٣-١٣٥) وذلك نسخةُ من انشاء عهدٍ كتبهُ باسم الخليفة القائم بامر الله لجاثليق النساطرة الفطرك عبديشوع نذكر منهُ بعض فقراتهِ كمثال من انشاء ابن الموصلايا .

بسم الله الرحمن الرحيم توكلت على الله وحده

«هذا كتابٌ امر بكتبيتهِ عبدالله ابوجعفر الامام القائم بامر الله تعالى «اعتضادي بالله» لعبد يشوع الجاثليق الفطرك . امَّا بعد فالحمد لله الواحد بغير ثانٍ ، القديم لا عن وجود زمان ، الذي قصرَتْ صيغة الاوهام عن ادراكهِ ، ونضلت صفة الافهام عن بلوغ يدى (مدى) صفاتهِ . . . ليس كمثلهِ شيء وهو السميع البصير»
الى ان قال :

«الحمد لله الذي استخلص امير المؤمنين من ازكى الدرجة والارومة واحلَّت (واحلَّهُ) من عزّ الامانة ذروةً من المجد منيعةً غير مروه (غير مَرُومة)، . . .
«ولمَّا أُنهي الى حضرة امير المؤمنين تمييزك من نظرائك ، وتحليك من السداد بما يستوجبُ معهُ من امثالك البالغة في وصفك و اطرائك ، وتخصُّصك بالانحاء التي فُتَّ

فيها ساو (شأو) اقرانك ، وأَفدتَ بها ما قصَّر معهُ مُساجلُك من ابناء جنسك ان يعدلك في ميزانك، وما عليك (عليه) نِحْلتُك من حاجتهم الى جاثليق كافل بامورهم ، كافٍ في سياسة جمهورهم ... فلم يصادفوا من هو بالرئاسة عليهم احقّ واحرى ، وللشروط الموجبة للمقدَّم فيهم اجمع واحوى ، وعن اموال وقوفهم اعفّ واورع ، ومن نفسهِ لداعي التحرّي فيها أَتبع ومنك اطوع ، فأَصاروك لهم راعياً ، ولتشييد نظامهم ملاحظاً واعياً ، وسألوا إمضاء نصبك عليهم ... فرأَى امير المؤمنين الاجابة الى ما وجَّهتْ اليه فيهِ الرعيَّة ... مقتدياً فيما اسداهُ اليك ، واسناهُ من انعامهِ لديك ، بافعال الائمَّة الماضين والخلفاء الراشدين ، صلوات الله عليهم اجمعين ، مع امثالك من الجثالقة الذين سبقوا ، وفي مقامك اتَّسقوا ، واوعز ترتيبك جاثليقاً لنسطور النصارى في مدينة السلام والاصقاع وزعيماً لهم وللروم واليعاقبة طُرًّا ولكل من تحويه ديارُ الاسلام من هاتين الطائفتين.... وان يُمضَى تثقيفك لهم وأَمرُك فيهم اسوةً بما جرى الامر عليهِ من كان قبلك بينهم ... فقابِلْ نعمة امير المؤمنين عندك بما يستوجب من شكر يبلغ فيهِ المدى الاقصى ....

«عُرض هذا المنشور بحضرة سيّدنا ومولانا الامام القائم بامر الله امير المؤمنين اعزَّ الله انصارَهُ وضاعف اقتدارَهُ ، وأَنفذَهُ وامضاهُ ، وشرَّفهُ بالعلامة الطاهرة على اعلاهُ ، فليُعتَمد وليُعمل بحسبهِ ومقتضاهُ ، ان شاء الله

٢٠ ابو نصر بن موصلايا

﴿ اسمهُ وزمانهُ ﴾ هو تاج الرؤساء ابو نصر هبة الله ابن صاحب الخبر حسن ابن عليّ ابن اخت امين الدولة السابق ذكرهُ . كان مولدهُ سنة ٤٢٨ ﻫ (١٠٣٦م) «توفّي على ما رواهُ عماد الدين الاصبهاني في خريدة القصر وابن خلكان في تراجمهِ (ص ٥٤٥) في عشيَّة الاثنين حادي عشر جمادى الاولى سنة ٤٩٨ ببغداد (اوائل شباط ١١٠٥) ولهُ سبعون سنة وبين موتهِ وموت خالهِ سنة إلَّا عشرة ايَّام (هلاليَّة)

﴿ دينهُ ﴾ كان ابو نصر كخالهِ امين الدولة نصرانيًّا من النِحلة النسطوريَّة وبقي على نصرانيَّتهِ الى السنة ٥٦ من عمرهِ فأَسلم مُكرهاً مع خالهِ كما مرَّ . قال

الشيخ خليل بن ايبك الصفدي : « لمّا رسم الخليفة المقتدي في رابع صفر سنة ٤٨٤ إلزام اهل الذمّة الغيارَ والتزام ما شرَطهُ عليهم عمر بن الخطّاب (١ فهربوا كلّ مهرب واسلم ابو غالب الاصباغي وابن موصلايا صاحب ديوان الانشاء وابن اختهِ ابن صاحب الخبر على يد الخليفة »

﴿ آدابهُ واخبارهُ ﴾ قال عماد الدولة الاصبهاني :

ربّى ابا نصر خالهُ فكتب بين يديهِ في ديوان الانشاء في الايام القائميَّة والمقتديَّة والمستظهرية وأسلم مع خالهِ على يد الامام المقتدي . وكان لمَّا أضرَّ خالهُ يكتب عنهُ ما جرت بهِ العادة من الإنهاءات . فلما توفي خالهُ رُدَّ ديوان الانشاء اليهِ في الايَّام المستظهريَّة . وخرج في الرسالة الى السلاطين مرارًا . وعاد من الرسالة الى بركيارق (٢ بعد موتهِ الى بغداد . . . وكان لا يقاربهُ احد في الانشاء والعبارة ولم يكتب كتابًا قطّ فرجع فيه الى مبيضّتهِ »

وقد ذكرهُ ابن تغري بردي (٣ : ٣٠٤) بعد ذكرهِ فتح الفرنج لانطاكية وانتصارهم على جيش الامراء المسلمين قال :

« كتب دقاق ورضوان (٣ والامراء الى الخليفة المستظهر العبَّاسي يستظهرونهم . فاخرج الخليفة ابا نصر بن الموصلايا الى السلطان بركيارق ابن السلطان ملكشاه السلجوقيّ يستنجدهُ »

وقد ذكرهُ ابن الاثير في الكامل في تاريخ سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م)

« في هذه السنة في ربيع الاوَّل (ك٢ ١١٠١ م) خرج تاج الرؤساء ابن اخت امين الدولة ابن سعد بن موصلايا الى الحلّة السيفيَّة مستجيرًا بسيف الدولة صدَقة . وسبب ذلك ان الوزير الاعزّ وزير السلطان بركيارق كان ينسب اليهِ انهُ هو الذي يُميل جانب الخليفة الى سلطان محمد . فسار خائفًا واعتزل خالُهُ امينُ الدولة الديوان وجلس في دارهِ . فلما قُتل الوزير الاعزّ على ما ذكرنا عاد تاج الرؤساء من الحلّة الى بغداد وعاد خالهُ الى منصبهِ »

وقال في تاريخ سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٤ م) :

« ولمَّا مات امين الدولة خُلع على ابن اختهِ ابي نصر ولُقّب نظام الحضرتَيْن وقُلّد ديوان الانشاء »

وقال في تاريخ ٤٩٨ هـ (١١٠٥ م) :

« وفيها توفي ابو نصر ابن اخت ابن الموصلايا وكان كاتبًا للخليفة جيد الكتابة وكان عمره

---

١) ما يُنسب هنا لعُمَر في الزام اهل الذمّة الغيار لا يثبتهُ التاريخ الصحيح

٢) بركيارق ومحمَّد هما ابنا السلطان ملكشاه السلجوقي الذي استولى على بغداد فتنازع الملكَ بعدهُ ولداهُ

٣) كان دقاق صاحب دمشق ورضوان صاحب حلب

سبعين سنة . ولم يُخلف وارثاً لانه اسلم واهلهُ نصارى فلم يَرِثوهُ وكان يُبخَّل الَّا انهُ كان كثير الصدقة »

ووصفهُ ابن خلكان في ترجمة خاله قال :

«كان تاج الرؤساء ابو نصرفاضلًا لهُ معرفة بالادب والبلاغة والخطّ الحسن وكان ذا رسائل جيدة وهي مدوَّنة ايضاً ومشهورة»

﴿ شعرهُ ﴾ روى لهُ عماد الدين الاصبهاني شعرًا (Ms de Leide 881, p. 45-46) قال ملغزًا في الخاتم (من الوافر) :

ومنكوحٍ اذا ملكَتْهُ كفٌّ   وليس يكون في هذا مِراءُ

لهُ عين تخلَّلها (١ ضياءُ   فان كُحلت فبالمِيل العماءُ

وقد اوضحتُهُ وأبنتُ عنهُ   ففسِّرهُ فقد بَرِح الخفاءُ

ولهُ في دالِيَة الماء (اي الناعورة) (من السريع) :

ومَيْتَةٍ فيها حَراكٌ اذا   قامت على مِنبرها خاطِبَهْ

ساعيةً في غير منفوعها   فهي اذًا عاملةٌ ناصبهْ

ان وُطئت تَحْمِل من وقتها   حين تُرَى مجذوبةً جاذِبَهْ

تمدّ غرثاها بريٍّ اذا   اضحت بروقٌ للحيا كاذبَهْ (٢

هذا ما امكنَّا الحصول عليهِ من اخبار ابنَيْ موصلايا . وقد ورد ذكر كاتب آخر بهذا الاسم وهو « ابو علي بن الموصلايا» جاء ذكرهُ في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة قال عنهُ (١ : ٢٣٢) انهُ كان كاتباً للوزير ابي قاسم المغربي . وذكرهُ ابن بطلان في رحلتهِ التي روينا منها قسماً انَّ من جملة المتوفَّين بالطاعون في اواسط القرن

١) ويروى : تخلّلها

٢) قال في شرحها اي انها اذا قامت على حائطها صارت ذات حركة واذ وُطئت بالارجل تحمل من وقتها بالماء وقلائدها الحبال المعلّقة بها . والحيَا المطر

الخامس للهجرة كان ابو علي بن الموصلايا من متقدّمي علوم الادب والكتابة .
فيكون سبق عهد امين الدولة وتاج الرؤساء وهو من اسرتهما في بغداد

٢١-٢٢ ابو غالب وابو طاهر ابنا الاصباغي

﴿ اخبارهما ودينهما ﴾ هما اخوان نصرانيّان من كتبة ديوان الانشاء للخلفاء كانا معاصرَين لابنَيْ الموصلايا اضطُرَّا مثلهما الى الإسلام لينجوَا من تذليل النصارى كما مرَّ سابقاً . امّا اخبارهما فلم نجدها في غير خريدة القصر لعماد الدين الاصفهاني نقلناها عن نُسَخ لندن (British Museum, Ms. 1096, ff. 40-46) وباريس (Paris, Ms. 3326, f. 7) وليدن (Leide, Ms. 881, p. 46-49) قال الاصفهاني عن ابي غالب :

« هو تاج الرؤساء ابو غالب بن الاصباغي الكاتب كتب بديوان الذمام (١ في بعض الايّام المستظهريّة وناب عن ديوان الذمام في ايّام المقتدي . ولهُ تصنيف في علم الكتابة . وجماعة الحسّاب وكتّاب العراق يكتبون الحساب على طريقتهِ . وأسلم في صفر سنة ٤٨٤ (١٠٩١ م) قبل اسلام ابني موصلايا بيوم حيث خرج التوقيع الشريف بإلزام اهل الذمّة بالغيار وكان من بركات ذلك اسلامهم (كذا) »

وقال عن ابي طاهر : « ابو طاهر بن الاصباغي اخوهُ كان يخدم عفيفاً القائميّ (٢ وانصرف عن خدمتهِ فبلغهُ انهُ تهدَّدهُ وكان عفيف قد بنى دارًا وانفق على سَقفها في التذهيب اكثر من خمسة آلاف دينار فعمل فيهِ ابو طاهر ابياتاً غاظتهُ فتهدَّد ابا طاهر . ولم يذكر العماد إسلام ابي طاهر

﴿ شعرهما ﴾ روى العماد الاصفهانيّ لابي غالب قولهُ يصف الخمرة وفعلها في شاربها (من الكامل) :

عقرَتْهمُ معقورةٌ لو سالمَتْ ... شرَّابَها ما سُمِّيَتْ بعُقارِ
ذكرت طوائلَها القديمَةَ اذ غدَتْ ... صرعَى تُداسُ بأرجلِ العصَّارِ

١) روى في احدى النسخ : ديوان الزنام وفي نسخة اخرى : ديوان الزمام بالزاي
٢) يريد احد الامراء الذين في خدمة القائم بامر الله الخليفة العباسي

لانَتْ لهم حتى انتشَوْا وتمكَّنتْ منهم فصاحَتْ فيهم بأُثَّارِ

وقال ملغزًا في القمر (من السريع):

قُمارٌ مذ كان لم يُقْمَرِ كأَنَّما يلعَبُ بالسُّدَّرِ

يعشقهُ الناسُ على جَوْرهِ والجورُ ممقوتٌ على الأَكثرِ

شبابُهُ المرموقُ في شيبهِ وشيبهُ مذ كان لم يخطُرِ

يدلُّ في البيع ولكنّهُ يميل احياناً مع المشتري

حديثُهُ مع انهُ صامتٌ يَهيجُ من شقشَقة السُّمَّرِ(١

وروى لابي طاهر الابيات التي ذكر فيها تزويق عفيف القائميّ لسقف دارهِ وتذهيبها قولهُ (من الطويل):

تنَوَّقْ وزَوِّقْ وادهُنِ السقفَ والعُمْرا فان تمَّ فاكتب تحت زنَّاره سطرا

علوٌّ وإقبال ومجدٌ موَّثلٌ لصاحبهِ حقًّا ومالكهِ دهرا

لمن عندهُ في الدار وجهٌ مقدّرٌ على مثل هذا الوجه والأَوجُه الأُخرى

وهذا دعاءٌ أَنت منهُ مبرّأٌ وكان اميرُ المؤمنين بهِ أَحْرى

قال فتطيَّر عفيف منها ومات بعد شهر واخذ المقتدي السقف فكأَنَّ الله أَنطَق ما في القدَر على لسانهِ

٢٣ ابن بابي

﴿زمانهُ ودينه واخبارهُ﴾ هو احد كبار الكتّاب عاش في اواخر القرن الخامس

١) قال الشارح: سمَّاهُ مقارًا لان اسمهُ فعل القمار. ولقَّبهُ السُّدَّر (ويروى: الصَّدر) معروف وجورهُ علوهُ. وشبابهُ إبدارهُ. والمنجّمون ذكروا انَّ لهُ ميلًا مع المشتري. وحديثهُ دوام ضوئهِ

للهجرة واوائل السادس اعني في القرن الحادي عشر للمسيح . اصلهُ من بغداد من نصارى النساطرة وانّما انتقل الى مدينة واسط التي كانت في ذلك العهد من حواضر العراق متوسّطة بين الكوفة والبصرة واشتهر بين ادبائها . وقد افادنا عن كل ذلك عماد الدين الاصفهاني في تأليفهِ خريدة القصر وجريدة العصر قال : (Ms de Leide, 881, ff 163, Ms de Paris 3326 ff. 163v) «الرئيس ابو غالب نصر بن عيسى ابن بابي الواسطي النصراني توفي بعد الخمسمائة وكان من ظرفاء واسط واعيانها . ولهُ شعرٌ لطيف ونظم ظريف وعبارة مستعذَبة وكلمات مطربة معجبة . ولم أُدرِك زمانهُ . انشدني لهُ الرئيس العلاء بن السوادي بواسط سنة ثلث وخمسين وخمسمائة (١١٥٨م) وذكر انهُ كان من بغداد واقام مدَّة عمرهِ بواسط»

﴿شعرهُ﴾ قال ابن السوادي انشدني ابو غالب ابن بابي النصراني الكاتب لنفسهِ (من مجزوّ الكامل) :

وعَشِقتُ حتَّى ما أُما لُ وهِمْتُ حتى ما أُفيقُ
وانا بـغَذْريّ الصبـا بةِ في الهوى نَسَبي عريقُ

(قال) وانشدني ايضاً ابو غالب لنفسهِ في جاريةٍ دخلت عليهِ يوم كسوف الشمس في لباسٍ اسود (من الكامل) :

عايَنْتُ في حُلَل السوادِ خريدةً مثلَ القضيبِ المائل الميَّاسِ
قلتُ : أسلَمي ماذا اللباسُ وغيرهُ أدَّى الى الإِبهاج والايناسِ
قالت : فهذي الشمس أُختي عوجلَتْ بالافتضاح في اعينِ الناسِ
طلعَتْ فشاكلتُ الضياءَ بطلعتي ودَجتْ فشاكلتُ الدُّجى بلباسي

(قال) وأنشدني ابن بابي لنفسهِ في بغداد سابع ربيع الاوَّل سنة سبع وخمسين (١١٦٢م) يصف غلاماً ورد من سفر شاحباً (من السريع) :

فديتُ مَن أَقبلَ من سَفرةٍ فأَقبلَتْ نفسي على أُنسها
وقلتُ اذ أَبصرتُهُ شاحباً قد خضَّبتْهُ الشمس من وَرْسها

ما كان عندي انَّ شمس الضُّحى تعملُ في الخَلق وفي نفسها

وله في غلام رَمِدٍ (من البسيط) :

واهيفٍ كقضيب البانِ مقلتهُ تُنمَى اليها جفون الشادنِ الَخرقِ
قالوا : تمكَّنَ من اجفانهِ رَمَدٌ ابدى محاجرَها في حلَّة الشرَقِ
فقلتُ : بل وجههُ شمسٌ منوّرةٌ كسَتْ لواحِظَهُ من حمرةِ الشفَقِ

ولهُ في غلام خازنٍ (من المتقارب) :

أيا خازناً حافظاً للحِفا ظِ أَصْبى الانامَ بوجهٍ مليحِ
لَئنْ كنتَ تحفظُ مالي لقد أَضعتَ بهجركَ قلبي وروحي

وقال في غلام خيَّاط (من الطويل) :

مررتُ بخيَّاطٍ حكى البدرَ طلعةً وشاكَلَ غُصنَ البانِ لمَّا انْثنى قدَّا
يَقُدُّ ويَفْري الثوب ثمَّ يَخيطهُ فَلِمْ ثوبُ قلبي لا يُخاط وقد قُدَّا

وقال في صديقٍ نال رتبةً شريفةً فسها عنهُ (من الطويل) :

منَحْتُكَ صَفْوَ الودِّ اذ نحن جيرةٌ ومَوْرِدُنا في الأُنْس جمٌّ الجداولِ
وأَمَّلتُ ما قد كان من رُتَب العُلى فلا تُحْدِثَنْ لي فيك زَهْوَ المُطاوِلِ
فانَّ الغصونَ الشامخاتِ تميلُها جَناها فتدنو من يد المُتناولِ

وقال في الشوق (من البسيط) :

عِطفاً سُعادُ فقد أَوْدَى بيَ الكَمَدُ وخانَني صاحباي الصبرُ والجلَدُ
وَعُدْتُ اطلبُ في تيَّار حُبّكمُ شريعةً ارتقي فيها فلا أَجِدُ
طَرْفي جنى وفؤَادي فيكِ تابِعهُ فكيفَ خُصّ باثواب الضَّنى الجسدُ

وقال في معناهُ وفيهِ لزوم ما لا يلزم (من مجزوء الرمل) :

كلَّ يومٍ لا أراكم هو عندي مثلُ حَولِ
فانا المُذنِبُ بالشو قِ ولا عُوَّادَ حَولي
جُلُّ ما أَلقاهُ فيكم أَن أُعانيهِ بحَولي(١

وقد وجدنا لهُ في مجموعةٍ مخطوطة عند المرحوم طنّوس افندي اصفر . قال ابو غالب الواسطي (ص ٤٩ من الكتاب) (من البسيط) :

ما زلتُ أَزجرُ قلبي عنكمُ ثقةً بأَنَّ عِقدَكمُ ما زال محلولا
فحَلَّ بي عندكم ما كنتُ أَحذرهُ ليَقضيَ اللهُ امرًا كان مفعولا

وقال يصف المُدام وساقيَها (من الطويل) :

وضافيةٍ صَهباءَ من نَسْلِ كَرمةٍ منابتُها قد أَعْرقَتْ في المكارمِ
يطوفُ بها ساقٍ أَغرُّ كأَنَّهُ هِلالٌ تبدَّى من مُتون الغَمائمِ
لَواحظُهُ وَقْعُ الأَسنَّةِ دُونها وأَلفاظُهُ سَلُّ السيوفِ الصوارمِ
وفي عارِضَيْهِ للمُحِبِّ مَعاذِرٌ بخَطِّ عِذارٍ كَفَّ غَرْبَ اللوائمِ

وقال في غلام (من المتقارب) :

تَبسَّمَ عن بَرَدٍ ناصعٍ ولاحَظَ عن مُرْهَفٍ قاطعِ
وحطَّ اللّثامَ فقُلنا الغَمامُ تجلَّى عن القمرِ الطالعِ

ورُوِي لهُ ايضاً هناك (ص ٤٨) قولهُ (من البسيط) :

بما بعَيْنَيكَ من غُنْجٍ ومن حَوَرِ وما بخدَّيك من وَرْدٍ ومن زَهَرِ

١) الحَوْل في البيت الاوَّل السَّنة وفي الثالث القوَّة والجلَد

وما بثغرِك من دُرٍّ ومن بَرَدٍ ... وما بهِ من رُضابٍ فائحٍ عَطِرِ
وطُرَّةٍ طار لُبّي عند رؤيتها ... وغُرَّةٍ تركَتْ عيني على غَرَرِ
وحاجبٍ حجبَ السُّلوانَ عن فِكَري ... وعارضٍ عَرَضَ الاجفان للسَّهَرِ
وقامةٍ قد أماتَتْني على قدمٍ ... في مَعركِ الوَجْد والإطماع والحَذَرِ
هَبْ لي أماناً من الهِجْران انَّ لهُ ... كاساً تجرَّعتُ منها عَلْقمَ الصبرِ

٢٤ ابن ابي سالم النصراني

﴿اصلهُ . دينهُ . اخبارهُ . وشعرهُ﴾ هو ايضاً احد الشعراء الذين ذكرهم عماد الدين الكاتب الاصفهاني في كتابهِ خريدة العصر وجريدة القصر (Ms de Paris 1414, ff. 192, Ms de Leide, 881) قال في نسبهِ : « هو الرئيس ابو الحسن عيسى بن الفضل النصراني المعروف بابن ابي سالم» ثمَّ ذكر زمانهُ وقد ادركهُ العماد في شيخوخته ورآهُ في اواسط القرن السادس للهجرة كشيخ بهيّ ولم يذكر سنة وفاتهِ . وممَّا يؤخذ من كلامهِ انهُ خدم بني مروان اصحاب ميّافارقين وبني بُوَيْه . وهذا كلامهُ :

«الرئيس ابو الحسن عيسى بن الفضل النصراني المعروف بابن ابي سالم وكان شيخاً بهيّاً . ولما حلّ والدي (١ بالموصل سنة اثنتين واربعين وخمسمائة (١١٤٧ م) كان يزورنا ويعرض علينا العمّ الصدر الشهيد عزيز الدين اليهِ (٢ ولم اثبت لهُ شيئاً فسألت الآن

---

١) والد عماد الدين الكاتب يدعى صفيّ الدين ابا الفرج محمَّداً

٢) قول العماد «العمّ عزيز الدين» يريد بهِ عمّهُ ابا نصر احمد الاصبهاني المستوفي وبه عُرف هو بابن اخي العزيز . قال ابن خلكان (ص ٨٩) كان العزيز رئيساً كبير القدر ولي المناصب العليّة في الدولة السلجوقية ولم يزل مقدَّماً فيها . قصدهُ بنو الحاجات ومدحهُ الشعراء واحسن جوائزهم . . . وكان ابن اخيهِ العماد يفتخر بهِ كثيراً . قتلهُ السلطان سنجر بن ملكشاه سنة ٥٢٥ وقيل ٥٢٦ ه‍ (١١٣٠ م)

الشاتانيّ (١ فقال: هذا من بيت كبير ابوهُ كان وزير بني مروان بميّافارقين (٢ وامُّهُ يقال لها الستُّ الرحيمة قال لها نِظام المُلك(٣: أنتِ الستُّ الرحيمة؟ قالت: بل الأَمة المرحومة. وكان (ابن ابي سالم) مشهورًا بين ارباب الدولة ولهُ اشعار غثَّة وسمينة واهية ومتينة وقد وازنَ الامير تميم بن المعزّ المصري (٤ في قوله:

أَسِربُ مهًا عنَّ ام سِربُ جِنَّهْ حكَيتُنَّهُنَّ ولَستُنَّ هُنَّهْ

بقصيدة اوَّلها (من الطويل):

لقد عذُبَ الماءُ من رِيقهنَّهْ وطابَ الهواءُ بانفاسِهنَّهْ

ولهُ الى بهاء الدولة(٥ صاحبَ شاتان(٦ وقد سافر الى حصن زِياد(٧ (من الطويل):

١) الشاتاني هو علم الدين ابو علي حسن بن سعيد ولد في شاتان بلدة في نواحي ديار بكر سنة ٥١٣ ه (١١١٩م) وتوفي في شعبان سنة ٥٧٩ ه (١١٨٣م) كان اديبًا شاعرًا سكن بغداد ومدحهُ العلماء. وكان قدم دمشق وعقد لهُ فيها مجلس وعظ سنة ٥٣١ (١١٣٧م) وقدم على صلاح الدين أيوب في مصر سنة ٥٧٣ (١١٧٧م) فاكرم مثواهُ

٢) بنو مروان المذكورون هنا يُنسبون الى ابي عليّ بن مروان الكردي تولى بعد ان قُتل باد خالهُ سنة ٣٨٠ ه (٩٩٠م) على ديار بكر وعلى المدن اللاحقة بها كآمد وارزن الروم وميافارقين وحصن كيفا ومضى الى مصر فقلَّدهُ الخليفة العلوي المعزّ لدين الله ولاية حلب وكانت وفاتهُ سنة ٣٨٧ ه (٩٩٧م) قتلهُ اهل آمد فخلفهُ اخواهُ ممهّد الدولة ابو منصور (٣٨٧-٤٠٢) ثم نصر الدولة ابو نصر احمد (٤٠٢-٤٥٣) ثم ابنا نصر سعيد ونصر (٤٥٣-٤٧٢) واخرهم منصور ابن نصر بن احمد فاستولى على دولتهِ سنة ٤٧٨ فخر الدولة بن جهير (١٠٨٥ م)

٣) نظام الملك هو ابو علي الحسن كان اصله من طوس. اتَّصل بالب ارسلان بن داود بن ميكائيل السلجوقي فخدمهُ بصفة وزيره فعزَّ شأنهُ وبنى المدارس والمساجد. قال ابن خلكان هو اوّل من انشأ المدارس فاقتدى بهِ الناس واليهِ تنسب المدرسة النظاميَّة في بغداد سنة ٤٥٧ (١٠٦٥م) قتلهُ صبيّ ديلمي سنة ٤٨٥ في ١٢ رمضان (١٠٩٢م)

٤) يريد ابا علي تميم بن المعزّ. كان ابوهُ صاحب الديار المصريَّة والمغرب وهو الذي بنى القاهرة المُعزّية. لم يملك ابنهُ تميم بعدهُ لانَّ ولاية العهد كانت لاخيهِ العزيز وكان هو شاعرًا ماهرًا لطيفًا ورد ذكرهُ في كتاب اليتيمة للثعالبي مع كثير من مقاطيع شعرهِ (١: ٣٥٥-٣٤٥) توفي تميم سنة ٣٧٤ ه وكان مولدهُ ٣٣٧ه (٩٤٨-٩٨٤م)

٥) هو بهاء الدولة ابو نصر بن عضد الدولة بن بُويه ملك العراق توفي سنة ٤٠٣ ه (١٠١٢ م) ٦) شاتان قلعة في ديار بكر

٧) قال ياقوت في معجم البلدان (٢: ٢٧٦): «حصن زياد بارض ارمينية ويعرف اليوم بخرتَبَرْت وهو بين آمد وملطية وهو الى مَلَطية اقرب»

تكونُ بميَّافارقينَ ووُحشتي تزيدُ لِنأيٍ عنكم وبِعادي
فكيف احتيالي والمهامِهُ بيننا تحولُ واطوادٌ لحصنِ زيادِ

هذا ما رواهُ العماد الاصفهاني ولم نقف على ذكر ابن ابي سالم في غير العماد كما انهُ لم يعرَّف سنة وفاتهِ

٢٥ ابو الفتح بن صاعد

﴿اسمهُ ودينهُ وشعرهُ﴾ هو ايضاً من شعراء بغداد الذين ورد ذكرهم في خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهاني ومنهُ يُعرف زمانهُ انهُ كان في القرن السادس للهجرة والثاني عشر للمسيح وقد دعاهُ في كتابهِ (Ms de Leide, 881, f. 54r: Ms de Paris, 1447, ff. 54v) «جمال الرؤساء ابا الفتح بن صاعد النصراني» . وقد وجدنا في مخطوط آخر من مكتبة ليدن في كتاب اخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء للملك المنصور صاحب حماة المتوفى سنة ٦١٧هـ (١٢٢٠) (Ms de Leide 884) ثمَّ في طبقات الشعراء لابن ابي اصيبعة (١ : ٢٧٥) انهُ يُدعى «جمال الرؤساء ابا الفتح هبة الله بن الفضل بن صاعد البغدادي»

ولم يُفدنا هؤلاء الكتبة شيئاً عن اخبار ابي الفتح إلَّا انهم رووا لهُ قطعاً من شعرهِ . فممَّا رواهُ العماد الكاتب قولهُ ملغزاً في وصف خيمةٍ (من الوافر) :

وذاتِ ذوائبٍ بيضٍ خوالٍ وليس بياضُها من فَرْطِ كِبْرِ
لها فَرْجٌ وليسَتْ ذاتَ بعلٍ يطاها الناسُ من عبدٍ وحُرِّ
وآذانٌ وليس تُصيخ سمعاً الى الداعي وليست ذات وَقْرِ
ويحملُ بطنُها عدداً كثيراً ولم تُرَ حاملاً شخصاً بظَهْرِ
ترى في ساقها قَيْدَيْ حديدٍ وكلٌّ منهما في عَرْضِ فِتْرِ
وتُنظَر اكثرَ الاوقاتِ حُبلَى وفي وقتِ الولادةِ ذاتَ طُهْرِ

ففَسِّرْ ما ذكرتُ وكن مُبيناً لِما أَلْغزْتُ من معنًى وشِعْرِ

وروى لهُ صاحب اخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك قولهُ في غلام (من مجزوء الرَّمل) :

زاد في حُسْن حبيبي ما بـهِ زادَ الجنونُ
عـارضٌ أَنبتَـهُ الحُسـنُ لِتَرْعـاهُ العيونُ

وقال في العِذار (من المنسرح) :

يـلومُني في هواهُ قومٌ ما رأْيهم في الهوى صحيحُ
فكيف أَسْلو وقـد بدا لي عذارُهُ الاخضرُ المـليحُ

وقال في وصف غلام (من مجزوء الخفيف) :

يا لعَيْنٍ فسِحْرُها جَلَّ عن سِحْرِ بابلِ
وجفونٍ قَسَّيْتَها منعَتْ من تواصُلَي
وعِـذارٍ تقيمُ عُذْ ريَ عنـد العواذلِ
تحت صُدْغٍ مُبَلْبِلٍ زائدٍ في بلابلي
لا تسلَّيْتُ عن هوا هُ وان كان قاتلي

وقد جاء في كتاب طبقات الاطبَّاء لابن ابي اصيبعة انَّ امين الـدولة ابا الحسن هبة الله المعروف بابن التلميذ الطبيب النصراني كتب الى المترَجم جمالِ الرؤساء ابي الفتح جواباً الابياتَ التالية (١ : ٢٧٥) :

ما نشرُ انفاسِ الرياض مريضةً عوّادُها طلُّ النَّدى وقطارُ
بدميثةٍ مَيْثاء حلَّى وَجْهَها وحبا عليها حنوةٌ وعَرارُ

كفلَتْ بثروتها مؤبّدةً بها ··· وكفى صداها جدولٌ مدرارُ

بكَتِ السماء فأضحكتْها مثلما ··· ابكي فتضحكُ بي الغداةَ نوارُ

واذا تعارضُها ذكاء تشمشمتْ ··· فتمازجَ النوّارُ والنوّارُ

مشَتِ الصَبا بفروعها مختالةً ··· فصبا المشوقُ وغيرهُ استعبارُ

واذا تغنّى الطيرُ في أرجائها ··· ابدى بلابلَ صدْره التذكارُ

يوماً بأطيبَ من جوارك شاهدًا ··· او غائبًا تدنو بك الاخبارُ

٢٦ ابن ابي الخير سلامة الدمشقي

﴿اصلهُ دينهُ زمانهُ﴾ هو ايضاً احد الشعراء النصارى الذين نظمهم في تراجمهِ عماد الدين الكاتب الاصفهاني في كتاب خريدة القصر وجريدة العصر. على انهُ لم يزد في تعريفهِ لهُ على سطرين فقال (Ms de Paris 1414, ff. 71v et Ms de Leiden, 245, n° 71): «هو ابو الحسن بن ابي الخير سلامة كان نصرانيًا من اهل دمشق وكاتباً لتاج الملوك اخي الملك الناصر فيهِ ادب وذكاء»

فمن هذه الالفاظ القليلة يظهر اوّلًا اصلهُ فانّهُ من اهل دمشق. ثم دينهُ النصراني وزمانهُ اذ عاش في الفصل الثاني من القرن السادس للهجرة. يتقرَّر ذلك من كونهِ كاتباً لتاج الملوك اخي الملك الناصر. ولكن من هو تاج الملوك ومن هو الملك الناصر؟ اذ لم يزد العماد في هويّتها وقد عُرف غيرهما بتاج الملوك وبالملك الناصر فبقينا مرتابين في امرهما الى ان تحقّقنا انَّ تاج الملوك هذا هو اخو الملك الناصر يوسف بن أيوب الشهير بصلاح الدين فاتح الشام والجزيرة ومصر المولود سنة ٥٣٢ ﻫ والمتوفى سنة ٥٨٩ (١١٣٨ــ١١٩٣م) . وكان للسلطان صلاح الدين عدّة اخوة اشتهر منهم الملك العادل سيف الدين ابو بكر. وكان اصغر اخوتهِ تاجَ الملوك هذا واسمهُ تاج الملوك بوري تبع اخاهُ صلاحَ الدين لمّا خرج من مصر قاصدًا فتح الشام والجزيرة. فبلغ الى الكرك وسار الى الحسى فاقرّ اخاهُ تاج الملوك على الناس وامرهُ بان يسير بهم عنةً . ثمّ لحقوا بالسلطان بعد اسبوع بالازرق وهو ماء في طريق حاجّ الشام وذلك في اوّل سنة ٥٧٨ (١١٨٢م) هذا ما رواهُ شهاب الدين المقدسي في كتاب الروضتين

ثم مشى في خدمة اخيهِ السلطان لفتح بلاد نور الدين زنكي وحاصر معهُ الموصل وكان صاحبُها عماد الدين زنكي بن مودود قال ابن شدَّاد في تاريخ صلاح الدين: «ونزل تاج الملوك بوري اخو صلاح الدين على باب العمادي وجرى بينهم القتال ففُتحت الموصل. ثمَّ عاد السلطان الى حلب فحاصرها وفتحها في صفر سنة ٥٧٩ (١١٨٣م)». قال ابو الفداء في تاريخهِ: «وكان في جملة من قُتل على حلب تاج الملوك بوري بن ايوب اخو السلطان الناصر. وكان كريماً شجاعاً طُعن في ركبتهِ فانفكَّت فمات منها». وقال ابن شدَّاد في سيرة صلاح الدين: وشقَّ امرُ موتهِ على السلطان وجلس للعزاء...

ففي خدمة تاج الملوك هذا كان ابن ابي الخير سلامة النصرانيّ كاتباً وكان مقيماً في دمشق وطنهِ كما يلوح من شعره

ولنا في تعريف زمانهِ انَّ عماد الكاتب ذكر تاريخ بعض شعرهِ في السنة ٥٧٢ (١١٧٦م) لكنَّهُ لم يذكر سنة وفاتهِ

﴿ادبهُ وشعرهُ﴾ رأيتَ في ما قالهُ عماد الكاتب انَّ ابا الحسن بن ابي الخير سلامةَ «كان فيهِ ادب وذكاء» ثمَّ روى لهُ عدَّة قِطَع شعريَّة فاتَّسع بروايتها على خلاف عادتهِ في وصف معظم الشعراء الذين ذكرهم. وبين قصائدهِ ما قالهُ في تاج الملوك سيّدهِ ومنها يتَّضح انَّهُ لم يكن فقط كاتباً بل كان شاعرًا ايضاً مقرَّباً من الملوك. ولعلَّهُ صنَّف ديواناً وقف عليهِ العماد الاصفهاني فنقل عنهُ المقاطيع المذكورة التي تشهد لهُ بحسن القريحة وسلامة الذوق. فممَّا نقلهُ قولهُ يمدح تاج الملوك من ابيات صنَّفها في زمن الربيع (من البسيط):

تاجَ الملوك ادام اللهُ نِعمَتَهُ ... أسخى البريَّةِ من عُجمٍ ومن عَرَبِ
مولًى أياديهِ في ارضٍ يَحُلُّ بها ... أجدى واحسنُ آثارًا من السُّحُبِ
تفتَّحَ النَّوْرُ فيها من أناملهِ ... فتنجلي منهُ في أثوابهِ القُشُبِ
حتى ترى روضَها يحكي مواهبَهُ ... فالبعضُ من فضَّةٍ والبعض من ذَهَبِ

ولهُ من قصيدة بعث بها اليهِ في الربيع (من السريع):

مولاي مجدُ الدين قد عاوَدَتْ ... دِمَشْقَ من بعدك أشجانُها

نَيْرَبُها (١ قد مات شوقاً الى م المولى وواديها ومَيْدانُها
مالت اليهِ في بساتينها من شدَّة الأَشواق اغصانُها
وأَقسمتْ من بعدهِ لا صحَا من لوْعة الأَشجانِ نَشوَانُها
ومَاسَ من اشواقهِ (٢ آسُها واهتزَّ اذ بانَ لهُ بانُها
وغنَّتِ الاطيارُ من شَجْوها واختلفت في الدَّوح الحانُها
واصفرَّ في الروضةِ مَنْثورُها من شوقهِ واخضرَّ رَيْحانُها
رَقْرَقتِ الدمعَ عليهِ كما ترقرقَتْ بالماء غُدْرانُها
فلا خلا يا خيرَ هذا الورى بُطْنَانُها منك وظُهْرانُها
تلك هي الجنَّةُ لكنَّها مذ غِبْتَ عنها غابَ رِضْوانُها

(قال) ولهُ فيهِ وقد وعدهُ بخلعةٍ (من البسيط) :

يا مَنْ لهُ الشكرُ بعد الله مفترَضٌ عليَّ ما عشتُ في سرّي وفي عَلَني
ان كان غيرُكَ لي مولًى أؤمّلهُ وأَرْتجيهِ فكانت خِلْعتي كفني

(قال) ولهُ يقتضيهِ بالخلعة وقد عزم على السير الى العسكر المنصور (من المجتثّ) :

مولايَ جُدْ لي بوَعْدي من قَبْلِ سَيْرِ الرِكابِ
أَنْعِمْ عليَّ بثوبٍ تَرْبحْ جزيلَ ثَوابي
ثوبٌ تكامَلَ حُسناً كخُلْقك المستطابِ

١) قال ياقوت في معجم البلدان (٤: ٨٥٥) : « نيرب قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ في وسط البساتين انزه موضع رأيتهُ »
٢) في الاصل: اسواقهِ

كأنَّهُ زَمَنُ الوصلِ م في زمان الشبابِ
وفُوطةٌ مِثلُ شِعْري رقيقةٌ او شرابي
طويلةٌ مثلُ ليلي لمَّا جَفا أَحبابي
كأنَّها رمَضانٌ اذا اتى في آبِ

قال العماد : ومن محاسنهِ في تاج الملوك (من مجزوء الكامل) :

يا حبَّذا ابواهُ اذ ولداهُ من كرَمٍ وخيرِ
وكذاك قد يُستَخْرَجُ م الدُّرُّ النفيس من البُحورِ
والشمسُ من انوارها يبدو سَنا القمر المنيرِ
ما زال منذ فِطامهِ في عَقْل مُكتهِلٍ كبيرِ
مولًى حوى سِنَّ الأَكا برِ وهو في سنّ الصَغيرِ
ولقد رقى درَجَ الأَوا ئلِ وهو في الزمن الاخيرِ

وقال فيهِ ايضاً يستجديهِ (من الكامل) :

يا من يَعُمُّ سماحُهُ ونوالُهُ كرَماً كما عمَّ السحابُ المُمطِرُ
ويفوح ما بين الأَنام ثناؤهُ فكأنهُ في كلّ حينٍ عنبَرُ
اني شَقِيتُ وفي ظِلالك أنعُمٌ ولقد ظَمِئتُ وفي يمينك أبحرُ
ولقد ذَلَلتُ وانتَ حصنٌ مانعٌ ولقد ضللتُ وانت بدرٌ نيّرُ
اغنى جَداكَ الناسَ الَّا فاتَني فالله يُغني مَن يشاء ويُفقرُ
فلئن نظرتَ اليَّ نظرة مُجمِلٍ فلأَنت أَولى بالجميل واجدَرُ

ثم قال عماد الدين صاحب الترجمة : ومدحني (اي ابن ابي الخير) وهي في حُسْن

الفريدة في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين (وخمسمائة) (١١٧٧م) (من الكامل) :

أَمُطيلَ عَذْلي في الهوى ومُفنّدي — هل انت من غيّ الصَّبابة مُرْشدي
هيهاتِ ما هذا الكلامُ بِزاجري — فانْقُص أَبيتَ اللعنَ منهُ او زِدِ
انت الفِداءُ ومَن يلومُ لشادنٍ — انا في هواهُ مضلَّلٌ لا اهتدي
يجلو لعينك غرَّةً في طُرَّةٍ — فيُريك احسنَ ابيضٍ في اسودِ
يسطو على عشَّاقهِ من قدّهِ — وجفونهِ بمثقَّفٍ ومهنَّدِ
قمرٌ يَظَلُّ الماءُ في وَجناتهِ — والنارُ بين ترقرُقٍ وتوقُّدِ
ومن العجائب أَنَّ نارًا خالطَتْ — ماءً وانَّ ضِرامَها لم يخمُدِ
وكذاك ماءُ الدمع إنْ تَنْضَحْ بهِ(١ — نارَ الصبابة والأَسى تتوقَّدِ
فصَبابتي لمَّا تَخِفَّ وأَدمعي — لمَّا تَجِفَّ وزفرتي لم تَبرُدِ
كم بتُّ ارعى الفَرْقدَيْن كلاهما — شغفًا بمن يرنو بعينَيْ فرقدِ
آليتُ ارقدُ في هواهُ ومن يكن — ذا لوعةٍ وعَلاقة لم يرقُدِ
علَّ الليالي يكتسبنَ بشاشةً — يوماً فتُنجزَ بعد مَطْلٍ مَوْعِدي
ان رقَّ لي بعد القَساوةِ قلبهُ — فالماءُ يَقْطر من صِفاح الجلْمدِ
فاجعلْ لِحاظك في محاسنِ وجههِ — ان تستطعْ نظرًا اليهِ وردّدِ
تنظر الى الانوار بين مُمسَّكٍ — ومُشَبَّجٍ ومُمَرْجَس ومورَّدِ
فكأنها نَوْرُ الربيع اذا بدا — او حسن خطِّ محمَّدِ بن محمَّدِ(٢
هذا عِماد الدين والدنيا معاً — وملاذُ كلِّ مؤمّلٍ او مجتدي

١) ويُروى : أَنضَح ٢) هو اسم الممدوح عماد الدين الاصفهاني .

هذا الذي ما أُغلقت ابوابُهُ من دون مُسْتَجدٍ ولا مُستنجِدِ
هذا الذي أَحيا العُلوم واهلَهـا بعد الرَّدى والعُرْفُ إحياءُ الردي
وابانَ منها كلَّ نهجٍ دارسٍ دَرَسَ الرسوم من الديار الرُّصدِ(١
بيضاءُ حسنٍ مـا دَجتْ الّا بدا فأَضاءَ مثلَ الكوكبِ المتوقـد
لو عاش حينَئذٍ فرامَ تشبُّهاً عبدُ الحميد(٢ بخطِّهِ لم يُحْمَدِ
يَقِظٌ لهُ القلمانِ في انشائهِ وحُسامهِ في مَصْدرٍ او مَوردِ
انْ حـاول الانشاءَ يوماً مـا فَيا ناهيك من دُرٍّ هنـاك منضَّدِ
ويُضمِّن اللفظَ البديع مَعانياً اشهى من الماء الفرات الى الصَّدِي
وكأَنَّ خطَّ حسامـهِ في طِرسهِ شَعْرٌ تَنَمْنَمَ في عوارضِ أَغيَـدِ
لو قُلِّد الـدنيا كفاها وحدَهُ في الحالتَيْنِ ولم يُرِدْ من مُسْعِـدِ
واقام منتهضاً بكلِّ عظيمةٍ منهـا وقوَّم كلَّ مـا متأَوِّدِ
هذا وامَّا الفقهُ فهو إمامُهُ فبعلمهِ في الفقه كلٌّ مُقتدي
فلوَ انَّ اسعد عاش بعد وفاتهِ يوماً فساَجلَـهُ(٣ بهِ لم نسعدِ
واذا انبرى للشعر خلتَ قريضَهُ اطواقَ درٍّ في نحور الخُرَّدِ
شعرٌ ترشَّفُهُ النفوس كأَنَّهُ لفظُ الحبيب مقرِّرًا للموعدِ
او طِيبُ وَصْلٍ بعد كُرْهِ قطيعةٍ من ذي انبساط بعـد طول تحقُّدِ
واذا تفاخر بالأُروم مَعاشرٌ فلهُ العـلاءُ عليهمُ بالمَحْتِدِ
مـا زال يخبر فضْلُهُ بل نُبْلُهُ عن حسن شِيمتهِ وطيب المَوْلِدِ

١) ويروى : الصُمَّدِ
٢) هو عبد الحميد ابو غالب صاحب الرسائل البليغة قتلهُ السفاح سنة ٢٣٢هـ (٨٤٧م)
٣) وفي الاصل . فساجلهِ

جَلَّ الذي اعطاكَ يا ابن محمَّدٍ في كلِّ فضلٍ باهرٍ طولَ اليدِ
اقسمتُ بالكرم الذي اوتيتَهُ لولاكَ ما اتَّضحَتْ سبيلُ السؤددِ

وقال عماد الدين: وكتب اليَّ ايضاً (من الطويل):

أَلا قُلْ لمن ذمَّ الزمانَ جهالةً وعنَّفَهُ في ما جناهُ وفنّدا
دَعِ العجزَ وانْهض غيرَ وانٍ الى امرئٍ يكُنْ لك فيما انت راجيهِ مُسْعدا
فانَّك لم تبلغ من الدهر طائلًا فتَحْمدَهُ حتى تزور محمَّدا
وانَّ عماد الدين امنعُ مَعقِلٍ اذا ما رماكَ الدهرُ يوماً تعمَّدا
وأَسيرُ هذا الناس فضلًا وسؤددًا وأَغزرُهم برًّا (١ واكثرهم ندًى
تفرَّدَ إلَّا انَّهُ الناسُ كلُّهم وان كان في عَليائهِ قد تفرَّدا
مُعِزٌّ مُذِلٌّ مانحٌ مانعٌ معاً يُرجَّى ويُخشى واعدًا متوعّدًا
اذا ما رأى يوماً بإِبعادهِ العِدى اقام لخوف الانتقام وأَقْعدا
جديرٌ بِجِلِّ الامر أَشكلَ حلُّهُ برأيٍ بهِ في كلِّ عشواءَ يُهتَدَى
لهُ قلمٌ ما هزَّهُ في مُلِمَّةٍ من الدهر الَّا هزَّ سيفاً مهنَّدا
اذا انسلَّ من بين الانامل خِلْتَهُ يُنظِّم في القِرطاس درًّا مبدَّدا
اذا ما رأى يوماً بعينٍ كَحيلةٍ رأيتَ لديهِ ناظِرَ الرمح ارمدا
وان يَتَحرَّكْ يَسْكُنِ الخَطْبُ فادحاً ويبيضُّ وجهُ الرُّشد ان هو سُوِّدا
لأَنت عمادُ الدين احسَنُ شيمةٍ واطيبُ هذا الناس اصلًا ومَحتِدا
فلو جاز يوماً ان يُخلَّدَ سيِّدٌ كريمٌ بما أَسْدي لكنتَ المخلَّدا

١) وفي نسخة: واعوزهم ندًّا

ومما استحسنهُ لهُ العماد الاصفهاني قولهُ (من البسيط) :

يا حبّذا يومُنا والكاسُ ناظمةٌ نَظْمَ الحُباب عليها شملُ احبابِ
ونحن بين أَزهار تَحِفُّ بانهـارِ م وما بين اقداحٍ وأَكوابِ
والماء تلعبُ ارواحُ النسيم بهِ ما بين مـاضٍ وآتٍ ايَّ تَلْعابِ
كأَنَّـهُ زَرَدُ الزَّغف السوابغ أَوْ نَقْشٌ لأَطيارٍ(١ او تفريك اثوابِ

وروى لهُ ايضاً في الشوق ووصف الربيع (من البسيط) :

سَلِ الحبيبَ الذي هام الفؤادُ بهِ هل يذكر العهد انَّ العهدَ مذكورُ
ايّام نأخذُها صهباءَ صافيةً يُمسي الحزينُ لديهـا وهو مسرورُ
يَسْعى بها غصنُ بانٍ في كثيبِ نقاً لـهُ على القَوم ترديدٌ وتـكريرُ
اذا اتاكَ بكأْسٍ خلتَها قبساً يَسْعى بهِ في ظـلام الليل مقرورُ
يُعطيكـهُ وهو ياقوتٌ ويأخذهُ اذا أَشرتَ اليـهِ وهو بَلُّورُ
والارضُ قد نسَجَت ايدي الربيع لها وشياً تردَّت بهِ الآكامُ والقُورُ
فالتبرُ مجتمعٌ فيها ومفترقٌ والزهرُ منتظمٌ فيها ومنثورُ
كأَنَّ منثورها والعين ترمقهُ دراهمٌ حين تبدو او دنانيرُ
ما شِئتَ من منظرٍ في روضها نَضِرٍ كأَنَّما نَوْرُهُ من حُسْنهِ نور
نَظَلُّ اطيارها تشدو بها طرباً اذا تبدَّت من الصبح التَّباشيرُ
من بُلبُلٍ كلَّما غنّاكَ جاوَبَهُ فيهـا هزارٌ وقُمْريٌّ وشُحرورُ
كأَنَّما صوت ذي صَنجٍ يجاوبُه من ذاكَ نايٌ وذا بَمٌّ وذا زِيرُ

---

١) وفي الاصل: نقش اطيار

٢٧ جرجس الانطاكي النصراني

﴿اخباره ودينهُ﴾ هو ايضاً ممَّن نظمهم العماد الاصبهاني في كتابهِ خريدة القصر وفريدة العصر (Paris, 1414 ff. 157 et 3330 ff. 157. Leide 881, n° 157) يدعى الفيلسوف الانطاكي النصراني وهو موصوف كفيلسوف وشاعر معاً . كان اصلهُ من انطاكية فرحل الى مصر ومارس فيها فنَّ الطبابة واشتغل بالفلسفة . قال جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ١٥٧) : « جرجس الفيلسوف الانطاكي نزيل مصر يزعم انهُ قرأ على علماء بلدهِ واستوطن مصر وطبَّب بها »

وهناك وجدهُ ابو الصلت امية بن عبد العزيز لمَّا دخل مصر سنة ٥١٠ ﻫ (١١١٦م) وذكر في رسالتهِ المصريَّة التي وصف فيها ما رآهُ في ديار مصر من هيئتها وآثارها ومَن اجتمع بهم من الاطباء والمنجمين والشعراء وغيرهم من اهل الادب (راجع ابن ابي اصيبعة ٢ : ٦٣)

ودونك ما قالهُ في جرجس الانطاكي كما رواهُ عنهُ جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ١٥٧) وابنُ ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (٢ : ١٠٦) وابن العبري في مختصر تاريخ الدول (ص ٣٤٨) وكلهم نقلوا كلام ابي الصلت حيث يذكرهُ ويذكر معاداتهُ لطبيب يهودي مصري يدعى ابا الخير سلامة بن رحمون كان يتعاطى مثلهُ الطبابة والفلسفة فكان مولعاً بهجائهِ . وهذا ما كتبهُ ابو الصلت بحرفهِ الواحد قال :

لمَّا دخلتُ الى مصر في حدود سنة عشر وخمسمائة ادركتُ بها طبيباً انطاكيًا يسمَّى جرجيس ويلقَّب بالفيلسوف على نحو ما قيل في الغراب ابو البيضاء وللَّديغ سليم . وقد تفرَّغ للتولُّع بابي خير سلامة بن رحمون اليهودي الطبيب المصري والازراء عليهِ . وكان يزوِّرُ فصولاً طبيَّة وفلسفيَّة يبرزها في معارض الفاظ القوم وهي مُحال لا معنى لها فارغة لا فائدة فيها ثمَّ ينفذها الى من يسأل ابا الخير عن معانيها ويستوضحهُ اغراضها فيتكلَّم ابو الخير عليها ويشرحها بزعمهِ دون تيقظ ولا تحفُّظ باسترسال واستعجال وقلَّة اكتراث واهتبال (ويروى : واهمال) فيؤخذ (ويروى : فيوجد) فيها عنهُ ما يُضحك منهُ »

هذا ما قال ابو الصلت وفي قولهِ « انَّ جرجس الانطاكي لُقِّب بالفيلسوف على نحو ما يقال في الغراب ابو البيضاء والمديغ سليم » تهكُّم ظاهر كانهُ لُقِّب بذلك على عكس المعنى وهو نوع من البديع . ولا نعرف شيئاً من اعمال جرجس المذكور لنتحقَّق صحَّة قول ابي الصلت فيهِ

﴿شعرهُ﴾ لجرجس الانطاكي اقوال في الشعر حسنة وكلُّها في هجو ابي الخير الطبيب اليهودي المذكور . ويظهر من كلام ابي الصلت في حقّ ابي الخير انهُ لم يكن محققاً بل متشدقاً قال عنهُ (طبقات الاطباء ٢: ١٠٦): « انهُ كان يكثر كلامهُ فيُضلّ ويُسرع جوابهُ فيزلّ وكان مَثَلُهُ في عظيم ادّعائهِ وقصورهِ عن أيسر ما هو متعاطيهِ كقول الشاعر :

يشمّر للُّجّ عن ساقهِ ويَغمرُهُ الموجُ في الساحلِ

او كما قال الآخر :

تمنّيتمُ مائتي فارسٍ فردَّكمُ فارسٌ واحدُ

وقال ابو الصلتُ: وأُنشدتُ لجرجس وهو احسن ما سمعتُهُ في هجو طبيب مشؤوم وانا مُتَّهِم لهُ فيهِ (من السريع) :

انَّ ابا الخيرِ على جهلهِ يَخِفُّ في كفّتهِ الفاضلُ
عليلُهُ المسكينُ من شؤمهِ في بحر هُلْكٍ ما لهُ ساحلُ
ثلثةٌ تدخُلُ في دفعةٍ طَلْعَتُهُ والنعشُ والغاسِلُ

وقال ابو الصلت: ولبعضهم (يعني جرجس الانطاكي) فيهِ (من الخفيف):

لابي الخير في العلا ج يدٌ ما تُقصَّرُ
كلُّ من يَستطبُّهُ بعد يومَين يُقبَرُ
والذي غابَ عنكمُ وشَهِدناهُ أكثرُ

ولجرجس في هذا الطبيب (من الطويل) :

جُنونُ ابي خيرٍ جنونٌ بعينهِ وكلُّ جنونٍ عندهُ غايةُ العَقْلِ
خُذوهُ وغُلُّوهُ وشُدُّوا وثاقهُ فما عاقلٌ من يَستهينُ بمُخْتَلِّ
وقد كان يؤذي الناسَ بالقول وحدهُ فقد صار يؤذي الناسَ بالقول والفعلِ

وقد اردف عماد الدين ابياتاً في هذا المعنى ولم يذكر قائليها ولعلّ منها ما هو لجرجس الانطاكي فمنها :

قُلْ للوبا انتَ وابنُ زُهْرٍ قد جُزْتُما الحدّ في النكايَهْ
ترفَّقا بالورى قليلاً في واحدٍ منكما كفايَهْ

وقال آخر :

ما خطَرَ النبضُ على بالهِ   يوماً ولا يعرفُ ما الماء
بل ظنَّ انَّ الطبَّ دُرَّاعةٌ   ولحيةٌ كالقُطْنِ بيضاء

وقال آخر في مثلهم :

وطبيبٍ مجرَّبٌ ما لهُ با م   لنُجْحٍ في كل ما يجرّب عادَهْ
مرَّ يوماً على مريض فقلنا   قُرَّعيناً فقد رُزقتَ الشهادَهْ

٢٨ ابو الفرج يحيى ابن التِلميذ

﴿اصلهُ واخبارهُ ودينه﴾ هو الاجلُّ الحكَم معتمد الملك ابو الفرج يحيى بن صاعد بن يحيى بن التلميذ النصراني النسطوري. قال جمال الدين القفطي (ص ٣٦٤) : «كان طبيبَ الدولة العبَّاسيَّة في زمانهِ ويستشار برأيهِ ولهُ الفضل الوافر والادب الغزير والمعرفة الكاملة. واتَّفقت لهُ سعادة جدّ حتى كسب الاموال وعاش الى آخر عهد المستظهر بالله في حدود سنة ٥١٢ ﻫ (١١١٨ م) »

قال ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء ١ : ٢٧٦) : كان معتنياً (ويروى: متعيّناً) في العلوم الحكميَّة، متقناً للصناعة الطبيَّة، متحلّياً بالادب، بالغاً فيهِ اعلى الرُّتب، وكذلك كان لامين الدولة ابن التلميذ جماعة من الانساب، كلٌّ منهم متعلّق بالفضائل والآداب، وقد رأَيتُ بخطّ الاجلّ معتمد الملك يحيى ابن التلميذ ما يدلُّ على فضلهِ، وعلوّ قَدْرهِ ونُبلهِ، وكان من المشايخ المشهورين في صناعة الطبّ ولهُ تلاميذ عدَّة

﴿شعرهُ﴾ لم يكن يحيى ابن التلميذ طبيباً نطاسيًّا فقط بل كان ايضاً شاعرًا مُجيدًا. قال الملك المنصور صاحب حماة (Ms Leide 884, p. 340) : « يحيى ابن التلميذ الحكيم كان يلقَّب معتمد الدولة وكان فاضلًا اديباً وديوان شعره مشهور» . ومنهُ يتَّضح انَّ شعرهُ كان وافرًا حتى جُمع في ديوان ولم نجد لهُ ذكرًا في احدى مكاتب حواضر البلاد ولا عند الخاصَّة والعامَّة. وانَّما ذكر لهُ الادباء عدَّة مقاطيع جمعناها في ما يلي. فمن شوقيَّاتهِ قولُهُ نقلًا عن احدى مجموعات باريس (Paris, Ms 3412, ff. 32v) (من البسيط) :

اللهُ ابقاكَ للدنيـا وللدينِ ولا يُخلّيكَ من عزٍّ وتمكينِ
روحي بروحك ممزوجٌ ومتّصلٌ وكلُّ عـارضةٍ تؤْذيكَ تؤْذيني

ولهُ فيها (ff. 35r) : (من الخفيف) :

أَنعِما بالوَصل أيا الفرقـدانِ وأسْلَما من صروف هـذا الزمانِ
كم أشتَّ الفراقُ بين حبيبٍ وحبيبٍ وانتما تَصْحبـاني
وستُفْضي اليكما عن قريبٍ نَوْبـةُ البَيْن ثمَّ تفترقـانِ

وروى لهُ في هـذا المعنى صاحب الايضـاح على المفتاح (ص ١٤٨) (من السريع) :

بدا الينا أرَجُ القادمِ فبرَّد الغُلّـة من هـائمِ (١
روَّح عن قلبي على نأْيِـهِ وقد يَلذُّ الطَّيفُ للحالمِ

ورُوي لهُ في الغزل في طبقات الاطباء (من المتقارب) :

فراقُكَ عندي فراقُ الحياةِ فـلا تُجْهِزنَّ على مُدْنِفِ
عَلِقْتُكَ كالنار في شَمْعها فما إن تُفارِقُ او تنطفي

ومن ظريف اقوالهِ قولهُ في دار جديدة بناها سيف الدولة صَدَقةُ وقعت فيهـا النار يوم فراغهِ من بنائها (من الكامل) :

يا بانياً دار العُلى مُتَلَهِّياً (٢ لِتزيدَها شرفاً على الـكِيوانِ
عَلِمَتْ بأنك انّمـا شَيَّدْتَها للمجدِ والإِفْضالِ والإِحْسانِ
فتَقَتْ عوائدَكَ الكرامَ وسابقَتْ تَسْتقبلُ الاضيافَ بالنيرانِ

---

١) رواية ابن ابي اصيبعة ١ : ٢٧٠) : من حائمِ
٢) ويروى : مليّتها . وملأتها

وقال في المعنى (من الكامل):

عَلِقَ الفؤادُ (١ على خُلُوّ حبّها ... عِلْقَ الذُّبالةِ في حشا المصباحِ
لا يُستطاعُ الدهرَ فُرْقةُ بينهم ... إلّا لحينِ تفرُّقِ الاشباحِ (٢

وقرأنا لهُ في بعض المجاميع المخطوطة في مكتبتنا الشرقيَّة (من المنسرح):

إرْضَ لمن غابَ عنك بكبرهِ ... فذاك ذنبٌ عِقابُهُ فيهِ
لو لم ينَلْهُ من الجفاء سوى ... بُعْدِكَ عنهُ لكان يكفيهِ

وقال في هلاك الظالم (من الخفيف):

واذا أنبتَ المُهيمِنُ للنمـل م جَناحاً أعدَّها للتّردّي
ولكلّ امرئٍ من الناس حدٌّ ... وهلاك الفتى جوازُ التعدّي

ولهُ ايضاً وفيهِ اشارة منطقيَّة (من الكامل):

تَعِسَ القياسُ فللغرامِ قضيَّةٌ ... ليستْ على نَهْجِ الحِجى تَنْقادُ
منها بقاءُ الشَّوقِ وَهْو بزَعْمهم ... عرَضٌ وتفنى دونهُ الأَجسادُ

وروى لهُ الدميري في حياة الحيوان (٢ : ٣٢) قولهُ في تشبيه السَّمَك وضَرَر النسيمِ بها وهو يروى لهبة الله ابن التلميذ (من المتقارب):

لَبِسْنَ الجواشِنَ خوفَ الرَّدَى ... عليهنَّ من فوقهنَّ الخُوَذْ
فلمَّا أُتيحَ لها أهلكت ... بَرْدُ النسيمِ الذي يُستلَذْ

ومن هجوه ما قالهُ في مُغَنٍّ (الرجز):

---

١) و في طبقات الشعراء: قَلِقَ الفؤادُ . . .
٢) وروى: لا يستطيعُ الدهرُ . . . تبلُّجَ الإصباح

لنا مغنٍّ ان شدا تَدفِنُنا ثلوجهُ
فموتُنا خروجهُ (١ وبعثُنا خروجهُ(٢

وليحيي ابن التلميذ عدَّة الغاز بالشعر. من ذلك ما اخبر بهِ عليّ بن يوسف بن ابي المعالي سعد بن علي الحظيري قال: وجدتُ بخطّ الرجل الحكيم معتمد الملك يحيي ابن التلميذ لنفسهِ لغزًا في الابرة وخيطها (من الوافر):

وفاغرةٍ فماً في الرِجْل منها ولكن لا تُسيغُ بهِ طعاما
ومُخْطَفَةِ الحشا في الرأس منها لسانٌ لا تُطيق بهِ الكلاما
تصول بشوكة تبدو وسُمٍّ(٣ وما مَن ذاقهُ يَرِدُ الحِماما
تجرُّ وراءها ابدًا اسيرًا كما قادت يدُ الحادي الزماما
منيعًا ذا قوًى لكن تراهُ بقبضتها ذليلًا مُستضاما
فتُلفيهِ بحبسها مقيماً طِوالَ الدهر لا يأبى المُقاما
أيا عجباً لها سوداءُ خُلْقاً تُريك خلائقاً بيضًا كراما
غدَتْ عُرْيانَةً عن كلّ لُبْسٍ وفاضِلُ ذَيْلها يكْسو الأَناما

وقال ملغزًا في قوس رواهُ عماد الدين في خريدتهِ (من الوافر):

وما ذو قامةٍ ذاتِ اعوجاجِ يَئِنُّ وينحني عند الهياجِ
لهُ المكرُ الجفيُّ مع التَّمطّي كمَكْرِ الراحِ في القدَح الزُّجاجِ

١) خروج المغنّي ان يَمُدَّ صوتَهُ في الغناء ويُخرجهُ في الايقاع . يريد انه اذا فعل ذلك مات السامعون من قبح صوتهِ ٢) اي اذا خرج عادت الينا الحياة
٣) سُمّ الابرة خرمُها

وروى لهُ ابن منظور في نثار الازهار (ص ١٠٦) لغزًا في الظلّ (من الطويل):

وَشيءٍ من الاجسام غيرِ مجسَّمٍ | لهُ حركاتٌ تارةً وسكونُ
اذا بانتِ الانوارُ بانَ لناظري | وامَّا اذا بانت فليس يبينُ
يتمُّ اوانٌ كونهُ وفسادُهُ | وفي وَسْطِ مَحْياهُ المُحاقُ يكونُ

وللشريف ابي العلاء محمَّد بن الهباريَّة قصيدة مدح فيها يحيى ابن التلميذ وكان ابو العلاء قد اتاهُ الى اصبهان فحصَّل لهُ يحيى من الامراء والاكابر مالًا جزيلًا. وفيها يقول:

وجميعُ ما حَصَّلتُهُ وجمعتُهُ | منهم وكنتُ لهُ بشعري كاسبا
نُعمى ابي الفرج بن صاعدٍ الذي | ما زال عني في المكاسبِ نائبا
هو لا عُدِمتُ عُلاهُ حصَّل كلَّ ما | أمَّلتُهُ ورَمى فكنتُ الحالبا
يحيى بنُ صاعدِ بنِ يحيى لم يزل | للمكرَمات الى جنابي جانبا
ما زال يُنعشني نداهُ حاضرًا | وينوبُ عني في المطالبِ غائبا
في باب سيف الدولة ابنِ بهائها | وكذا نصير الدين كان مخاطبا
كاتبتُهُ بحوائجي وهززتُهُ | فوجدتُهُ فيها الحسامَ القاضيا
ما زال يغرسني يداهُ ولم أزل | بنَداهُ ما بين البريَّة خاطبا

ومنها:

لا زلتُ أُثني بالذي اوليتَني | وعلى المديح محافظًا ومواظبا
وبقيتَ لي ذُخرًا ودمتَ ممتَّعًا | بالمجد للأبرادِ منهُ ساحبا
ثقةَ الخلافة سيِّد الحكماء معتمدَ | م الملوك الفيلسوفَ الكاتبا

فيستفاد من هذا المديح ما كان عليه يحيى ابن التلميذ من المنزلة العالية عند الخلفاء وكبار الدولة ثمَّ قيامهُ بخدمة الادباء كابن الهباريَّة واقامتهُ مدَّة في اصبهان. ويحيى ابن التلميذ هو جدُّ امين الدولة هبة الله الشهير بابن التلميذ الآتي ذكرهُ

٢٩ هبة الله ابن التلميذ

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ قال ابن ابي اصيبعة في طبقـات الاطبّاء (١ : ٢٥٩) : « هو الأَجلّ موفّق الملك امين الـدولة ابو الحسن هبة الله بن ابي العـلاء (وفي تراجم الاعيان لابن خلكان (٢ : ٢٥٢) : بن ابي الغنائم صاعد بن ابرهيم (وفي ابن خلكان : صاعد بن هبة الله بن ابرهيم بن عليّ) بن التلميذ » . وقد لُقّب ايضاً بسلطان الحكماء كما روى عماد الدين الاصفهاني في الخريدة . وقال ابن ظافر الازديّ في بدائع البدائع (ص ٥٤) : « هو المعروف بابن التلميذ . وانّما امّهُ من بنات التلميذ فعُرف بذلك » . وقال جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٣٤٠) : « وابن التلميـذ هو جدّهُ لأُمّهِ والحكيم معتمد الملك ابو الفرج يحيي هو ابن بنتهِ فنُسب اليهِ » وقال ابن ابي اصيبعة عن والد هبة الله : « وكان امين الدولة وهو ابو العلاء صاعد طبيباً فاضـلًا مشهورًا » . وقال في محلّ آخر (١ : ٢٧٦) : « وكذلـك ايضاً كان لامين الـدولة ابن التلميذ جماعـة من الانساب كلٌّ منهم متعلّق بالفضائل والآداب » . وزاد على قولهِ فيهِ : « واكثر اهلهِ كتّاب » . وذكرهُ عمرو بن متى في اخبار فطاركة كرسيّ المشرق من كتاب المجدل (ص ١٠٣) ودعاهُ « بالطبيب الغياثي »

﴿زمانهُ ودينهُ﴾ كان اصل امين الدولة من بغداد . فيها كان مولدهُ نحو السنة ٤٧٤هـ (١٠٨١م) . قـال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٦٤) : « وكانت وفاة امين الدولـة ببغداد في ٢٨ من شهر ربيع الاوّل سنة ٥٦٠ (شباط ١١٦٤) . امّا عماد الاصفهاني فجعل وفاتهُ في صفر من تلك السنـة . قال في خريدة القصر : « هلك ابن التلميـذ الطبيب النصراني بصفر سنة ٥٦٠ هـ وقد ناهز المئة وعاش الى زماننـا ورأيتهُ وهو شيخ . . . »

امّا دينهُ النصراني فلا يشكّ فيهِ احدٌ . قال ابن ابي اصيبعة : « ومات نصرانيًّا » وقال عمرو بن متى في المجدل (ص ١٠٦) في ترجمة البطريرك ايشوعياب : « وفي ايامهِ توفي امين الدولة ابن التلميذ رضي الله عنهُ ودُفن في الصحن الداخلاني ببيعة العتيقة » ويتّضح من ذلك انهُ كان نسطوريًّا . وقال ابن الازرق الفارقيّ في تاريخهِ : « مات ابن

التلميذ في عيد النصارى • وقال جمال الدين القفطي : توفي وذهنهُ بحالهِ

﴿اخبارهُ﴾ قال ابن ابي اصيبعة : « كان ابن التلميذ في اوّل امرهِ قد سافر الى العجم وبقي بها في الخدم سنين كثيرة» ثمَّ عاد الى بغداد . ولمَّا توفي يحيى بن التلميذ قام امين الدولة مقامه وهو ابن بنتهِ وخدم الخلفاء والملوك واتخذه الخليفة المقتفي بالله (٥٣٠ــ٥٥٥ هـ = ١١٣٦ــ١١٦٠ م) كطبيبهِ الخاصّ وجعل لهُ راتباً بدار القوارير فقطعهُ الوزير عون الدين بن هبيرة ولم يعلم الخليفة بقطعهِ حتى اشار الى ذلك ابن التلميذ اشارةً لطيفة اذ قال لهُ الخليفة يوماً : قد كبرتَ يا حكيم . فاجابه : « نعم يا مولانا وتكسَّرت قواريري : «فادرك الخليفة بعد البحث سرَّ جوابهِ وتقدَّم بردّ راتبهِ بدار القوارير عليهِ وزادهُ اقطاعاً آخر (تاريخ الحكماء ص ١٤١) . وأُقيم ساعورًا اي رئيساً على البيمارستان الكبير في بغداد المعروف بالبيمارستان العضدي المنسوب الى عضد الدولة ابن بويه الى حين وفاتهِ . وخدم ابن التلميذ بعد وفاة المقتفي ابنهُ المستنجد . قال ابن ابي اصيبعة (١ : ٣٦٢) كانت دار امين الدولة التي يسكنها في بغداد في سوق العطر ممَّا يلي بابُهُ المجاور لباب الغربة من دار الخلافة المعظَّمة بالمَشرَعة النازلة الى شاطىء دجلة

﴿مقامهُ وعلومهُ وفضائلهُ﴾ قد اتَّسع الكتبة في وصف هبة الله بن التلميذ واطنبوا في فضلهِ قال عماد الدين الاصبهاني في الخريدة :

« هو مقصدُ العالم في علم الطبّ بقراطُ عصرهِ وجالينوس زمانهِ خُتم بهِ هذا العلم ولم يكن في الماضين من بلغ مداهُ في الطبّ . عمّر ابن التلميذ طويلًا ، وعاش نبيلاً جليلًا ، ورأيتهُ وهو شيخ بهيّ المنظر حسن الرُّواء عذب المُجتَلى والمُجتنى لطيف الروح ظريف الشخص بعيد الهم عالي الهمَّة ذكيّ الخاطر مُصيب الفكر حازم الرأي شيخ النصارى وقسيسهم ورأسهم ورئيسهم»

ونقل ابن خلكان (٢ : ٢٥٣) ما ورد عنهُ في كتاب نموذج الاعيان من شعراء الزمان فيمن أُدرك بالسماع او بالعيان :

«كان ابن التلميذ متفنّناً في العلوم ذا رأي رصين ، وعقل متين ، طالت خدمتهُ للخلفاء والملوك ، وكانت منادمتهُ احسن من التبر المسبوك ، والدرّ في السلوك ، اجتمعتُ بهِ مرارًا في آخر عمرهِ ، وكنتُ أُعجب في امرهِ ، كيف حُرم الإسلام مع كمال فهمهِ ، وغزارة عقلهِ وعلمهِ ، والله يهدي من يشاء بفضله ، ويُضلّ من يريد بحكمهِ ، وكان اذا ترسّل استطالَ وسَطا ، وان نظم وقع بين ارباب النظم وسطًا »

ونقل ابن ابي اصيبعة عن موفّق الدين البغدادي في هبة الله ابن التلميذ ما يدلّ على مروءَته ونزاهتهِ وعظم نفسهِ قال :

«كان ابن التلميذ حسن العشرة كريم الاخلاق عنده سخاء ومروءة واعمال في الطب مشهورة وحدوس صائبة . . . قال ومن مروءَتهِ انَّ ظهر دارهِ كان يلي المدرسة النظاميَّة فاذا مرض فقيهٌ نقلَهُ اليهِ وقام في مرضهِ عليهِ . فاذا أبلَّ وهب لهُ دينارين فَصرفَهُ»

وممَّا حكاهُ عبد اللطيف عن امين الدولة وكأَنَّهُ قد تجاوز في هذه الحكاية قال :

« وكأَن امين الدولة لا يقبل عطيَّةً الَّا من خليفة او سلطان فعرض لبعض الملوك النائية دارهُ مرضٌ مزمن فقيل لهُ : ليس لك الَّا ابن التلميذ وهو لا يقصد احدًا . فقال : انا اتوجَّه اليهِ . فلما وصل أفرَدَ لهُ ولغلمانهِ دورًا وأفاض عليهِ من الجرايات قدر الكفاية وابثَ مدَّةً . فبرئ الملك وتوجَّه الى بلادهِ وارسل اليهِ مع بعض التجَّار اربعة آلاف درهم واربعة تخوت عتابيّ واربعة مماليك واربعة افراس . فامتنع من قبولها وقال : انّ عليَّ يمينًا ان لا اقبل من احد شيئًا . فقال التاجر : هذا قدرٌ كبير . فقال : «انا لمَّا حلفتُ لم أَستثْنِ» . واقام شهرًا يراودهُ وهو لا يزداد إلَّا إباءً ونأيًا . فقال لهُ عند الوداع : ها انا اسافر ولا ارجع الى صاحبي واتمتَّع بالمال فتقلَّد منَّتهُ وتفوتك منفعتهُ ولا يعلم احدٌ انك ردَدتهُ . فقال : أَلستُ اعلم في نفسي اني لم أَقبلهُ فنفسي تشرُفُ بذلك عَلمَ الناس او جهلوا »

وكان ابن التلميذ مع سموّ فضلهِ حسن السَّمْت وافر الوقار كثير التواضع . وجرى لهُ مناقشات مع احد حكماء زمانهِ ابي البركات هبة الله بن علي بن ملكا وكان يهوديًّا فاسلم وكان معروفاً بالصَّلَف والكبرياء على خلاف ابن التلميذ فقال البديع الاسطرلابيّ فيهما :

ابو الحسن الطبيب ومقتفيهِ ... ابو البركات في طرَفَيْ نقيضِ
فذاك من التواضُع في الثريَّا ... وهذا بالتكبُّر في الحضيضِ

ووصف ابو سعيد بن ابي سهل البغدادي ابن التلميذ فقال :

« رأيتُ امين الدولة ابن التلميذ فاجتمعتُ بهِ وكان شيخًا رَبْع القامة عريض اللحية حلوَ الشمائل كثير النادرة (قال) وكان يحبُّ صناعة الموسيقى وكان يميل الى اهلها »

ولهُ اخبار كثيرة تدلُّ على براعتهِ في الطبّ رويناها سابقًا في المشرق(١

١) المشرق ٩[١٩٠٦] : ٧٨١

﴿آدابهُ وتآليفهُ﴾ ذكر شهاب الدين العمري سعة معارف ابن التلميذ في كتاب مسالك الابصار في اخبار ملوك الامصار (نسخة المكتبة الخديويَّة ص ٣٣٦) قال في طبقات الاطباء:

«ومنهم امين الدولة ابن التلميذ فَرْد زمانهِ، وندُّ (وفذّ ؟) أقرانهِ، وبلغ بعلمهِ مبالغ الأشراف، ووصل في فهمهِ حدَّ الإشراف. وكان يتكلَّم في مجالس الخلفاء منبسطاً، يتقدَّم في مجال السؤَّال للضعفاء متوسّطاً، لسابقة خدمهِ، وباسقة صُنعهِ في بيت الإمامة دون باقي خَدَمهِ، ولِما تجلَّت بهِ شِيمهُ من مآثر، وحلَّت بأدبهِ ممَّا لا يقدر عليهِ مكاثر، حتى كان يناظر جلَّة الفقهاء، وجملة اهل العلم سوى السفهاء. ويفرّس الادباء، ويفرش لمواطئهِ الاطبَّاء، ويضرب بقلمهِ عصا ابن البوَّاب، ويُطرف طَرَفُ طرسهِ مُقلة ابنِ مُقلة بفاضل الجلباب، وهو على دينهِ المخالف يكرهُ الصدور، ويجره جرَّة (كذا) البدور،

قال ابن ابي اصيبعة (١: ٢٥٩): «كان ابن التلميذ جيّد الكتابة يكتبُ خطّاً منسوباً وقد رأيتُ كثيرًا من خطهِ وهو في غاية الحسن والصحَّة وكان خبيرًا باللسان السرياني والفارسي متبحّرًا في اللغة العربية... وكان يترسَّل ولهُ ترسُّل كثير جيّد وقد رأيت لهُ من ذلك مجلّدًا يحتوي على انشاء ومراسلات ..» ثم ذكر (ص ٢٧٦) عدَّة تآليف صنّفها في الطبّ لا يزال بعضها في خزائن الكتب الشرقيَّة كاقراباذينهِ ورسالتهِ في الفصد والاقناع والمقرَّبات. وقد وجدنا لهُ في مكتبة الكلدان في دياربكر سنة ١٨٩٥ رسالة لطيفة في اثبات عقائد الدين المسيحي سنعود اليها ان شاء الله. ولهُ الرسالة الأَمينيَّة كتبها الى ولدهِ وكان يُعرَف برضي الدولة ابي نصر قال ابن ابي اصيبعة (١: ٢٦٠): «ولم يكن مدركاً لصناعة الطب وكان في سائر احوالهِ بعيدًا عمَّا كان عليه والدهُ» وقال (ص ٢٦٤):

«خلَّف ابن التلميذ نعماً كثيرة واموالًا جزيلة وكتباً لا نظير لها في الجودة فورث جميع ذلك ولدهُ وبقي مدَّةً ثمَّ انهُ خُنق في دهليز دارهِ وأُخذ مالهُ ونُقلت كتبهُ على اثني عشر جملًا الى دار المجد بن الصاحب وكان ابن امين الدولة قد اسلم قبل موتهِ»

﴿شعرهُ﴾ قال ابن ابي اصيبعة (١: ٢٥٩): «ولابن التلميذ شعر مستظرف حسن المعاني إلَّا انهُ اكثر ما يوجد لهُ البيتان او الثلثة وامَّا القصائد فلم اجد لهُ منها الَّا القليل». وقد نظمهُ العماد الاصبهاني في كتابهِ خريدة القصر في جملة الشعراء وقال عنهُ: «كان من اكبر كتَّاب النصارى لهُ ابيات افراد كلُّها فرائد وكلمات وافية رائقة، شافية شائقة» وقال صاحب كتاب اخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في

طبقات الشعراء (Ms Leid, p. 427) فوصف نظمَهُ بقولهِ : «ان شعرهُ كثير المُلَح» ودونك بعض ما وقفنا عليهِ من ذلك نفصلهُ ابواباً

﴿ لهُ في المديح ﴾ مــا كتب بهِ في صدر رسالة الى جمال الدين ابي الفتح بن الفضل بن صاعد جواباً (من الكامل) :

ما نَشْرُ أَنْفاسِ الرياضِ مريضةً ... عُوَّادُها ظِلُّ النَّدى وقِطارُ
كفلَتْ بِثَرْوتها مؤَبدةً بها ... وكفى صداها جدولٌ مِــدرارُ
بكَتِ السماءُ فأَضحكتْها مثلَ مــا ... أَضحكْ فتضحكُ بي الغداةَ نَوارُ
واذا تُعــارضهــا ذكاءُ تَشَعْشَعَتْ ... فتمازَج الــنَّوَّارُ والــنُّوَّارُ
مشَتِ الصبا بفروعها مختــالةً ... فَصبا المَشوق وغيرُهُ اُستعبــارُ
واذا تغنَّى الطــيرُ في ارجــائها ... أَبدى بلابلَ صَدْرِها التَّــذكارُ
يوماً بأَطيبَ من جِوارِكَ شاهدًا ... او غــائباً تَدْنو بك الاخبــارُ

وكتب الى الوزير سعد الملك نصير الدين (من البسيط) :

لا زال جَدُّكَ بالاقبال موصولَا ... وجدُّ ضِــدِّكَ بالإِذْلالِ مَغْلولا
ولا عَدِمْتَ من الرحمانِ مَوْهبةً ... تُعيــد رَبْعَكَ بالعافينَ مــأهولا
فنعمَ مُنْطَــلِقُ الكفَّين انت اذا ... أَضْحى اللئيمُ عن المعروف مغلولا
تجودُ بالمال لم تسأَل يداهُ وإن ... تُسأَلْ فصاحتُهُ بَذَّ الورى قِيــلا
لا يستريحُ الى العِلَّات معتذرًا ... اذا الضَّنينُ رأى للبُخْــل تأويلا
يبادر الجودَ سبقاً للسؤال يرى ... تعجيلَهُ بعد بَذْل الوجه تأجيلا
لاغرو ان كُسِفَت شمسُ الضُّحى وبدت ... فأكثرَ الناسُ تقبيحًا وتهليلا
فأنت سيفُ غياث الدين أَغْمَدَهُ ... صَوْناً وعاد على الاعداء مسلولا

فما يليق بغير السَّعْد مُسنَدُهُ وإن أعاروهُ إعظاماً وتبجيلا
فأُسْلَم على الدهر في نَعْماءَ صافيةٍ من النوائب مرهوناً ومأمولا

ومن ظريف قولهِ في شريفٍ كان يتواضع (من الطويل) :

تواضعَ كالبَدْر أُستنارَ لِناظِرٍ على صَفَحات الماء وهو رفيعُ
ومَنْ دونَهُ يسمو الى المجد صاعدًا سموَّ دُخانِ النار وهو وَضيعُ

وقال يمدح موفَّق الدين ابا طاهر الحسين بن محمَّد. وكان ابن التلميذ دخل مدينة ساوة واشتغل في خزانة كتبها التي اوقفها موفَّق الدين على المدينة (من المنسرح) :

وُفِّقْتَ للخير اذ عَمَّمتَ بهِ طُلَّابَهُ يا موفَّق الدينِ
أَزلفتَ للنَّاس جَنَّةً جمعتْ عيونَ فضلٍ أَشهى من العِينِ
فيها ثمارُ العقولِ دانيةٌ قُطوفُها حُلْوةُ الأَفانينِ
لا زلتَ تَسمُو بكلّ صالحةٍ بمُسْعِدَيْ قدرةٍ وتمكينِ
ويرحمُ اللهُ كلّ مستمعٍ مُشيّعٍ دعوتي بتأمينِ

ولهُ «في الشكر والتهانئ والهدايا» قال يشكر مستوفي المالك العزيز ابا نصر ابن حامد (من الطويل) :

لَعَمْرُ ابيك الخيرِ ليس بواحدٍ من الناسِ إِلَّا حامدًا لابن حامدِ
كأَنَّهمُ دانَوْا الإِلهَ بشكرهم عُلاهُ ولكن لا كشكرِ ابنِ صاعدِ
همُ خبَّروا عنهُ فأثنوا بصالحٍ وعندي بما أَثنيتُ خيرَ المشاهدِ

ومن تهانئهِ قولهُ يهنئ بخلعةٍ (من الوافر) :

لَئنْ شَرُفَتْ مَناسبُها وجلَّتْ لقد زُفَّتْ الى كُفْءٍ شريفِ

الى مَنْ زانها وأُزْدان منهـا كسالفةِ المَليحة والشُّنوفِ

واهـدى الوزيرَ ابن صَدَقـة كتاب المحاضرات الراغب وكتب معهُ (من الكامل):

لمَّا تَعذَّر ان اكونَ ملازماً لجنابِ مولانا الوزيرِ الصاحبِ

ورغبتُ في ذكري بحضرة مجدهِ أَذْكرتُهُ بمحاضرات الراغبِ

وكان ابو القاسم بن الفضل عتب على ابن التلميذ في امرٍ فاجابهُ خالعاً عليهِ قميصاً مصمتاً اسود وكان السواد من اعلام الدولة العبَّاسيَّة (من الطويل):

أُحبُّكَ في السوداء تَسحبُ ذيلَها خطيباً ولكن لا بذكر مثالبي

وقال ايضاً يسترضيهِ (من الطويل):

اتاني كتـابٌ لم يَزِدْني بصيرةً بسؤْدُدِ مُهديها اليَّ وفضلهِ

فقلتُ وقد أَخجلتَني بابتدائهِ: أَبى الفضلُ إلَّا ان يكون لاهلهِ

ولهُ ﴿في الرثاء﴾ قال في رئيسٍ مات في يومٍ ممطرٍ (من الكامل):

كم ذا الوقوفُ على غُرورِ أَماني أَأَخذتَ من دنياكَ عِقْدَ أَمانِ

هل عيشةٌ بعد الرِضا مَرْضيَّةٌ كلَّا ولو كانت خلودَ جِنانِ

انَّ السماءَ بفقدهِ لحزينةٌ فرياحُها نَفَسُ الكئيبِ العاني

الغيثُ أَدمُعُها وما برَقتْ به نارُ الجوى والرَّعدُ للإرنانِ (١

لو ذاق فَقْدَكَ مَنْ يلومُ على البكا لزَرى على التَّنسيم (٢ والسُّلوانِ

١) ويروى: للاحزانِ

٢) ويروى: على التبسيم

تَبِعوكَ اذ صلّوا عليك ولم تزَلْ كالنَّجم تُهديها بكلّ مكانِ
لا يُبعدَنْك وما البعيدُ بمن نأى حيًّا ولكنَّ البعيدَ الداني

وقال يرثي صاحب الحلّة الامير سيف الدولة صدَقة بن منصور بن دبيس لمّا قُتل سنة ٥٠١ﻫ (١١٠٧م) في واقعة كانت بينهُ وبين عسكر السلطان محمّد شاه. «وكان هذا الامير على ما وصفهُ ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (éd. Popper, vol. 2 p.351) كريماً عفيفاً عن الفواحش وكانت دارهُ ببغداد حَرَماً للخائفين ولم يتزوَّج غير امرأة واحدة وكانت سيرتهُ مشكورة وخصائلهُ محمودة ان سلم من مذهب اهل الحلّة فان اباهُ كان من كبار الرافضة». وهذا رثاء امين الدولة فيهِ (من الطويل):

لِيَبْكِ ابنَ منصورٍ عُفاةُ نوالِهِ اذا عصفَت بالريحِ نَكباءُ حَرْجَفُ
ويذكُرهم مَنْ ردَّهم بعبُوسهِ فتًى كان يلقاهم ببِشْرٍ ويُسْعِفُ
ولمّا سَما فوق السماء بهمَّةٍ (١ يغضُّ لها طَرْفُ الحسودِ ويُطْرِفُ
رمَتْهُ الليالي بل رمَتْنا برُزْئهِ كبدرِ الدُّجى في ليلةِ التِّمّ يُخسَفُ
عليكَ سلامٌ لا تزالُ قلوبنا على حزَنٍ ما هبَّتِ النِّيبُ (٢ توقفُ
ولا برِحتْ عينُ السَّماء بوَبْلها على جدَثٍ واراكَ تَهمي وتَذرِفُ

ولابن التلميذ اقوال حسنة «في الفكاهات واللطائف» منها وصفهُ لزجاجتَيهِ (من مجزوء الكامل):

بزجاجتَين قطعْتُ عمري وعليهما عوَّلتُ دهري

---

١) ويروى: رقا وسما فوق السماء بهمَّةٍ
٢) ويروى: النبتُ

بزُجاجةٍ مُلِئَت بِحِبرٍ وزُجاجةٍ مُلِئَتْ بخمرِ
فبذا أُثبّتُ حِكْمَتي وبذا أُزيل هُمومَ صدري

ومن قولهُ في شرب الخمرة (من الرجز) :

كأسٌ يُطفّي لَهَبَ الأُوامِ ثانٍ يُعين هاضمَ الطعامِ
وللسرورِ ثالثُ المُدامِ والعقلَ يُنفيهِ مَزيدُ جامِ

ومن لطائفهِ ما قالهُ ليُكتَب على حصير (من الكامل) :

أَفْرَشْتُ خدّي للضيوفِ ولم يزَلْ خُلقي التواضُعَ للّبيبِ الأَكْيَسِ
فتواضُعي أَعْلى مكاني بينهم طورًا فصرتُ أُحلُّ صدر المَجْلِسِ

وقال في مَسْنَد الرأس (من الخفيف) :

رُبَّ وَصْلٍ شَهِدْتُهُ فتمتَّعْـ ـتُ عِناقاً بالعاشقَيْنِ جَميعا
وَجدَاني للودِّ اهلًا وللسـرِّ مكاناً وللصديق مُطيعا

ولهُ في مِجْمَرة البَخُور (من المتقارب) :

اذا الهَجرُ أَضْرَمَ نارَ الهوى فقلبيَ يُضْرِمُ للهجر نارا
أبوحُ بأسراريَ المُضمَرا تِ تبدو سِرارًا وتبدو جَهارا
اذا ما طوى خبَري صاحبٌ أَبى طيبُ عَرْفيَ الّا انتشارا

وقال فيها بمعناه (من الخفيف) :

كلُّ نارٍ للشَّوقِ تُضرَمُ بالهَجْـرِ وناري تَشُبُّ عند الوصالِ
فاذا الصَّدُّ راعَني سكَنَ الوَجْـدُ ولم يَخطُرِ الغَرامُ ببالي

ومثلهُ في المجمرة ايضاً (من مجزوء الكامل):

يشكو المُحِبُّون الجوى عند التفرُّق والزِّيالِ
وأشَدُّ ما أُصلى بِنا رِ الشوقِ اوقاتَ الوِصالِ

وقال ايضاً يصفها (من المنسرح):

رُبَّ حِمًى لا تُرَامُ عِزَّتُهُ أَبحتُهُ النَّفْسَ غيرَ محجوبِ
يُبدي عِياني لِمَنْ تأمَّلني نارَ مُحبٍّ ونَشْرَ محبوبِ

ومن لطائفهِ يصف مَغسل الشَّرْب (من الطويل):

اذا ما خطبتَ الودَّ بين مَعاشرٍ فكُنْ لهم مثلي تُعَدُّ اخا صِدقِ
اذا استأثروا من كلّ كأسٍ بصَفْوِها رضيتُ بما أَبقَوْهُ من مَشْرَبٍ رَنْقِ

وممَّا اخبرهُ ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٧٤) ان ابن التلميذ عالج في مرضهِ الرئيس ابا القاسم عليّ بن افلح الكاتب. فلمَّا نَقِهَ من مرضهِ وكان ابن التلميذ فرض عليهِ الحِمية فكتب لهُ ابو القاسم يطلب منهُ ان يأذن لهُ باكل الخبز:

أنا جَوْعانُ فأَنقذْ نِيَ من هذي المَجاعَهْ
فَرَجي في كَسْرةِ الخبـز ولو كانت قُطاعَهْ (١
لا تَقُلْ لي: ساعةً تَصـبِرُ، ما لي صَبْرُ ساعَهْ
فَخَواي اليوم ما يَقْـبَلُ في الخُبز شَفاعَهْ

١) قال القُطاعة هو الخَشِنُ من الدقيق يُقطع من النُّخالة ويُخبز فيُسمى خُبز قطاعه

فاجابهُ ابن التلميذ (من الرمل) :

هكذا اضيافُ مِثلي يتشكَّوْنَ المَجاعَهْ
غيرَ أَني ليس عندي لِمُضِرٍّ من شَفاعَهْ
فتعلَّلْ بسَويقٍ فهو خيرٌ من قُطاعَهْ
بحياتي قُلْ : كما تَرْ سُمُهُ سَمْعاً وطاعَهْ

وممَّا رواهُ ابن ظافر الازديّ في كتابهِ بدائع البدائه (ص ٥٤) قال : اخبرني القاضي السعيد ابو قاسم هبة الله بن سناء الملك رحمهُ الله قال : اخبرني الجليل الوافد من العراق على الدولة المصريَّة قال : اجتمعتُ في بعض الأيَّام بامين الدولة ابي الحسن هبة الله بن صاعد بن التلميذ فاخذتُ في ذمّ الدهر وإخنائهِ على اهل الفضل واذا بكلاب صَيْد التي برسم الخليفة قد أُبرزت في جِلال الوشي والديباج فحرَّك ذلك ما كنا نتجاذب أهدابَهُ في ذمّ الدهر فقلتُ (من الرجز) :

مَن كان يُلبِسُ كلبَهُ وشيًا ويقنَعُ لي بجِلْدي (١

فاستجزْتُهُ فقال واجاد :

الكلبُ خيرٌ عندهُ منّي (٢ وخيرٌ منهُ عندي

ولابن التلميذ « هجو » قليل فمن ذلك ما هجا بهِ الطبيب اوحدَ الزمان ابا البركات اليهودي الذي أَسلم وكان تعيَّن معهُ في خدمة الخليفة المستضيء بالله . قال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٦٠) :

« ان اوحد الزمان كان قد كتب رقعةً يذكر فيها عن ابن التلميذ اشياءَ يبعدُ جدًّا ان

١) ويُروى : من كان يكسو الكلبَ وشيًا ثم يقنع . . .
٢) ويروى : فالكلبُ مني عندهُ خيرٌ

تصدرَ عن مثلهِ ووهب لبعض الخدم شيئًا واستسرَّهُ ان يرميها في بعض طُرُق الخليفة من حيث لا يعلم بذلك احد (وهذا مما يدلُّ على شرٍّ عظيم) وانَّ الخليفة لمَّا وجد تلك الرقعة صَعُب عليهِ جدًّا في اوَّل امرهِ وهمَّ ان يوقع بامين الدولة. ثمَّ انهُ بعد ذلك رجع الى رأيهِ وأُشير عليهِ ان يبحث ويستأصل عن ذلك وان يستقرّ من الخدم من يُتهمهُ بهذا المعنى. ولمَّا فعل ذلك انكشف لهُ انَّ اوحد الزمان كتبها للوقيعة بابن التلميذ فحَنِقَ عليهِ حنقًا عظيمًا ووهبَ دمَهُ وجميع مالهِ وكتبهِ لامين الدولة ابن التلميذ. ثمَّ انَّ امين الدولة كان عندهُ من كرم الطباع وكثرة الخيريَّة انهُ لم يتعرَّض لهُ بشيء وبُعّدَ اوحدُ الزمان بذلك عن الخليفة وانحطَّت منزلتهُ. ومن مطبوع ما لامين الدولة فيهِ قولهُ (من البسيط):

لنا صديقٌ يهوديٌّ حماقتُهُ ... اذا تكلَّمَ تبدو فيهِ من فيهِ

يَتيهُ والكلبُ اعلى منهُ منزلةً ... كأنَّهُ بعدُ لم يَخرُج من التّيهِ

وقال ابن التلميذ في والدهِ وكان في سائر احوالهِ بعيدًا عمَّا كان عليهِ والدهُ (من المنسرح):

اشكو الى الله صاحباً شَكِساً ... تُسعِفُهُ النفسُ وهو يَعسِفُها

فنحنُ كالشمسِ والهلالِ معاً ... تُكسِبُه النورَ وهو يَكسِفُها

وفيهِ قال يؤنبهُ (من الكامل):

والوقتُ أَنفسُ ما عُنيتَ بحفظهِ ... واراهُ أَسهلَ ما عليك يَضيع

وقال يهجو صديقاً اسمهُ سعيد خانَهُ (من السريع):

حُبّي سعيدًا جوهرٌ ثابتٌ ... وحُبُّهُ لي عَرَضٌ زائلُ

بهِ جهاتي الستُّ مشغوفةٌ ... وهو الى غيري بها مائلُ

وروى لهُ محمَّد بن خُضر الحلبيّ يهجو الوزير الدركزيني (من مجزوء الكامل):

قالوا: فلانٌ قد وَزَرْ ... فقلتُ: كلّا لا وَزَرْ

واللهِ لو حُكِّمْتُ فيهِ م جعلتهُ يرعى البقَرْ

وقال فيهِ (من مجزوء الكامل):

قالَ الأنامُ وقد رأو ه مع الحداثةِ قد تصدَّرْ:

مَنْ ذا المجاوزُ قدرَهُ قلتُ: المُقدَّمُ للمؤخَّرْ

ومثلهُ في رجلٍ قليل الوفاء (من مجزوء الكامل):

قد قلتُ للشيخ الجليـ ـلِ الأريحيّ ابي المُظفَّرْ:

ذكِّرْ فُلانَ الدين بي قال: المؤنَّثُ لا يُذكَّرْ

وقال يهجو آخر المسمّى حيدرًا (من الكامل):

مذ صار حيدرُ بَيْدَقَ الصَّدْرِ ومُشيرَهُ في النَّهي والأَمْرِ

والمستنابُ على نيابتهِ ايقَنْتُ انَّ العَجْزَ في الصَّدْرِ

وقال يهجو انسانًا بالعين (من المنسرح):

مدوَّرُ الكَعْبِ فاتَّخِذْهُ لِتَلِّ غَرْسٍ وثَلِّ عَرْشِ

لو رمقَتْ عينهُ الثرَيَّا أَخْرَجَها في بناتِ نَعْشِ

ولهُ ايضاً في شقيّ يخاف الهجو (من السريع):

يا خائف الهَجْو على نفسهِ كُنْ في أَمانِ الله من مَسّهِ

انت بهذا العَرْضِ بين الورى مثل (القذى) يمنعُ من نفسهِ

ومن اقوال امين الدولة ❊في الشوق❊ ما رواهُ الصفدي في شرح لاميّة العجم (١: ١٤٧) (من المنسرح):

عاتبتُ اذ لم يَزُرْ خيالك والنَّومُ بشَوْقي اليهِ مسلوبُ
فزارني مُنْعِماً وعاتبني كما يقالُ المنامُ مقلوبُ

وقال بمعناه (من البسيط):

يا دارُ لا تُنكري مني التفاتَ فتًى فِراقُ احبابهِ أَجرى مَدامعَهُ
عهدتُ فيكِ قُمَيرًا كان يؤنسُني حيناً فعَيْناي تستقري مطالعَهُ

ولهُ يتشوَّق الى اصحابهِ في بغداد (من الطويل):

على ساكني بغدادَ مني تحيَّةٌ تُحمِّلُها ريحُ الشمال اليهمِ
تخبِّرُهم انّيَ صَحِبتُ معاشرًا سواهم فأبكاني الزمانُ عليهمِ

ومثلهُ (من الطويل):

خليلٌ نأى عني فبُدِّلتُ بعدَهُ مُقيمَ الجوى من صفوِ عيشٍ وطيبهِ
اغار عليهِ صَرْفُ دهرٍ فغالَهُ وعمَّا قليلٍ سوفَ يُلْحِقُني بهِ

ولهُ في الشوق ايضاً (من المنسرح):

لا تَعجبوا من حَنينِ قلبي إليهمُ واْعذروا غرامي
فالقوسُ مع كونها جمادًا تَئنُّ من فُرْقةِ السِّهامِ

وكذلك قال يتشوَّق (من السريع):

كيفَ أُلِفُّ العيشَ في بَلْدةٍ سُكَّانُ قلبي غيرُ سُكَّانها
لو انَّها الجنّةُ قد أُزْلِفَتْ لم أَرضَها إلَّا بِرُضْوانها

وكان جمال الدين ابو القاسم بن افلح كتب يُعرب عن شوقه لابن التلميذ :

انى وحقك منذ ارتحلت نهاري حنين وليلي أنينُ
وما كنتُ اعرفُ قبلُ امرأً بجسمٍ يقيمُ وقلبٍ يبينُ
يقولُ الخليُّ اذا ما رأى ولوعي بذكراك لا يستكينُ :
تسلَّ . فقلتُ : دهاك الفراقُ أتدري جوى البَيْنِ اين يكونُ
وكيفَ السبيلُ الى سلوتي وحزني وفيٌّ وصبري خؤونُ

فكتب امين الدولة في جوابهِ (من المتقارب) :

واني وحبِّك مُذ بِنْتُ عنك م قلبي حزينٌ ودمعي هتونُ
وأخافَ ظنّيَ صبرٌ معينٌ وشاهدُ شكوايَ دمعٌ معينُ
فللّه ايَّامنا الخاليا تِ لو ردَّ سالفَ دهرٍ حنينُ
واني لأرعى عهودَ الصفاء ويكلأُها لك ودٌّ تصونُ
وأحفظُ ودَّك عن قادحٍ وودُّ الاكارمِ علقٌ ثمينُ
ولِمْ لا يكونُ ونحن اليدا نِ انتَ بفضلك منها اليمينُ
اذا قلتُ : أسلوك قال الغرا مُ : هيهاتِ ذلك ما لا يكونُ
وهل ليَ في سلوةٍ مطمعٌ وصبري خؤون وودّي امينُ

ونظم ايضاً ابن التلميذ «في الغزل» الليّن بحسن الذوق كقولهِ (من المتقارب) :

لِسيفِ جفونك فضلٌ على مَواضي السيوفِ التي في الجفونِ
فتلك مع القتل لا تستطيـ ـعُ رَجْعَ النفوسِ بدفع المَنُونِ

وعيناكِ يقتلني شزْرُها وأحيا بإيماضها في سكونِ

وقوله بمعناهُ (من الكامل):

تمَّتْ محاسِنُهُ سوى كلفٍ حُلوِ المواقع زانَهُ بِشْرُ
وَسَموا بهِ لألاءَ غُرَّتهِ عَمْدًا لِيُعْلَمَ انَّهُ بَدْرُ

ولهُ في وصف الخال (من البسيط):

لا تحسبَنَّ سوادَ الخال عن خلَلٍ من الطبيعةِ او إحداثُهُ غَلَطُ
وانَّما قلمُ التصوير حين جرَى بنُونِ حاجبِهِ في خدّهِ نقطا

ومن غزَلِهِ (من الكامل):

يا مَنْ لبِسَتْ عليهِ أثوابَ الضَّنا صُفْرًا مُشَهَّرَةً بحُمْرِ الأَدْمُعِ
أَدْرِكْ بقيَّةَ مُهجَةٍ لو لم تَذُبْ شوْقًا إليك نَفيْتُها من أَضْلُعي

ومنهُ (من الخفيف):

انت شُغْلي في كلّ حالٍ فنومي بخيالٍ ويَقْظَتي بأُذّكارِ
طالَ ليلي بطول هَجْرِكَ لا دا م وشوقي الى الليالي القِصارِ

وقال ايضاً (من الخفيف):

لا تظُنَّنْ تخلُّفي لمَلالٍ انتَ من خوف سَلْوَتي في أمانِ
رُبَّ هجرٍ يكونُ أدعى الى الوَصْـ ـلِ ووصلٍ أدعى الى الهِجرانِ

وهذه ﴿ حكم ابن التلميذ ﴾ وكلّها لطيفة مصيبة. قال يصف اواخر حياة الشيخ (من المتقارب):

اذا وَجدَ الشيخُ في نفسهِ نشاطاً فذلك موتٌ خفي
ألستَ ترى انَّ ضوءَ السِراجِ لهُ لَهَبٌ قبلَ ان ينطفي

وقال في العلم واسبابهِ (من المتقارب) :

سُق النّفسَ بالعِلْم نحو الكمالِ تُوافِ السعادةَ من بابها
ولا تَرْجُ ما لم تُسبِّبْ لهُ فانَّ الامورَ بأَسبابها

وقال في انحجاب الحقيقة عن النفس (من البسيط) :

لولا حِجَابٌ امامَ النفس يَمنعُها عن الحقيقةِ فيما كان في الأَزَلِ
لَأَدركَتْ كلَّ شيءٍ عزَّ مطلبُهُ حتى الحقيقةَ في المعلولِ والعِلَلِ

وقال في تأثير العلم في العاقل وفي الجاهل (من الكامل) :

العِلْمُ للرَّجل اللَبيبِ زيادةٌ ونقيصةٌ للأَحمق الطيَّاشِ
مثلُ النهار يزيد ابصارَ الورى نورًا ويُغْشِي أعينَ الخُفَّاشِ

وما اظرف قولهُ في تواضع الشريف (من الطويل) :

اذا كنتَ محمودًا فانَّك مُرْمِدٌ عيونَ الورى فاَكْحلْهُمُ بالتواضعِ

ومن قولهِ في حذر العدوّ الصغير (من البسيط) :

لا تَحقِرنَّ عدوًّا لانَ جانبُهُ ولو يكونُ قليلَ البَطْشِ والجَلَدِ
فللذُّبابةِ في الجُرْحِ المُمَدّ يدٌ تنالُ ما قَصُرَت عنهُ يدُ الأَسدِ

وقال يصف الكريم واللئيم (من المنسرح) :

نفسُ الكريمِ الجَوادِ باقيةٌ فيهِ وان مسَّ جلدَهُ العَجَفُ

والحُرُّ حرٌّ وان ألمَّ بهِ الضرُّ ففيهِ العَفافُ والأَنفُ
والنَّذل لا يهتدي لمكرُمةٍ لأَنَّ ذاك المزاجُ منحرفُ
فالقَطرُ سمٌّ ان احتواهُ فمُ الصِلِّ ودُرٌّ ان ضمّهُ الصَدَفُ

ولهُ في الشباب والشيب (من المنسرح):

قالوا شبابُ الفتى خؤونٌ والشيبُ وافٍ فلَيْسَ يَرْحَلْ
فقلتُ: ابعدتمُ قياساً ذاك حبيبٌ وذا مُوكَّلْ

ومن قولهِ في من يرى عيوب غيرهِ دون عيب نفسهِ (من الكامل):

وأرى عيوبَ العالمينَ ولا ارى عيباً لنفسي وهو منّي اقربُ
كالطَّرْفِ يَستَجْلي الوجوهَ ووجهُهُ منهُ قريبٌ وهو عنهُ مُعْزَبُ

وقال في آخر عمرهِ (من الكامل):

كانت بُلَهْنِيَةُ الشَبيبَة سَكْرَةً فصحَوتُ واستأنفتُ سيرةَ مُجمِلِ
وقعدتُ ارتقبُ الفَناءَ كراكبٍ عرفَ المَحلَّ فبات دون المنزلِ

وقال في تحامل الدهر على الضعفاء (من الوافر):

أَجدِّكَ انَّ من شِيَمِ الليالي م العنيفةِ ان تجورَ على اللَّهيفِ
كمثلِ الخَلْطِ أغلبَ ما تراهُ يصبُّ اذاهُ في العضو الضَعيفِ

وقال يصرف النفس عن الملاذّ (من المجتث):

قد كنتُ اعتدُّ حيناً لُقياكَ أَنْفَسَ رُبْحِ
فقد بدَتْ عن سُلوٍّ سماءُ عقلي بنُصْحِ
مالي أَهيمُ بحُسْنٍ يكونُ عِلّةَ قُبحي

وقال في العزم والجدّ (من السريع) :

واظِبْ على الجدّ ولا تَنْخَدِعْ بالهزلِ ان ساعدكَ الجَدُّ
ولا تَقُلْ انَّ لهُ موضعاً فالهزلُ في موضعهِ جَدُّ

ولابن التلميذ بعض « الالغاز » كخالهِ ابي الفرج منهــا قولهُ في سحاب (من الرجز) :

وهاجمٍ ليس لهُ من عُذوى مُستبدلٍ بكلّ مَثْوًى مثوى
بكاؤهُ وضحكُهُ في معنًى اذا بكى أَضحكَ اهلَ الدنيا

وألغز في الميزان فاجاد (من الرجز) :

ما واحدٌ مختلفُ الأَهواء يَعْدِلُ في الارضِ وفي السَّماء
يحكمُ بالقِسْطِ بلا رِياء أَعمى يُري الرشادَ كلَّ رائي
اخرسُ لا من عِلّةٍ وداء يُغْني عن التصريح بالايماء
يجيبُ ان ناداهُ ذو امتراء بالرَّفعِ والخَفض عن النداء
يُفصحُ ان عُلّقَ في الهواء

ولهُ لغزٌ في الدّرع (من الطويل) :

وبَيْضاءَ لا للبيضِ والسُّمْرِ قَدُّها تَظاهرَ في تقويمهـا الحَرُّ والبَرْدُ
تجلّتْ لنـا حبّاً ولم تَجْرِ في رحاً ولكنْ تولّاهُ لهـا الرقُّ والبُردُ
وقَيْتُ بها نفسي فكانتَ كأنّها هي الشَمسُ محجوباً بها الكوكبُ الفردُ

وألغز في الابرة كأبي الفرج فقال (من الطويل) :

وكاسيةٍ رُزْقاً سواها يحوزهُ وليس لهـا حمدٌ عليهِ ولا أَجرُ

مفرِّقةٌ للشَّملِ والجَمعُ دأبُها وخادمةٌ للناسِ تخدمها عَشرُ (١
اذا خطرَتْ جرَّت فُضول ذيولها سجيَّةُ ذي كِبرٍ وليس بها كِبْرُ
ترى الناس منها يلبسون الذي نَضَتْ تعمُّهمُ جودًا وليس لها وَفْرُ
لها البيتُ بعد العزّ غيرُ مدافعٍ الى بأسهِ (٢ تُعزى المهنَّدةُ البُتْرُ
أَضرَّ بها مثلي نُحولٌ بجسمها وإن لم يَرْعها مثلَ ما راعني هَجْرُ (٣

ولابن التلميذ مقاطيع غير هذه فاكتفينا بما سبق ذكرهُ . ولعلَّهُ وقع ايضاً بعض اختلاط بين ما رُوي لهُ وما روي لابي الفرج خالهِ فانَّ بعض ما ذكرناهُ للثاني يروى في كتب اخرى للاوَّل والعكس بالعكس . وما لا ريب فيهِ انَّ كليهما امتاز بالنثر والنظم وانَّما اتَّسع الرواةُ بذكر هبة الله وكان اقرب اليهم زمانًا واوسع شهرةً وقد مدحهُ كثيرون من الشعراء ورثوهُ بعد موتهِ . فمن ذلك داليَّةٌ للسيّد النقيب الكامل ابن الشريف الجليل رواها ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٦٥) اوَّلها :

امينَ الدولة أسلَمْ للايادي على رغم المناوي والمعادي

ثمَّ روى قصيدة للشريف ابي يعلي محمَّد بن الهباريَّة الشهير يقول في مدحهِ :

شمسُ مجد لا تراها ابدًا عن سموّات العُلى مُنْكسفَهْ
جلَّ ان يُدرَك وصفًا مجدُهُ انهُ اكبرُ من كلّ صفَهْ
غدتِ الدنيا ومن فيها معًا لعلاهُ بالعلى معترفه

وقال اثير الدين ابو جعفر عبدالله يرثيه :

فُقِدَ الطبيبُ فليس يوجد صحَّة م الموجود منَّا بعد ذا المفقودِ

ورُوي غير ذلك لابن اسماعيل الطغرائي ولابن جكينا وللبديع الاصطرلابيّ ولابي القاسم هبة الله بن المفضل ما يُعرب عن سموّ منزلة ابن التلميذ واعتباره لدى اعيان زمانهِ وادبائهم

١) اي الاصابع العشر
٢) ويروى : الى بابهِ
٣) ويروى : بحرُ

٣٠ محفوظ النّيلي

﴿اسمهُ ونسبهُ ودينهُ وزمانهُ﴾ هو الحكيم ابو العلاء محفوظ ابن المسيحيّ بن عيسى النصرانيّ النيليّ الطبيب والاديب الشاعر . كان من اهل العراق ونسبتهُ الى النيل وهي بلـدة على الفرات في سواد الكوفة بين الكوفة وبغـداد . وقد عُرف ايضاً بالواسطيّ لانهُ كان نزيل مدينة واسط يسكنها فنُسب اليها . امَّا زمانهُ فانهُ كان في اواسط القرن السادس للهجرة والثاني عشر للميلاد

﴿علمهُ وادبهُ﴾ قال فيهِ جمال الدين القفطيّ في تاريخ الحكماء (ص ٣٢٧ــ ٣٢٨) : « كان محفوظ طبيباً فاضلًا نبيلًا مذكورًا في وقتهِ عالمًا بصناعة الطبّ مرتزقًا بهــا جميل المشاركة محمود المعالجة . ولهُ مع ذلك ادبٌ طريٌ ، وخاطر في النظم سريّ ، وكان موجودًا بالعراق سنة ٥٥٩ (١١٦٤م) »

وقد عرفهُ عمــاد الدين الاصفهانيّ وذكرهُ في خريــدة القصر وجريدة العصر (Ms de Paris 1447 f. 165r) قال : «الحكيم ابو العــلاء محفوظ سكن واسط وعُرف بها واكتسب بالطبّ . وكان فاضلًا عالمًا مَرْضيّ الصنعة في مداواة المرضى مستقيم الرأي في تسقيم السقيم . لم يزل يتردَّد اليّ مدَّةَ اقامتي بواسط أَستطبُّهُ ، وأَجد بمنَّة اللهِ بطبّهِ من الصحَّة ما أَستحبّهُ ، وكان لَهِجاً بالإلغــاز ، ولِما يسمعهُ من ذلك شديد الاهتزاز ، واشعارهُ فيهِ مستقيمة الصدر وسليمة الأَعجاز، توفي في اوائل سنة ستين وخمسمائة (١١٦٥م) وكان قبل ذلك بأشهُر قريبةٍ يجتمع بنا ونتذاكر ما قيل في اللغز »

وممَّا ذكرهُ ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطبَّاء (ص ٢١٧ــ٢١٨) ان عليّ بن هبة الله الاثردي شرَح كتاب دعوة الاطباء لابن بطلان وأَلَّفهُ لابي العلاء محفوظ

﴿اشعارهُ﴾ لم نقف لمحفوظ على شعر إِلَّا ما رواهُ عنهُ عماد الدين الاصفهاني في الالغاز . قال : ممَّا أَنشد فيهِ لنفسهِ بواسط في عاشر شوَّال سنة تسع وخمسين (وخمسمائة) لغزٌ في العقل (من المنسرح) :

مَا حاضِرٌ ما يُرَى لهُ شخصٌ فإنَّهُ في اختفـائـهِ لِصٌّ

يُضيءُ في البيتِ كالسراج وقد يَشوبُ وقتاً ضياءَه غَمْصُ

يَبين نُقْصانُهُ وليس لهُ رُجحانُ كميَّـةٍ ولا نَقْصُ

لكنَّهُ عادلٌ يميلُ وما رأيتُ ميلاً بالعدلِ يختصُّ

يَهْزِمُ جيشَ الخُطوبِ مُقتدرًا وقد يُرى أنَّهُ عاجزٌ نِكْصُ

أعوانُهُ عدَّةٌ ثمانيةٌ (١ بهم يَنُمُّ الضَّلالُ والفَحْصُ

فهو كنُوحٍ في الفُلْكِ يستترُ وهم كأصحابهِ اذا أُحْصوا (٢

فقد كشفتُ الغطاءَ مجتهدًا حتَّى بدا من ظهورهِ نَفْصُ (٣

وألغز في النار وارتفاع لهيبها عن الارض (من السريع):

ما صورةٌ كوَّنها ربُّها من عالَمِ الجَنَّةِ وَالْإِنْسِ

فأصبحَتْ للإِنْس معشوقةً تُهْدِي اليهم لَـذَّةَ النَّفسِ

فما لها من بَعْدهـا رَجْعَةٌ الى مَقَرِّ الوَصْلِ والأُنْسِ

فمـا هيَ يا من غـدا عالمًا يَحُلُّ مـا يُلْغَزُ في الطِّرْسِ

قال العباد وانشدني محفوظ في الإلغاز لنفسهِ بالرُّمانـة بمعنى الثمرة والقَبَّان (من الرجز):

١) يريد بالثمانية القوى التي يستعين بها العقل وهي الحواسّ الخمس ثمَّ الخيال والحسّ وقوَّة الارادة

٢) يقول انَّ عدد هؤلاء الاعوان ثمانية كعدد الاشخاص الذين كانوا في سفينة نوح فنجوا من الطوفان

٣) النَّفْص بالفاء الزيادة والمبالغة

يا عالماً يستفهمُ عن كلّ ما يُستَبهَمُ
ما حاملٌ عذراء لم تَزْنِ ولا تُتَّهَمُ
أولادُها في جوفِها تحت الضُّلوعِ جُثَّمُ
كلٌّ لهُ من تِربها (١ عليهِ ثوبٌ يُقسَمُ
شِفاهُها كثيرةٌ فأعلمُ وأخرَمُ
لكن لها فردُ فمٍ ورأسُها هوَ الفمُ
من الجِنان أُخرِجتْ وللجحيمِ تُسلَمُ
وما اتت جريمةً ومثلُها لا يُجرِمُ
بل فضلُها عند الأنا مِ ظاهرٌ يُغتَنَمُ
امثالُها بينهمُ لها صِفاتٌ تُعلَمُ
فالبعضُ منها حاكمٌ يَعدِلُ فيما يَحكُمُ (٢
والبعضُ منها في الصدو رِ جالسٌ يَحتشمُ (٣
كلٌّ يرى حقوقَهُ عليهِ فرضاً يُلزِمُ
ومن شهير امرِها اذ مثلُهُ لا يُكتَمُ
انَّ بها يشقى السَّقيمُ والنديمُ ينعمُ (٤

---

١) كذا في نسخة . ويروى : في شربها . ولعلّ الصواب من ثِربها اي من لحمها وشحمها
٢) الرمّانة هنا القبّانة التي تتخذ للوزن
٣) يشبَّه ثديُ النساء بالرمّانه
٤) ويروى : يندم

وقد كشفتُ سِرَّهـا وعند هـذا أَختِمُ

قال العماد . وانشدني ايضاً لنفسهِ في واسط رابع ذي القعدة سنة ٥٥٩ ملغزًا في آلة الطرب المعروفة بالناي (من الوافر) :

ومملوكٍ رشيقِ القَدّ أَلْمَى · به تَلْهو وتبتهجُ النفوسُ
صَموتٌ ناطِقٌ أَرِقٌ نَؤُومٌ · عجيبٌ شَخْصُهُ شخصٌ نفيسُ
ويوحِشُ ذكرُهُ رَبْعَ التصابي (١ · ولولاهُ لَمَا أَنِسَ الجليسُ
لـهُ رأسٌ يُخالفُ منهُ جسماً · بلا رِجلٍ ففسّرْ ما تقيسُ
اذا ما بانَ عنهُ ظلَّ مَيْتاً · وإمَّا عاد عاودَهُ الحسيسُ
يئِنُّ أَنينَ صَبٍّ مُسْتهامٍ · مَشُوقٍ قد نأى عنهُ أَنيسُ
وليس بذي صبابات ليَهْوى · ولكنَّ الهوى (الهوا) فيهِ حبيسَ

ولهُ مُعَمّى في غلامٍ اسمهُ سعيد (من الوافر) :

وذي غُنْجٍ عَلِقْتُ هواهُ بَلْوَى · فبَلْبَلَني بطَرْفٍ بابليّ
لـهُ اسمٌ ضِدُّ حالي في هواهُ · ففتّشْهُ تَجِدْهُ بغيرِ عِيّ
اذا أَسقطتَ حرفاً منهُ يوماً · فذاك يومُ افراحٍ وزِيّ
وان أَسقطتَ ثانِيَهُ اتّباعاً · غدا مولًى لعبدٍ او وليّ
وان أَسقطتَ ثالثَهُ اختيارًا · يصيرُ اسماً لعبدٍ أَرمنيّ

١) يريد هنا النأي مصدر نأى وهو الهجران الذي يستوحش الاصدقاء ذكرهُ

وان اسقطت رابعهُ اضطرارًا أتى نوعٌ من المَشيِ الوَحِيِّ
فان تكُ ذا حِجًى وأخا أحاجٍ ففسِّرْ يا أخا القلب الذكيِّ

وألغز في المسمّى كمالًا (من السريع):

ذا مالكٌ رِقّي هوايَ لهُ مَن اسمُهُ في البيتِ منظومُ
تَهَجَّهُ واجعلْ لهُ اوّلًا آخِرَهُ فالاسمُ مفهومُ

قال العماد الاصفهاني: وكان لمحفوظ بن المسيحيّ عندي رسمٌ في كلّ سنة يصل اليهِ من الحنطة فكتب اليَّ يُلغز بها ويطلب الرسم (من الوافر):

عمادَ الدين دعوةَ مستفيدٍ لأنك كاشفٌ عن كل دَيْنِ (١
فما صفراءُ كالذهبِ المُصفّى ولونُ لُبابها لونُ اللُّجَيْنِ
محبَّبةٌ الى الارواحِ طُرًّا بها تَقوى النفوس بغير مَيْنِ
لها اسمٌ نِصفُهُ شعبٌ قديمٌ كما زعموا بإحدى الأُمَّتينِ (٢
ونصفٌ جاء في القرآن نصفاً لأول سورةٍ بقراءتينِ (٣
لها وقتٌ تُداسُ بكل رِجلٍ ووقتٌ فيهِ تُرْفَعُ باليدَيْنِ
أجِبْ عنها وَجُدْ بالرَّسم معها وقاكَ اللهُ آفةَ كلّ عينِ

واخبر العماد قال : كنتُ نظمتُ لغزًا في كوز الفقّاع وهو الشراب الذي يتّخذ من الشعير وانشدتهُ ابا العلاء محفوظاً فأثبتَهُ واتى بجوابهِ. وهذه هي الابيات التي لي:

١) ويروى : عن كلّ زينِ
٢) يشير الى الجنّ وهو يدعى ايضاً الحنّ بالحاء وذاك نصفُ اسم الحنطة. الأمّتان الاسلام والنصرانيّة واراد هنا الاسلام ٣) يشير الى سورة طه في القرآن وهي نصف لفظة حنطة

ما صورةٌ ما مثلُها صورَهْ كأنَّها في العمق مطمورَهْ
تُمْطَرُ الريَّ ومن ذا رأى مطمورةً للريّ ممطورَهْ
منكوحةٌ ما لم تضعْ حملَها مسدودةُ الأنفاسِ محسورَهْ
محرورةُ القلبِ ولكنّها مضروبةٌ بالبَرْدِ مقرورَهْ
كأنّما النارُ بأحشائها على اشتدادِ البَرْدِ مسجورَهْ
تظلُّ مُلقاةً على رأسها خمّارةٌ تُحسَبُ مخمورَهْ
مُعارةُ الهامةِ من غيرها قصيرةُ القامةِ مكورَهْ
كأنّها راسٌ بلا جُثّةٍ موصولةٌ إن شئتَ مبتورَهْ
كهامةٍ صلْعاءَ محلوقةٍ ما استعملَتْ موسًى ولا نورَهْ
زامرةٌ في فيها زمرُها وهي بغير الزَّمرِ مشهورَهْ
دوّارةٌ إن انتَ ارسلتَها مهتوكةُ الاستارِ مستورَهْ
من فضّها تبصقُ في وجهِهِ كأنّها بالفحش مأمورَهْ
تورثُ تعبيساً لمن باسَها وهي على ذلك مشكورَهْ
معسولةٌ ريقتُها مرّةٌ مُرسَلَةٌ بالهضم منصورَهْ
ان عُقلَت قرّت وإن أُنشطَتْ فرّت وثارت منك مذعورَهْ
كم عسلٍ ذاقت وكم سكّرٍ وأنفُمٍ ليست بمكفورَهْ
ملمومةٌ من صخرةٍ صلْدَةٍ وفاجرةُ الماء ومفجورَهْ
من الصفا جسمٌ ولكن ترى على صفاء الماء تامورَهْ
فيا حليفَ المأثرات التي اضحت لاهل الفضل مشهورَهْ
أنعمْ وعجّلْ حلَّ اشكالها فهي لدى فضلك مأسورَهْ

فاجاب محفوظ النيلي (من الرجز):

يا ذا الذي أعربَ إلْغازَهُ عن فِطْنَةٍ بالعلم مغموره
انّ التي أطنبتَ في وصفها حتّى اغتدت في الناس مشهورَه

صغيرةُ الجُثَّةِ دَحداحةٌ باردَةُ المَلْمَس محرورَهْ
تعذَّبتْ في النار حتَّى اذا ماتت غدَتْ في الثلج مقبورَهْ
محبوبةُ المَخْرَج لكنّها منكوحةٌ ليست بمستورَهْ
ان فضَّها الناكحُ مقهورةً فاضت بماء فَيْضَ مَخْمورَهْ
او بصقَتْ في وجه مُفْتضّها فإنها في ذاكَ معذورَهْ
لانَّها تسقيهِ خمرًا بها يحلّل الخُمورُ تخميرَهْ
ويصبحُ الشَّبْعانُ ذا شهوة كلبيَّةٍ بالجوع مذكورَهْ
صورتُها تحكي اذا قِسْتَها مُضمغَةَ بالصَّمْغِ مأسورهْ
فهذهِ من طينَةٍ صُوّرت وفي لهيب النار مسجورَهْ
وتلك من جوهرةٍ صَلْدَةٍ مُذابةٍ بالنار مصهورَهْ
فخُذ جوابي ملغزًا مثل ما ألغزتهُ في هذهِ الصورَهْ
وهي لمن يوثرُ كشفي لها فُقّاعةُ الفُقّاعِ محصوره

٣١ سعيد النيليّ

ولمحفوظ النيليّ مواطنٌ نصرانيّ وشاعر مثلهُ من بلدة النيل قرب واسط. ذكرهُ ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطبّاء قال (١ : ٢٥٣) : «هو ابو سَهْل سعيد بنَ عبد العزيز النيليّ المشهور بالفضل عالم بصناعة الطبّ جيّد المصنَّفات متفنّن في العلوم الادبيَّة بارع في النظم والنثر ومن شعرهِ (من الخفيف) :

يا مُفَدَّى العِذار والخدّ والقَدِّ بنفسي وما أراها كثيرا
ومُعيري من سُقم عينَيْهِ سُقماً دمتُ مُضنى بهِ ودمتَ مُعيرا
إسقِني الراحَ تَشفِ لوعةَ قلبٍ باتَ مُذ بِنْتُ للهموم سَميرا
هيَ في الكاسِ خمرةٌ فاذا ما أُفرِغَتْ في الحشا استحالت سرورا

(قال) وللنيلي من الكتب اختصار كتاب المسائل لحُنَين . تلخيص شرح جالينوس . كتاب الفصول مع نُكَت من شرح الرازيّ

هذا ولم نجد ذكرًا لسعيد النيليّ في غير ابن ابي اصيبعة

٣٢ ابن اصطفانوس الروميّ

كان حق هذا الشاعر ان يقدَّم مع شعراء القرن الخامس للهجرة إلّا انّنا خُدعنا بترجمتهِ المخطوطة خطًّا سقيماً فنقلناها على علّاتها عن كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب لكمال الدين الحلبيّ عن نسخة لندن (Car Mss. Brit. n° MCCXC) قال: «كان ابن اصطفانس فيلسوفاً شاعرًا وُلد بالروم ونشأ بأنطاكية وكان ذا هيبةٍ اديباً شاعرًا نحويًا فيلسوفاً نظّارًا. سافر الى العراق ولقيَ بهِ العلماء وأُتقن من العلوم والآداب ما علا بهِ صيتُهُ واشتهر ذكرهُ في الازمان». ثمّ ورد هناك اخبار أُخرى ممحوة لقدمها يؤخذ منها انَّ ابن اصطفانوس أُرسل سفيرًا الى خليفةٍ قرأنا اسمهُ «المستضي». وظنّنا انهُ الخليفة العبّاسي الذي تولّى الخلافة من السنة ٥٦٦ الى ٥٧٥هـ (١١٧٠ــ١١٨٠م) وقرأنا هناك اسم وزيرهِ «علي بن عبد الرحمان البازوري» فاستنتجنا انَّ ابن اصطفانوس الروميّ الشاعر عاش في اواسط القرن السادس للهجرة والثاني عشر للمسيح. فافادنا جناب عبدالله افندي مخلص من حيفا انَّ الوزير المذكور هو «الحسن بن عليّ بن عبد الرحمان اليازوري (بالياء)» الذي كان وزيرًا للخليفة الفاطمي المستنصر بالله في مصر الذي ملك من السنة ٤٢٧ الى ٤٨٧هـ (١٠٣٥ــ١٠٩٥م) وعليهِ يجب القول انهُ وقع غلط في اسم الخليفة العبّاسي المستضيء بالله. ومنهُ ينتج انَّ ابن اصطفانوس عاش في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح . فنشكر

لجناب المراسل افادتهُ فقد ازال بها ما وقع من الالتباس في النسخة التي اخذنا عنها . وفيها ورد اسم رجلٍ اجتمع بـهِ ابن اصطفانوس يُدعى «يوسف بن الكفرطابي الذي كان يدرّس في كفرطاب» لم نعرف من امرهِ شيئاً . هذا مـا رواهُ كمال الدين ولم نقف في غيرهِ على اخبار ابن اصطفانوس

٣٣ القس يعقوب المارداني

كان يعقوب المارداني احد قسوس اليعاقبة السريان ذكرهُ الشيخ المؤتمن ابو اسحاق ابن عسَّال في جدول كتبة النصارى الذي قدَّمهُ على كتابهِ اصول الدين (ص ٢٨ من نسخة مكتبتنا الشرقيَّة) روى اسمهُ بعد يحيى بن عديّ وعيسى بن زُرْعة ويحيى بن حريز (ويقال جرير) فقال: «القس الفاضل يعقوب المارداني صاحب دعوة القسوس»

امَّا دعوة القسوس هذه فعلى ما يظهر كتابٌ ادبي روى فيهِ المؤلف اخبارًا ادبيَّة تروى لقسوس النصرانيَّة . وقد جاء في طبقات الاطبَّاء لابن ابي اصيبعة (١ : ٢٤٣) انَّ ابن بطلان الذي سبق لنا ذكرهُ هو صاحب دعوة القسوس والمشهور انهُ صاحب دعوة الاطباء كما اثبتنا هناك . والقس يعقوب هذا كان من تَبَعة البدعة اليعقوبيَّة . امَّا نسبتهُ « الماردانيّ» فاراد بها «ماردين» مدينـــة الجزيرة الشهيرة وكان الصواب ان يُنسب اليها «المارديني» فرواها على صورة شاعت على ألسنة بعض العامَّة

وكنَّا أَيِسنا من اكتشاف شيء من كتاب دعوة القسوس حتى السنة ١٩٠٤ اذ اطَّلعنا في دار المرحوم الوجيه بشاره يارد على مخطوطات قديمة مخرومـــة كان من جملتها كرَّاس من قطع صغير طولهُ ١٨ سنتمترًا في عرض ٢١ س ذي ورق صفيق مصفرّ لقدمهِ ينقص اولـــهُ ويبلغ ١١٣ صفحة وفي الصفحة ٢٢ سطرًا كُتب بخطّ نسخي ناعم ومتقَن بحبرين اسود واحمر يرتقي الى القرن الثامن عشر . وهو مجموع شعر قـديم لشعراء مسلمين بينهم بعض النصارى . ففي الصفحة ١٠٣ منهُ فصلٌ عنوانهُ « ومما وُجد من القصائد والاشعار الخمريَّة» ذُكر فيهِ بعض الخمريَّات مترفّعاً عن الخمرة المادّيَّة الى ذكر الخمرة الالهيَّة في سرّ النصرانيَّة بينها قطعٌ اخذها من كتاب دعوة القسوس قال (ص ١٠٥) : هذه خمريَّة من كتاب دعوة القسوس (من الوافر) :

أَعَادَ بنعمة الربِّ المسيحِ عليَّ بذلك الخَمْرَ المليحِ
لقد غفَلَتْ خطوبُ الدهرِ عنَّا وقد ظمئَت الى الصَّهباء روحي
وقد حضرَتْ ومَن تَهْوى فبادِرْ وروِّ جوانحي بدمِ الذبيحِ
فلو كانت حراماً ما أُبيحَتْ لِمَنْ يَخْتارُ شُرْبَ دمِ المسيحِ
ولا داوَى بها ربُّ البَرَايا بَليَّةَ آدمَ المُلقَى الجريحِ
ولا أَوصى الرسولُ بها جهارًا وحلَّلَ شُربَها أَمْرُ السَّلِيحِ (١
فإن بادرتَ فُزْتَ بكل شُكرٍ وحصَّلتَ السرورَ مع المديحِ
وإن أَخَّرتَ دعوتَنا لمعنًى أَلِلعذر القبيحِ أَمِ المَليحِ ؟
وتطمعُ بالزيارةِ بعد وقتٍ لتَمْحوَ ما سطَرْتَ من القبيحِ
تَجِدْنا كالمُخَدَّرِ في سرورٍ وانت ببابنا مثلَ الطريحِ

(قال) ولهُ ايضاً في معناه (من الطويل):

أَيا مَن غدا ذُخري لكلّ مُلِمَّةٍ تُلِمُّ ولا زيدٌ سواهُ ولا عَمرو
هلُمَّ الى الراحِ التي كان صانَها لنادون كلِّ الخلق في دَنِّها العُمْرُ (٢
فبادِرْ فما اللَّذَّاتُ إلَّا غنيمةٌ فشَمِّرْ اليها قبل ان ينفَدَ العُمْرُ

وله ايضاً فيها وقد احسن وصف اسرارها (من الكامل):

شَمِّرْ ذيولَكَ في عُرى الزُّنَّارِ واعْجَلْ الى دَنٍّ طُلِي بالقارِ
فلقَدْ تحجَّرَ طينُهُ في رأسهِ من كثرة الأيَّامِ والأَعمارِ

١) اراد بالرسول القديس بولس. والسَّليح والسَّلِيح ومن السريانيَّة ܫܠܝܚܐ هو بمعناه
٢) العمر الكنيسة والدير وبذكره يتّضح انهُ اراد الخمر المقدَّسة والقربان

واكشِفْ تجدْ شمسَ الضُّحى محجوبةً في جُنحِ لَيلِ القارِ والفخَّار

قالوا : العُقارُ. ولو أضاء لعُقولهم مقدارُها ما سُمِّيَتْ بعُقارِ

نورٌ يفوقُ سناءَ كلّ طريفةٍ من ساطع الأَضواء والانوارِ

سرٌّ يُسِرُّ به الى تبَّاعِهِ نورُ العقولِ وكاشفُ الأَضرارِ

قد قلتُ لمَّا أبرزَتْ في كأسها : تعسَ الذي باع الضِيا بغُبارِ

مالوا الى الدينار قلتُ : عدِمتُكُمْ أدمُ المسيحِ يُباعُ بالدينارِ ؟

قد كان قبلَهُمُ يهوذا بائعاً دمَهُ بنَزْرِ النَّزْرِ للكُفَّارِ

وهو ايضاً القائل لله درُّهُ (من الكامل) :

نورٌ بكفِّكَ. أم شِهابُ النارِ جمرٌ تضرَّمَ ام نُضارٌ جاري

شمسُ الضُّحى في الكأس أم فَجْرٌ م تبسَّمَ صُبْحُهُ من تحت ليلِ القارِ

هذي التي مزَجَ المخلّصُ كأسَها في يوم عيدِ الفِصْحِ للأَطهارِ

هذي التي جلّتْ بها انوارُها عن سائر الاشجارِ والأَثمارِ

صفراءُ لكن حُمرَةٌ في خدّها من لَطْمِ أَخمَصِ أرْجُلِ العُصَّارِ

لمَّا رمَتْ عنها الكثيفَ تمكَّنَتْ وتلاعبَتْ بلطائف الأَفكارِ

وكذا النفوسُ اذا رمَتْ شهواتِها قَويَت لِعلْم غوامضِ الاسرارِ

ومن محاسن شعره فيها ايضاً قولهُ (من الطويل) :

أَمِطْ عن سناها الخَتْمَ طال بها العمرُ فما صانها إلَّا لأَربابها العُمْرُ(١

١) سبق انّ العُمْر الكنيسة والدير

فقد جئتُهَا يا راهبَ الدير خاطباً ... لهـا راغباً فيهـا وان كَثُرَ المُهْرُ

فقال : أُريدُ المُهْرَ تِبْرًا فانّما ... لَتُرْجَعُ صِفْرَ الكفّ ان ظَهَرَ الصُّفْرُ

فقلْتُ : إِذَنْ قُمْ للعُقَارِ مبادرًا ... فكَيِّلْ لهم تِبْرًا وكَيِّلْ لنا خمرًا

فقال : يُباعُ الوَقْفُ لا الخمرُ خمرُنا ... فقد رذلتْ سَلْعاً يقوم بهِ التِبْرُ

فقلتُ لهُ : خبِّرْ حقيقةَ أَمرِها ... لقد بان لي من سرّ انوارها خُبْرُ

فقال : هي الراحُ المسيحيَّـةُ التي ... جَلا امرَها ربّي كما اشتَهَرَ الأَمْرُ

تناوَلهـا سِمْعـانُ ثمَّ تداولَتْ ... يمرُّ بها عصرٌ ويُدْرِكها عَصْرُ

الى أَن وجدنا في المذابح مِنْ سَنا ... تَجَوهُرِها سِرًّا فَبانَ لنا السرُّ

فكان لها خِدْرُ الدِّنان فأصبَحَتْ ... براحاتنا تُجْلَى وكاساتُنا الخِدْرُ(١)

اذا أُتْرِعَتْ في كأسها او تَشَعْشَعَتْ ... يُخالُ بها جَمْرٌ وليس بها جمرُ

مُشعشَعة يزهو على البدر نورُها ... كأنَّ سناهـا في جبينـك يا بَدْرُ

معطَّرةٌ أَعطافُها فكأَنها ... استُعير لها من طَيِّ أَعطافها النَّشْرُ

وقال ايضاً (من البسيط) :

هذه هي الراحُ لا شِبهٌ لجَوهرِها ... ولا يُماثِلُها باللُّطفِ مشروبُ

قد قال سيّدنا والكأسُ في يدهِ : ... هذا دمي لخلاص الخَلْقِ مسكوبُ

فترى ما بين هذه الخمريّات وخمريّة ابي الحفص الصوفي الشهير بابن الفارض من الشبه . ويعقوب المارداني معاصر لابن الفارض فلا يبعد انَّ احدهما اخذ عن الآخر او جاراهُ في اقوالهِ . وهذه بعض ابيات الفارض يمكن عرضُها على اقوال صاحب دعوة القسوس :

---

١) الخَدْر مصدر خَدَرَ بالمكان اذا لزمهُ . والخِدْر مقام الجارية المحصَّنة

شَربنا على ذكر الحبيب مدامةً سكِرنا بها من قبل ان يُخلَقَ الكرمُ
لها البدرُ كأس وهي شمسٌ يُديرها هِلالٌ وكم يبدو اذا مُزِجَت نجم
فإن ذُكِرَتْ في الحيّ أَصبحَ أَهلُهُ نُشاوى ولا عارٌ عليهم ولا إِثمُ
فلو نضَحوا منها ثرى قبرِ ميّتٍ لعادت اليهِ الروحُ وانتعَشَ الجسمُ
ولو قرَّبوا من حانها مُقعَدًا مَشى وتَنطِقُ من ذِكري مَذاقتها البُكمُ
يقولون لي: صِفها فانت بوَصفِها خبيرٌ، أَجَلْ عندي باوصافها علمُ
صَفاءٌ ولا ماءٌ ولُطفٌ ولا هوًا ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جسمُ
تقدَّمَ كلَّ الكائناتِ حديثُها قديمًا ولا شكلٌ هناك ولا رَسمُ
وقامَتْ بها الاشياءُ ثَمَّ لِحِكمَةٍ بها احتَجَبَتْ عن كلِّ مَنْ لا لهُ فَهمُ
وهامَتْ بها روحي بحيثُ تمازَجا م اتحادًا ولا جِرمٌ تخلَّلَهُ جِرمُ
ولا قبلَها قبلٌ ولا بَعدَ بَعدَها وقَبليَّةُ الأَبعادِ فهي لها حَتمُ
وقالوا: شَرِبتَ الإِثمَ. كلَّا وانما شربتُ التي في تَركِها عنديَ الإِثمُ
هنيئًا لاهل الدير كم سكروا بها وما شَربوا منها ولكنّهم هَمُّوا
على نفسهِ فَليَبكِ من ضاعَ عمرهُ وليس لهُ فيها نصيبٌ ولا سَهمُ

فلعمري انَّ الشبهَ ظاهر بين اقوال الفارضي وصاحب دعوة القسوس وعلى رأينا انهُ هو اخذ عن يعقوب الماردانيّ اقوالهُ فكساها ديباجًا فاخرًا يستطيع النصارى ان يحوّلوا معانيهُ الى سرٍّ طالما ذاقوا طعمهُ الالهي وحُرِمَهُ من لا يُدرك اعظم عطايا الله للعالم اي سرَّ محبتهِ في القربان الاقدس

٣٤ يحيي بن ماري

﴿ نسبهُ دينهُ زمانهُ ﴾ ورد ذكرهُ في تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي (ص ٣٦٠–٣٦١) وفي مختصر خريدة القصر في شعراء العصر لعلي المعروف برضائي زاده المتوفى سنة ١٠٣٩هـ–١٦٢٩م) (Ms de Berlin. 7412 pp. 64) وفي مختصر تاريخ الدول لابن العبريّ(ص ٤١٦)قالوا : هو ابو العباس يحيي بن سعيد بن ماري النصرانيّ المتطبّب المعروف بالمسيحيّ . والمرجَّح انهُ كان نسطوريّ النحلة .

واصلهُ من الطِّيب بلدة بين واسط وخوزستان من موضع يقال لهُ الدُّوَير وكان ابوهُ قد انتقل من الدوير الى البصرة واولد ولدهُ هذا بها . قال جمال الدين : كان ابن ماري عالماً بالطبّ وكان يطبُّ في مدينة البصرة في زماننا وكان عالماً ايضاً بالادب ادركنا مَن روى عنهُ وفيمن ادركناهُ ابو حامد محمَّد بن محمَّد بن حامد بن الّة الاصفهانيّ العماد رحمهُ الله . وتوفّي ابو العبّاس يحيي بن سعيد بالبصرة لعشر بقين من شهر رمضان سنة ٥٨٩هـ(١١٩٣م) .

﴿ ادبهُ وشعرهُ ﴾ جاء في مختصر خريدة العصر عن العماد الاصفهانيّ قال : «كان لابي العبّاس معرفة بالادب وقد عمل ستين مقالةً على منوال المقامات الحريريَّة ورأيتُها معهُ وما قصَّر فيها» . وقال جمال الدين القفطي : وكان للمسيحيّ هذا معرفة بالادب صادقة وربَّما امتدح بالشعر اجلَّاء الواردين على البصرة . وأنشأ وصنَّف المقامات الستّين صنَّفها واحسن فيها وكان فاضلًا في علوم الاوائل وعلم العربيَّة والشعر يرتزق بالطب» . وذكر الحاج خليفة مقاماته (H.Kh., VI, p. 65, n° 12721) قال : «المقامات المسيحيَّة لابي العباس يحيي بن سعيد بن ماري النصرانيّ البصري الطبيب المتوفّى في رمضان سنة ٥٨٩ نسج فيها على مثال مقامات الحريريّ . قال ياقوت : اجاد فيها . قال الصفدي : ما اجاد ولا قاربَ الإجادة . والمقامات الجَزَريَّة والمقامات التميميّة خيرٌ منها وما قاربَتا الحريريَّ»

(قلنا) اننا اطَّلعنا في مكتبة ڤينَّا عاصمة النمسة (FLUGEL : Die arab. Handschriften I, 358, Ms 384) على مجموعة مقامات في عدد سبع وعشرين مقامة نُسبت لابن ماري المذكور وانتسخنا قسماً منها اوّلها المقامة الفقهيّة ثمَّ الروميّة ثمَّ الشعريَّة وآخرها المَرْجيّة . ثمَّ اطَّلعنا في بغداد في كانون الاوَّل سنة ١٨٩٥ على نسخة أُخرى قديمة كاملة من المقامات المسيحيّة في خزانة كتب الحيدرخانة لم يسمح لنا قصر الزمان بنقلها وانَّما نقل منها حضرة الاب انستاس الكرملي مقدَّمتَها ومقامتها الاولى المعروفة بالرهاويَّة فنشرناها في المشرق(٣[١٩٠٠]: ٥٩١ـ٥٩٨) . وقد قابلنا بين نسختي ڤينَّا وبغداد فرأينا بينهما اختلافاً كبيرًا ليس في عدد المقامات فقط بل في إنشائهما . فالمقدَّمة في كلتيهما تختلف اختلافاً تامًّا وكذلك يختلف الراوي والمرويّ فانَّ في نسخة بغداد يدعى راوي المقامات يحيي بن سلَّام وفي نسخة ڤينَّا

اسمهُ ابو الخير بن الحارث يروي عن ابي الفضل . وقد ارتبنا في نسبة هذه النسخة الى ابن ماري لأنَّ في مقدَّمتهِ يذكر نبيَّ الاسلام ويصلّي عليهِ على خلاف عادة النصارى وعلى خلاف ما ورد في نسخة بغداد ودونك قطعةً من مقدَّمة نسخة ڤينَّا

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهمَّ على ما بلَّغتَنا من البلاغة ، وسوَّغتَ لنا من الصناعة والصياغة، وعلى ما أَلهمتَنا من التبيان البديع ، والبُنيان الرفيع ، وعلى ما ذلَّلتَ لنا من جوامح الشوارد ، ودلَّيتنا (كذا) عليهِ من لوائح الفوائد ، وما ارشفتنا بهِ من سوافح الموارد ، واشرفتنا عليهِ من سفح المقاصد ، ونشكرك على ما علَّمتنا من نوابغ الحِكَم ، ونعَّمتنا بهِ من سوابغ النِعَم ، ونصلّي على أَفصح من نطق بالضاد والذال ، ومن هو الى الخير هادٍ وعلى الحقّ دالّ ، سيّدنا محمَّد الذي اخمد الضلال ، بأحمدِ الخصال ، وعلى سائر صحبهِ والآل ، ما طلع هلالٌ ولمع آل — وبعدُ فانَّ المقامات الحريريَّة اشهر من أَن تُذكر ، واكبر من ان تُنكر ، وقد حازت قصب السبق في مضمر البلاغة البالغة ، وكلّت فيها البصائر والابصار فهي ما بين رائقة وزائغة ، لان الحريري ادهش كلّ ناسج على منوالهِ ، وحيَّر كل عامٍ في مسلك مقالهِ ، حيث اخترع واستوعب ، واقترح واستصوب ، وقد كلَّفني مَنْ لا أُطيق ردَّهُ ، ولا استطيع صدَّهُ ، ان اقفو اثرهُ ، واتلو خبَرهُ ، ليورق لي في روض الفراس عودٌ ، ويُشرق لي في افق الكمال سعودٌ ، لعمري انهُ تكليفُ ما لا يُطاق ، وتعجز النفس بالامر الشاقّ ، فتلطَّفتُ عليها باللطافة ، وارتديتُ فيها بلفافه ، وقنعتُ من البحر بالوشل ، ومن الغزيرة بالنزر الاقلّ ، وقد تطفَّل قبلي الموصليُّ والقوّاس ، وكلٌّ رمى ولم يصب واخطأ القياس ، ولسان الحال ينادي ، للرائح والغادي

كم عاشقٍ قد ماتَ حولَ خيامنا اسفًا ولم يَظفَرْ بكشفِ البُرْقعِ . . .

وكفى بهذا دليلًا على طريقة الكاتب ولا نبتُّ الحكم في صحَّة نسبة هذه المقامات لابن ماري . ويزيدنا ارتياباً فيها انَّ مدار كثير منها على مسائل اسلامية كالفقه والحديث واسانيد قرآنية . هذا ما ظهر لنا من مطالعة هذه المقامات في نسخة مكتبة ڤينَّا . ولم نجد فيها من البلاغة ما يُنسب الى مقامات ابن ماري ففيها يصحّ قول الصفديّ : لا اجاد ولا قارب الاجادة

امَّا نسخة بغداد فلعلَّها هي الصحيحة وقد جاء في مقدَّمتها اسم ابن ماري صريحًا على خلاف نسخة ڤينَّا التي قُدّم الاسم على الكتاب كأنَّهُ من غير قلم مؤلفها . فضلًا عن ان المقامات فيها سبعٌ وعشرون بدلًا من ستّين كما يروي الكتبة وكما تُرى في نسخة بغداد . ويا ليت احدًا من ادباء الحدباء يتولّى نشرها بالطبع فيستحقَّ شكر محبّي الآثار النصرانيّة

امَّا شعر يحيى بن ماري فقد روى منهُ العماد الاصفهاني وابن العبري هذين البيتين (من البسيط) :

نَفرَتْ هندُ من طلائعِ شيبي ... واعترَتْها سآمةٌ من وُجومي
هكذا عادةُ الشياطين يَنفُرْ ... نَ اذا ما بَدَتْ نجومُ الرُّجوم

وروى لهُ العماد قولهُ في مديح (من الكامل) :

واذا نطقتُ فـأنتَ لفظُ مقالتي ... واذا سكتُّ فانتَ سِرُّ خاطري

ومما يروى لهُ في صداقة الادباء الصالحين (من الكامل) :

عُـدنا وعـادَ الأُنسُ والأفراحُ ... واضاءَ في مِشْكاتنا المصبـاحُ
وجرت منـادَمةٌ يفوح أريجها ... كالروض نَمَّ بـعَرْفـهِ الأَرياحُ
وعلى العَفافِ قد انطوت أحوالُنا ... حبًّا بتقوى الله وهي رَباحُ
لا عيبَ فينا غير حُسْنِ فعالنـا ... جهرًا وهـل يهوى الفسادَ صلاحُ
تأبى المحبَّةُ بالفسادِ وما لهَـا ... عمَّن تجلَّى بالصَّـلاح بَراحُ
كم عاشقٍ قد ذلَّ بعد فسادهِ ... والعزُّ في اهل التُّقى وضَّاحُ

ومن ظريف ألغازه ما قالهُ في الجسم والروح (من الطويل) :

إلْفَانِ لم يُدرِكْ حقيقةَ واحدٍ سوى اللهِ والثاني لَدى الحِسِّ ظاهِرُ
يُفارِقُ ذا هذا ويبقى وذا غليظٌ تراهُ في الوجودِ النَّواظرُ
وذاكَ قديمٌ في الحدوث وذا لهُ حدوثٌ قريبٌ والمعاندُ كافرُ

ومثلهُ لغزهُ في القبر والنعش (من الطويل):

رفيقانِ منقولٌ وآخرُ ثابتٌ وكلٌّ لكلٍّ لازمٌ واجبُ القَهْرِ
يُحَمَّلُ هذا ساعةً ورفيقُهُ يُضَمَّنُ ما يبقى الى زمن الحَشْرِ
يحفُّ بهذا الناسُ من كلّ جانبٍ الى ذاك حتى يَغْنموا غايةَ الأَجْرِ
ويَستودعوا ما أثقلوا منهُ ظَهرَهم لآخرَ حتى يأذنَ اللهُ بالأَمرِ

وكذلك ألغزَ في الليل والنهار (من الطويل):

وضِدَّيْنِ هذا مثلُ هذا تَعاقَبا وكم بهما عدَّ الانامُ حقائبَا
فهذا بصيرٌ لا يَضِلُّ عن الهُدى وهذا عميٌّ ليس يُبصرُ ذاهبا
تَحرُّكُنا في ذا وفي ذا سكونُنا وطورًا نرى سعياً وطورًا تجانُبا
وفي ذَيْنِ آياتٌ لاهل النُّهى على جلالة ربِّ العَرْش تُبْدي العجائبا

٣٥ بنو ممّاتي النصارى الاقباط

﴿اصلهم ودينهم وزمنهم﴾ بنو ممّاتي اسرةٌ شريفة قبطيَّة اصلها من اسيوط في صعيد مصر كانت تدين فيها بالنصرانيَّة وهي تنتمي الى ابي مليح الملقَّب بممَّاتي. قال ابن خلكان (ص ١٠١): «كان ابو مليح نصرانيًّا وانَّما قيل لهُ ممَّاتي لانهُ وقع في مصر غلاءٌ عظيم وكان كثير الصَّدَقة والإطعام وخصوصاً لصغار المسلمين

فكانوا اذا رأوهُ نادى كلّ واحدٍ منهم «مَمَّاتي» فاشتهر بهِ»

قال ياقوت في معجم الادباء (٣ : ٢٤٤) يذكر انتقال بني مَمَّاتي الى مصر قال : «قدموا مصر وخدموا وتقدَّموا ووُلُّوا الولايات . وهو (اي ابو مليح) مع ذلك من اهل بيت في الكتابة عريق. وهو كالمستولي على الديار المصريَّة ليس على يده يدٌ . . وكان الى مَمَّاتي كثير من اعمالهِ»

وكان في تلك الايَّام وزيرًا على مصر بَدْرُ الجمالي امير الجيوش في ايام الخليفة المستنصر بالله وكان ابو مليح احد عمَّالهِ يكتب في ديوان مصر ويتولَّى استيفاء الديون

ومما اخبره ياقوت في معجم الادباء (٢ : ٢٤٤ــ٢٤٦) عن الوزير جمال الدين الشيباني ما حرفهُ :

« بلغني انَّ بعض تجَّار الهند قدم الى مصر ومعهُ سَمَكة مصنوعة من عنبر قد تُنُوّقَ (في الاصل تُنُوّقَ بالغلط) فيها وأُجيد وطُيّبت ورُصّعت بالجواهر فعرضها على بدر الجمالي ليبيعها منهُ فساءَها من صاحبها فقال : لا أنقصها من ألف دينار شيئًا . فأُعيدت اليهِ . فخرج بها من دار بدرٍ فقال لهُ ابو مليح : أرني هذه السَّمكة . فأراهُ ايَّاها فقال لهُ : كم سُمْتَ فيها ؟ فقال : لا أُنقصها من الف دينار درهمًا واحدًا . فاخذ بيده وقبض ألف دينار من مالهِ وتركها عندهُ مدَّةً . فاتَّفق ان شَرِبَ ابو مليح يومًا وسكر وقال لندمائهِ : قد اشتهيتُ سمكًا هاتُم المِقْلى والنار حتى نقليهُ بحضرتنا . فجاؤوهُ بمقلى حديد وفحم وتركوهُ على النار وجاء بتلك السمكة العنبر فتركها في المقلى . فجعلت تتقلَّى وتفوح روائحها حتى لم يبقَ بمصر دارٌ إلَّا ودخلتها تلك الرائحة . وكان بدرُ الجمالي جالسًا فشمَّ تلك الرائحة وترايدت . فاستدعى الخُزَّان وامرهم بفتح خزائنهِ وتفتيشها خوفًا من حريق قد يكون وقع فيها . فوجدوا خزائنهُ سالمةً فقال : ويحكم انظروا ما هذا . ففتَّشوا حتى وقعوا على حقيقة الخبر فاستعظم وقال : هذا النصراني الفاعل الصانع قد اكل اموالي واستبدَّ بالدنيا دوني حتَّى امكنهُ ان يفعل هذا . وتركهُ الى الغداة فلما دخل اليهِ وهو مُغضب قال لهُ : « وَيْحك أَستَعظمُ انا وانا ملكُ مصر شِرَيَ سمكةٍ من العنبر فأتركها استكثارًا لثمنها فتشتريها انت . ثمَّ لا يُقنعك حتى تقليها وتذهب في ساعةٍ واحد بألف دينار مصرية ؟ ما فعلتَ هذا إلَّا وقد نقلتَ بيت اموالي اليك وفعلت » . فقال لهُ : « والله ما فعلتُ هذا الَّا غَيرةً عليك ومحبة لك فانَّك اليوم سلطان نصف الدنيا وهذه سمكةٌ لا يشتريها إلَّا ملك فخفتُ أن يذهب بها الى بعض الملوك ويخبره بأنك استعظمتها ولم تشترها فأردتُ ان اعكس الامر وأُعلمهُ أنك ما تركتها إلَّا احتقارًا لها وانَّها لم يكن لها عندك مقدار وانَّ كاتبًا نصرانيًّا من كتَّابك اشتراها وأحرقها فيشيع بذلك ذكرك ويعظم عند الملوك قدرك » . فاستحسن بدر ذلك منهُ وامر لهُ بضعفي ثمنها وزاد في رزقهِ»

واردف ياقوت : وكان ممَّاتي مع ذالك كريماً ممدَّحاً قد مدحهُ الشعراء . فذكر ابو الصلت في كتاب الرسالة المصريَّة لهُ انَّ ابا طاهر اسماعيل بن محمَّد النشاع المعروف بابن مكنسة (١ كان منقطعاً اليهِ فلمَّا مات مماتي رثاهُ ابن مكنسة بقصيدة منها :

ماذا أُرجِّي من حيا تي بعد موت ابي المليح (٢
طُوِيَتْ سماءُ المكرما تِ وكوّرت شمسُ المديحِ
ما كان بالنكس الدنيِّ م من الرجال ولا الشحيحِ

ولما وليَ الافضلُ ابن امير الجيوش بدرِ الجمالي بعد ابيهِ دخل اليهِ ابن مكنسة مادحاً فقال لهُ : ذهب رجاؤك بموت ابي المليح فما الذي جاء بك الينا ؟ وحرمهُ ولم يقبل مديحهُ

وقرأنا في كتاب البدر السافر في انس المسافر (ص ١١٤) لكمال الدين ابي الفضل جعفر الادفوي المتوفَّى سنة ٧٤٢ هـ (١٣٤١م) انَّ ابا مليح ممَّاتي كان اسمهُ مينا وانهُ ابن ابي زكريَّا بن ابي قدامة . قال (ص ١٩٨) :

« وكان جوهريًّا بمصر وكان يصبغ البلُّورَ صبغةَ الياقوت فلا يميّز بينهما إلّا الخبير بالجوهر . قال الوزير القفطي : حكى لي رجلٌ يعرَف بالرشيد الصائغ انـهُ اذا كان نودي على الفصّ من صنعتهِ تشوَّفت نحوهُ العيون اكثر من تشوُّفها الى غيرهِ من الجوهر لجودتهِ وحسن منظرهِ »

﴿ولدهُ المهذَّب ممَّاتي﴾ قال ياقوت في معجم الادباء (٢ : ٢٤٦) : « امَّا المهذَّب ولدهُ (اي ولد ابي مليح) وكان يلقَّب بالخطير فانهُ كان كاتب ديوان الجيش بمصر في اواخر ايَّام المصريّين (يريد الفاطميين) واوَّل يوم بني ايُّوب مدَّةً فقصدهُ الكتَّاب وجعلوا لهُ حديثاً عند صلاح الدين يوسف بن ايوب او (وزيره) اسد الدين شيركوهُ وهو يومئذٍ المستولي على الديار المصرية فخاف المهذَّبُ فجمع اولاده ودخل على السلطان واسلموا على يده فقبلهم واحسن اليهم وزاد في ولاياتهم »

ثمَّ نقل هناك ما اخبرهُ ابو المكارم اسعد ابن المهذَّب عن ابيهِ الخطير قال انهُ كان مرتّباً على ديوان الاقطاعات وهو على دين النصرانيَّة فلمَّا علم اسد الدين شيركوه في بدء امرهِ بمصر انهُ نصراني وانهُ يتصرَّف [في عملهِ] بلا غيار نهاهُ وامرهُ بغيار النصارى ورَفْع الذؤابة وشدّ الزنَّار وصرفهُ عن الديوان فباشر هو واولاده

١) وفي الخطط للمقريزي (٢ : ١٦٠) يدعوهُ : ابن المكيسة وهو تصحيف
٢) ويروى : « من ذا أؤمّل » ويروى : تناثرت شُهْب العلا من بعد . . .

فأَسلموا على يدهِ فاقرَّهُ على ديوانهِ مدَّة ثمَّ صرفهُ عنهُ فقال فيهِ ابن الذروي:

لم يسلمِ الشيخُ الخطيرُ لرغبةٍ في دين أَحمَدْ
بل ظنَّ انَّ محالَهُ يُبقي لهُ الديوانَ سرمَدْ
والآنَ قد صرفوهُ عنهُ فدينهُ فالعود أَحمَدْ

فترى من هذا ما كان يقاسيهِ النصارى من العنَت فيُسلمون لا حبًّا بالاسلام واقتناعاً بصحّتهِ بل خوفاً من ضرر يلحق بهم او منصب يفقدونهُ. فلا يصحّ ان ننظم مثل هؤلاء في سلك المسلمين. وقد اخبر ياقوت الرومي عن سبب وفاة المهذَّب (ص ٢٤٨) قال:

ومن عجيب ما جرى للخطير انهُ كان يوماً جالساً في ديوانهِ في حجرة موسومة بديوان الجيش من قصر السلطان بمصر. وكانت حجرةً حسنة مرخَّمة منمَّقة فجاءهُ قومٌ وقالوا لهُ: قم من هاهنا. فقال لهم: ما الخبر؟ فقالوا: قد تقدَّم الملك العادل ابو بكر بن ايُّوب بأخذ رخام هذه الحجرة وان نعمّر بهِ موضعاً آخر. فخرج منكسرًا كاسفاً فقيل لهُ في ذلك فقال: «قد استُجيبَت فينا دعوةٌ وما اظنُّني اجلس في ديوان بعدها. أما سمعتم اذا بالغوا في الدعاء علينا قالوا: خرَبَ الله ديوانَهُ. وما بعد الخراب الَّا اليباب. ثم دخل منزلهُ وحُمَّ فلم يخرج منهُ إلَّا ميتاً»

وكانت وفاة الخطير يوم الاربعاء ٦ رمضان سنة ٥٧٧ (١١٨٢م) وذكر الأُدباء للمهذَّب شعرًا فمن ذلك ما قالهُ لاسد الدين شيركوه لَمَّا امرهُ بالغيار (من السريع):

يا أَسد الدينِ ومَنْ عدلُهُ يَحْفَظُ فينا سُنَّةَ المصطفى
كفى غِيارًا شدُّ أَوساطِنا فما الذي اوجبَ(١) كَشْفَ القفا

ومن شعرهِ ما رواهُ عنهُ سعيد بن ابي الكرم بن هبة المصري يتغزَّل بابي سعيد ابن ابي اليمن النحّال وزير العادل وكان نصرانيًّا وأَسلم وكان املحَ الناس وجهاً فقال المهذَّب (من السريع):

وشادنٍ لمَّا بَدا مُقبلًا(٢) سبَّحتُ ربَّ العرش باريهِ
ومُذْ رأيتُ النَّحلَ في خدّهِ(٣) أَيقَنْتُ انَّ الشَهْدَ في فيهِ

وكان ابن النحّال يسكن في اوَّل درب نور الدين في مصر وكان في آخرهِ صبيٌّ آخر

١) ويروى: يوجبُ
٢) وفي ياقوت (ص ٢٤٨): وشاذن (بالذال وهو غلط) لمَّا أتى
٣) ويروى: النمل في خدّهِ

نصراني مثلهُ حسناً يُعرَف بابن زنبور فقال المهذَّب (من الطويل) :

حوى دربُ نور الدين كلَّ شَمَرْدلٍ مشـدَّدةٍ اوسـاطُهم بالزنانيرِ
فأوَّلُهُ للشَّهد والنَّحْـلِ منزلٌ وآخرهُ يا سادتي لـلزنابـيرِ

ومن ظريف قولهِ مَّا رواهُ الادفوي (من الطويل) :

ولمَّا بكَتْ عيني دماءً لِفَقْدكم تيقَّنتُ انَّ القلبَ فيـهِ كلومُ

وروى لهُ العماد الاصبهاني في الخريدة قولهُ في كتمان السرّ (من البسيط) :

واكتمُ السرَّ حتَّى عن إعادتهِ الى المُسِرّ بهِ من غير نسيانِ
وذاكَ أنَّ لساني ليس يُعلِمُهُ سَمْعي بسرّ الذي قد كان ناجاني

وروى ايضاً (Ms. Berlin 7412, ff. 180) يصف الخمر (من البسيط) :

اذا انبرَتْ من فمِ الابريق تحسَبُها شِهابَ ليلٍ رُقِي في الكاس شَيْطَانا

قال : ومن شعرهِ من قصيدةٍ (من الطويل) :

ابيتُ رقيبَ النّجم منها كأنَّمـا عُيونيَ لم يُخلَقْ لهنَّ جفونُ

ومنها :

كأنَّ ظلامَ الليل اذ لاحَ بَدْرُهُ دَجوجيُّ شَعْرٍ لاحَ منهُ جبينُ
كأنَّ الثريَّا ترقبُ الـليلَ غيرةً فقد هجرَتْ منها المنامَ عيونُ
كأنَّ سُهيلًا في مطالع أُفْقهِ فؤادٌ مرُوعٌ خامرَتْهُ ظُنونُ
كأنَّ السُّها تبدو أواناً وتنجلي لدى الليلِ سرٌّ في حشاه مَصونُ

﴿ابنهُ الاسعد ممَّاتي﴾ هو شرف الدين ابو المكارم اسعد بن المهذَّب ممَّاتي المصري الكاتب الشاعر . قال ياقوت في معجم الادباء (٢ : ٢٤٩) والمقريزي في الخطط (٢ : ٢٦٠) : «خلف اباهُ على ديوان الجيش وتصدَّر فيهِ مدَّةً طويلة ثمَّ أُضيف اليه ديوان المال وهو اجلُّ ديوان من دواوين مصر واستمرَّ في ذلك مدَّة ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن أُيوب وأيَّام ابنهِ الملك العزيز عثمان وولي نظر الدواوين واختصَّ بالقاضي الفاضل عبد الرحمان بن علي البيساني فنفق عليهِ وحظي عندهُ وكُرم لديهِ فقام بامرهِ واشاع من ذكرهِ ونبَّه على فضلهِ وصنَّف لهُ عدَّة تصانيف باسمهِ وكان يسمّيهِ بلبل المجلس»

قال المقريزي في الخطط : «ولم يزل بمصر حتى ملك السلطان الملك العادل ابو بكر بن أُيوب ووَزَرَ لهُ صفيُّ الدين عليّ بن عبدالله بن شكر فخافهُ الاسعد لما كان يصدر منهُ في حقهِ من الاهانة وشرع الوزير ابن شكر في العمل عليهِ ورتَّب لهُ مؤامرات ونكبَهُ وأَحال عليهِ الاجناد ففرَّ من القاهرة وسقط في حلب»

قال ياقوت في معجم الادباء حدَّث الصاحب جمال الدين الاكرم قال: لمَّا ورد الاسعد الى حلب نزل في داري فاقام عندي مدَّةً وذلك في سنة ٦٠٤ (١٢٠٧م) . وعرف الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين خبرَهُ فاكرمهُ وأجرى عليهِ في كل يوم دينارًا صوريًّا وثلثة دنانير أُخرى أُجرة دار . . . واقام عندهُ على قدم العطلة الى سنة ٦٠٦ وفيها مات سلخ جمادى الاولى سنة ٦٠٦ (١٢٠٩م) عن ٦٢ سنة فدُفن بظاهر حلب بمقام بقرب قبر ابي بكر الهروي»

واشتهر الاسعد بادبهِ ومصنَّفاتهِ . قال العماد الاصبهاني : «كان فاضلًا اديباً شاعرًا ناثرًا . . . وتأدَّب وصنَّف مصنَّفات في فنون عدَّة منها كتاب سرّ الشعر صنَّفهُ للملك العزيز . وكتاب علم النثر . ونظَم سيرة السلطان صلاح الدين يوسف ونظم كتاب كليلة ودمنة . ومن تآليفهِ الممتعة كتاب صحَّة الحقّ على الخلق في التحذير من سوء عاقبة الظلم وهو من اهمّ ما طالعهُ الملوك كان السلطان صلاح الدين يُكثر النظر فيهِ . وصنَّف ايضاً للملك العزيز كتاب قوانين الدواوين فيما يتعلَّق بدواوين مصر ورسومها واصولها واحوالها في اربعة اجزاء ضخمة ذكر فيهِ اربعة آلاف ضيعة من اعمال مصر ومساحة كل ضيعة وقانونَ ريّها ومتحصَّلها من عين وغلَّة . وكتب اخرى

كثيرة عدَّدها ياقوت في معجم الادباء (٢ : ٢٥١)

ولاسعد مماتي ديوان شعر تعدَّدت محاسنهُ فروى منهُ الادباء عدَّة مقاطيع. فمن ذلك ما رواهُ عنهُ السيوطي في اخبار مصر والقاهرة (٢ : ٢٠٧و٢٠٨) يصف جزيرة مصر (من الطويل):

جزيرةَ مِصرٍ لا عدتْكِ مسرَّةٌ ولا زالتِ اللذَّاتُ فيكِ اتّصالُها

فكم فيكِ من شمسٍ على غُصن بانةٍ يُميتُ ويُحيي فَجْرُها ووِصالُها

مغانيكِ فوقَ النيل اضحَتْ هوادجاً ومختلفاتُ الموجِ فيها جِمالُها(١

ومن أعجبِ الاشياء انَّكِ جَنَّةٌ تُدِفُّ على اهلِ الضَّلال ظِلالُها(٢

وقال في الروضة وقد حلَّها السلطان الكامل محمَّد (من الطويل):

جزيرةَ مصرٍ انتِ اشرفُ موضعٍ على الارض لمَّا حلَّ فيكِ محمَّدُ

وفيكِ عَلا البَحْرانِ لكنَّ كفَّ ذا على الناسِ أنْدى بالعطاء وأجوَدُ

واصبحَتِ الاغصانُ من فرَحٍ بهِ تمايَلُ والأطيارُ فيكِ تغرَّدُ

فرَقَّ نسيمٌ حين سار وجَدوَلٌ ويشدو هَزارٌ حين يرقصُ أملَدُ

وانشد في وصف الخليج (من الوافر).

خليجٌ كالحُسام لهُ صِقالٌ ولكنْ فيهِ للرَّائي مَسَرَّهْ

رأيتُ بهِ المِلاحَ تَعومُ فيهِ (٣ كأنَّهُمُ نجومٌ في المَجرَّهْ

ومَّما قالهُ في تحامُل الوزير صفيّ الدين عليهِ وهربهِ الى حلب (من الطويل):

---

١) روى المقري في نفح الطيب (١ : ٢١) : فيك حبالها

٢) وفي المقري : تمدُّ. اراد انها يستظلُّ تحت اغصانها غير المسلمين فنعتهم باهل الضَّلال

٣) كذا في الاصل. وفي نسخة اخرى : تجيد عوماً

تنكَّرَ لي ودُّ الصفيِّ ولم أكُنْ بهِ رافعاً رأساً لو اعتدلَ الزَّمَنْ
ولكن علا عند انخفاضٍ وساءَني وَحَسْبُكَ من شخصٍ تركتُ لهُ الوطنْ

وقال ايضاً (من مجزوء الكامل):

لا تَقبلنَّ من الوُشا ةِ وتُقبِلنَّ على العواذِلْ
فالعينُ قد جُنَّتْ ببُعْدِكَ والدموع لها هواطِلْ

ودخل يوماً على صلاح الدين فوجدهُ يلعب بالشطرنج فقال (من السريع):

ان يَكُنِ الشِّطرَنْجُ مَشْغَلَةً لعليِّ القَدْرِ والهِمَمِ
فهي في ناديك تذكرةٌ لأمور الحربِ والكَرَمِ

وقال في غلام نحويّ (من السريع):

وأهيفٍ أحدَثَ لي نَحْوُهُ تعجُّباً يُعربُ عن ظَرْفهِ
علامةُ التأنيثِ في لفظهِ وأحرُفُ العِلَّةِ في طَرْفهِ

وروى لهُ الصفدي في شرح لاميَّة العجم (من السريع):

أيَسْكنُ الناسُ وقد حاطَهُمْ سبعةُ افلاكٍ عليهم تَدُورْ
والدارُ في الاخرى دهاليزُها في هذه الدنيا لُحودُ القُبورْ

وقال في وصف الحسود (من الخفيف):

لا تُصِخْ للحَسود في ذمّهِ م النعمةَ مع كونهِ العجولَ اليها
فهو مثلُ السحابِ اذ حجَبَ الشمسَ م عن العينِ ثمَّ يبكي عليها

ومما مدح بهِ الظاهر الغازي في حلب قولهُ (من الوافر):

أسكرانٌ نديمُ العَدْوِ غازٍ واسماءُ الملوكِ لها حُلاها
كأنَّ السُّمْرَ رَيْشُها طوالٌ فكم نفسٍ بهنَّ قد استقاها
اذا اكتحلَتْ عيونٌ من عُداةٍ بغيرِ حياةً وجدَتْ عماها

وأَطمعَ نَفسَ أَسمَرهِ واضحى يفتّش من نفوسٍ ما خباها
كأنك بِخلتَها سترَتْ كميناً فتطعَنُها لتُبصِرَ ما وراهـا
سلِ البيت المقدَّس عنهُ يُخبرْ بسُورة فَتْحِـهِ لمـَّا تلاهـا

وروى لهُ ابن خلكان في المعاتبة (من الوافر) :

تُعـاتبني وتَنْهَى عن امورٍ سبيلُ الناسِ ان يَنهَوكَ عنها
أَتقْدِرُ ان تكونَ كمثلِ عيني وحقّك ما عليَّ أَضرُّ منها

وقال منوّهاً بنهري دمشق ثَوْرا وبَرَدَى (مجزوء الوافر) :

حكى نهرَيْنِ ما في الار ضِ مَن يَحكيهما أَبدا
حكى في خَلْقِهِ ثَوْرَا وفي اخلاقهِ بَرَدى

اخذهُ من قول بعضهم فيهما وفي نهر يزيد :

ضاهى ابنُ بشرانَ مدينةَ جلّقٍ كلاهما يوم الفخـارِ فريدُ
أَلفاظهُ بَرَدى وصورةُ خلقـهِ ثورا ونقصُ العقلِ هو يزيدُ

وقال في الغزل (من الرجز) :

سمراء قد أَزرَتْ بكلّ أَسمرٍ بلَونها ولِينها وقدِّها
انفاسُها دخانُ ندٍّ خالُهـا وريقُها من ماء وَرْدِ خدِّها
لو كتَبَ البَدْرُ الى خدمتها رسالةً ترجمهـا بعَبْدِهـا

وقال يصف كريماً (من الطويل) :

لنيرانهِ في الليلِ ايُّ تحرُّقٍ على الضَّيفِ إن أَبطا وايُّ تَلَهُّبِ
وما ضرَّ مَن يَعْشو الى ضوء نارهِ اذا هو لم ينزل بآل المهلَّبِ

٣٦ الاسعد ابن عسَّال

❊ اصلهُ ودينهُ وشعرهُ ❊ بنو العسَّال ثلثـة اخوة المؤتمن والصفي والاسعـد

اشتهروا كلُّهم بالآداب والتصنيف في القرن الثالث عشر للميلاد وقد اثبتنا ما وقفنا عليهِ من مصنَّفاتهم في كتابنا المخطوطات العربية لكتبة النصرانيَّة (ص ١١ــ١٣). وكان اصلهم من مدينة سدَمَنت في الفيّوم من اسرة القس بطرس السَّدَمنتي الذي ذكرنا لهُ بعض التآليف في الكتاب المذكور (ص ٦٢) انتقلوا الى مصر ودخلوا في دواوين الدولة المصريَّة على عهد المماليك. ولم نعثر لاحد منهم على آثار شعريَّة إلَّا للمدعوّ الاسعد ابا الفرج هبة الله. ورد لهُ في احد مخطوطات مكتبة الاقباط في مصر ارجوزة صنَّفها في تعريف قوانين الميراث عند النصارى. ذكرها الاديب جرجس فيلوثاؤس عوَض ملحقَةً بكتاب المجموع الصفوي تأليف اخيهِ الشيخ الصفي ابي الفضائل بن العسَّال. وها نحن نورد منها قسماً صالحاً تثبت ما كان لهُ من المقدرة بالنظم. قال:

مقدّمة

الشكرُ للهِ الوحيدِ الذاتِ سبحانَهُ مثلَّثَ الصفاتِ
أحمَدُهُ كمثلما هو أهلُهُ اذ فاضَ بحرُ جودهِ وفضلُهُ
أزيدُ في التمجيدِ والتسبيحِ لابن الالهِ السيّد المسيحِ
أنقذَنا من ظلمة الجهالَهْ ومن جحيمِ الكفر والضلالَهْ
يا ايُّها الطالبُ علمَ الشرعِ في الإرْث خُذْ مُختصرًا من فَرْعِ
إسمَعْ هُديتَ أفضَلَ السبيلِ جَمَّلْتُهُ نظماً بلا تفصيلِ
إبدأْ بما يصلحُ للأكفانِ والقبرِ والحُمَّالِ والقربانِ
أوْفِ الديونَ قبلَ أنْ تُقسِّما فالشَّرْعُ قد صيَّرهُ مُقدَّما

عدد مراتب الورّاث

وإن تُرِدْ معرِفَةَ المَراتبِ لكي تُعَدَّ من ذوي المناصبِ

فانّها عشرونَ واثنتانِ بَعيدُها محتجبٌ بالداني
لا رتبةٌ مع قَبْلِها بوارثَهْ رابعةٌ ليس لها مع ثالثَهْ
اولُها البنونُ والبناتُ لا فرقَ بل هُنَّ مساوياتُ
والأمُّ مثلُ احدِ الاولادِ والابُ مثلٌ في القياس الهادي
ان مات ميتٌ ولهُ فردُ ولَدْ لزوجهِ الرُّبعُ فعنْهُ لا يُحدْ
والنصفُ والربعُ لابن الميّتِ أَعْطِ لهُ هذا بلا تشتُّتِ
وكلّ ما زادوا عن الثلاثَهْ تكونُ مثلهنَّ في الوراثهْ
مثالهُ كان البنونَ اربعَهْ فالخُمسُ حصَّتُها بلا مدافعهْ

ثمَّ يعدّد الناظم بقية المراتب الى ان يقول :

والزوجُ ان ماتَ بلا اولادِ للزوجةِ النصفُ بلا عِنادِ
والزوجُ والزوجة في الحكم سَوى والنصفُ للاهل فدَعْ عنك الهوَى

ومنها :

والامُّ ان كانت مع الأَعمامِ تحوزُ ثُلثَيهِ بلا كلامِ
اولادُ عمٍّ ميّتٍ من حكمِهِمْ ثُلثٌ لهم مع زوجةٍ اعمِّهمْ
وجدَّةٍ من والدٍ وجدَّتهِ ثُلثٌ لهمْ من إرثهِ مع اخوتهْ
هذا اذا لم تكنِ الوصيَّهْ أَحكامُها شرعيّةٌ مَرْضيَّهْ
لأَنَّها ان لم تكن شرعيَّهْ كان كمن ماتَ بلا وصيَّهْ

لا يُمنعُ المرءُ من التصرُّفِ في النصفِ والرُّبع بلا توقُّفِ
فان يَزِدْ عنهُ فلا تَدَعْهُ واعملْ بما قلنا ولا تُضِعْهُ
والمِلكُ إن يوقفْ لغير مؤمنِ فبِطِّلِ الوَقْفَ ولا تُمكِّنِ
وأسقفٌ ومثلهُ في التَّكرِمَهْ يكتبُ ما يملكُ قبل التَّقدمَهْ
حتَّى اذا تنيَّحوا فأَهلُهُمْ غيرَ الذي جاؤوا بهِ ليس لهُمْ
وما يَزِدْ فانَّهُ للبِيعَهْ بكل هذا تحتمُ الشريعَهْ
ومن يَمُتْ في الدير من رهبانِ فلن يجوزَ ارثهُ علماني
لكنَّه للدير والإخوانِ كما يراهُ اعظمُ الرهبانِ

وهذه خاتمتها :

نظمتُها للحِفْظِ حتَّى يَسْهَلا فاستغفرِ الرَحمانَ لي ثم اسألا
فان تجدْ عيباً فسُدَّ الخَلَلا فجَلَّ من لا عيبَ فيهِ وعلا

ولم نقف على سنة وفاة ناظم هذه الارجوزة كما تُجهَل سنة وفات اخويهِ المؤتمن والصفيّ. وما لا شكَّ فيهِ انَّ الاخوة الثلثة اشتهروا منذ اوائل القرن الثالث عشر وبلغوا اواسط ذلك الجيل. وقد جاء لاحدهم الشيخ الصفيّ في آخر بعض تآليفهِ انهُ كتبهُ سنة ٩٥٥ للشهداء وهي توافق السنة ١٢٣٨ للمسيح

٣٧ ابن ابي الثناء ابن كاتب قيصر

﴿نسبهُ دينهُ وادبهُ﴾ ذكرهُ معاصرهُ ابو اسحاق المؤتمن ابن عسَّال في مقدَّمة

كتابهِ عن النحو القبطي المسمّى «السلّم المقوّى (١ قال : « هو الرئيس الاوحد العالم الفاضل علَم الرئاسة ابو اسحاق ابرهيم ولدُ الشيخ الرئيس النفيس ابي الثناء ابن الشيخ صفيّ الدولة كاتب الامير عَلَم الدين قيصر ابقاه الله ورحم آباءه » وكان ابن ابي الثناء قبطيًّا من نصارى الفيُّوم من اشراف قومهِ وكان كاتباً بليغاً وشاعرًا مجيدًا . امّا لقبهُ بابن كاتب قيصر فلأن أباهُ الشيخ ابا الثناء اتّصل باحد كبار العلماء في زمانهِ وهو علَم الدين ابو المعاني قيصر بن ابي القاسم بن عبد الغنيّ الاسفوني المولود في أسفون من صعيد مصر سنة ٥٦٤ وقيل سنة ٥٧٤هـ (١١٦٩ــ١١٧٨م) والمتوفّى في دمشق سنة ٦٤٩هـ (١٢٥١م) . وقد ذكرهُ ابو الفداء في تاريخهِ (٣ : ١٩٥) وقال « انهُ هو المعروف بتعاسيف وكان اماماً في العلوم الرياضيَّة اشتغل بالديار المصريَّة والشام ثمَّ سار الى الموصل وقرأ على الشيخ كمال الدين موسى بن يونس علم الموسيقى ثمَّ عاد الى الشام وتوفي بدمشق (٢ » . فقد خدم ابو الثناء هذا العالِمَ فعُرِف ابنُهُ بابن كاتب قيصر

فالمذكور اشتهر بالادب واشتغل بلغتهِ القبطيَّة فصنَّف فيها مقدّمة دعاها التبصرة وتعقَّب فيها آثار الانبا يوحنّا اسقف سَمَنُّود في كتابهِ السُّلَّم الكنائسي (MFO, I, 125-126) . ولهُ ذكرٌ في كتب آداب العرب ورووا لهُ شعرًا ننقلهُ هنا عنهم . فمن ذلك ما رواهُ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي في كتاب الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه (Ms de Paris, 3345, p. 120r) قال : ومما جاء في وصف الياسمين قول ابن ابي الثناء المعروف بكاتب قيصر (من البسيط) :

يا حَبَّذا ياسمينُ الروضِ حين غدا ... يُهدي من الريح طِيباً غيرَ مكتتَمِ

كأنَّ زهرَتهُ في كفّ لاقِطها ... والروضُ مُنْتَثِرٌ في إثْرِ مُنْتَظِمِ

فراشةٌ هجرت حتَّى اذا وَصَلَتْ ... تلازَمَتْ مَعَ مَنْ تَهْوَى فَماً لِفَمِ

وروى له ابن منظور صاحب لسان العرب في كتابهِ نثار الازهار في الليل والنهار

١) اطلب مجموعة آثار المكتب الشرقيّ (MFO, I, 123)

٢) لهُ كُرة فريدة على هيئة الاوض وصفها ابو الفداء في تاريخهِ (راجع مجلّة الزهراء ٢٣ : ٨٨٩ ٤٤٩-٤٥٥)

(ص ١١٠) قولهُ واغّا دعاهُ «تاج الملك بن كاتب قيصر (من الخفيف):

وكأنّ الهلالَ قوسُ لُجَينٍ والثّريّا في الغربِ كالقِرْطاسِ
وكأنّ النجومَ افواقُ نَبْلٍ عابراتٌ حادَتْ عن البِرْجاسِ

٣٨ اخوهُ علم الملك ابن ابي الثناء

كان على مثال اخيهِ ابرهيم اديباً ذكر لهُ خليل بن ايبك الصفدي بيتين في الياسمين جارى فيهما قول اخيهِ (من المتقارب):

أرى ياسميناً مُحَشًّى غدا الى الندِّ في نَثرهِ يَنْتمي
كمثل قُصاصَةِ نِصْفيَّةٍ تَلَوّثَ اطرافُها بالدمِ

اطلب ايضاً وصفهُ البركة (ص٦٦٦)

٣٩ ابو الربيع سليمان الماردي

﴿نسبهُ وزمنهُ ودينهُ وادبهُ﴾ هو ابو الربيع سليمان بن اسماعيل (ويروى اسماعيل ابن سليمان) ابن ابي المليث النصراني الماردي كان من ادباء القرن الثالث عشر معاصرًا لابن منظور وعاش في مصر. وكان شاعرًا ورد لهُ مقاطيع متفرّقة في تآليف الادباء. من ذلك ما رواهُ ابن منظور في نثار الازهار (ص ١٠٤) يصف فيهِ نجوم السماء قال (من الخفيف):

رُبَّ ليلٍ تخالُ فيهِ الدَّراري زَهَرَ الرَّوضِ والمَجرَّةَ نَهْرا
والثُّريّا كأنّها كأسُ خمرٍ أَطْلَعَتْ فوقها الفواقعَ دُرّا

وتخالُ السماءَ حُلَّةَ خزٍّ نُثِرت فوقها الدراهمُ نَثْرا
وكأنَّ الصباحَ جامُ لُجَيْنٍ ملأَتْهُ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ خمرا

وروى لهُ في موضع آخر يصف المجرَّة (من الخفيف) :

وترى الزُّهْر في المَجَرَّةِ كالزَّهْر م طفا فوق جدولٍ وغدير

ومن حكمهِ قولهُ في الثقة بالله في الشدائد (من السريع) :

لا تيأَسَنْ لِلضّيقِ في أمرٍ وكُنْ في ثقةٍ من سائرِ العَيْبِ
ولا تَقُلْ بابُ الرجا مُغْلَقٌ وعندهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ

وممَّا ورد في مطالع البدور لعلاء الدين الغرولي (١ : ٢٥) وفي حلبة الكميت (ص ٢٩٤) وفي نفحات الازهار لعبد الغنيّ النابلسي (ص٣٨٧) قولهم بحرفٍ واحد : « حكى الاديب ابو الربيع سليمان بن اسماعيل بن ابي الليث المسيحي (١ قال : جمعني مجلسُ أُنسٍ مع الاديب اسحاق بن ابي الثناء المسيحي بالفيُّوم في بستانٍ فيهِ بركة عليها فوَّارة من الماء فتجاذبنا في اهداب وصفها فقال ابو اسحاق (من الخفيف) :

بِرْكةٌ تصعَدُ الانابيبُ منها يقعُدُ الماءُ فوقها ويقومُ
فَلِذا أَطلعَتْ فواقِعَ تبدو كالقواريرِ من زُجاجٍ تعومُ
وكأنَّ السماءَ صفحتُها الزَّرْ قاءُ والياسَمِينَ فيها نجومُ

(قال ابو الربيع) وقلتُ انا (من المنسرح) :

وبركةٍ تَذهَلُ العقولُ بها تحارُ في حُسنِ وصفها الفِكَرُ (٢

١) وفي حلبة الكميت : « المنبجيّ » وهو تصحيف
٢) ويروى : في بعض وصفها

كأنَّها مُقلةٌ مُحَدِّقةٌ عَبرى من الوَجْدِ(١ نالَها السَّهَرُ
تبكي وما فارَقَتْ لها وَطناً يوماً ولا فاتَ اهلَها وطرُ
تخالُ أُنْبُوبَها لصِحَّتِهِ والماءُ يعلو بهِ ويَنحَدِرُ
كصَوْلجانٍ من فضَّةٍ سُبِكَتْ فواقعُ الماء تحتَها أُكَرُ

ومن ظريف ما اخبر بهِ ابن منظور في نثار الازهار (ص ٣١) ما حرفهُ قال: «جرَتْ في قِصَر النهار نادرةٌ. أنشدني سليمان بن اسماعيل الماردينيّ المسيحي لنفسهِ فيما زعم من قصر النهار (من المتقارب):

ويومٍ حواشيهِ ململومةٌ ظَنَنَّاهُ من قِصَرٍ مُدْمَجا
قنصتُ غزالَتَهُ والْتفتُّ أُريدُ أُخْتَها فاحتمَتْ بالدُّجى(٢

فاثبتُّ البيتين عندي. فاخبرني بعد ذلك ابو الحسن بن سعيد انهُ وقف في تاريخ إربل لابن المستوفي لابي عبدالله محمّد بن ابي الوفاء القنيصي على ذكر البيتين بحرفهما. قال ابن المستوفي ثمَّ ورد علينا ابو الحسن علي بن يوسف الصفَّار فنسبهما لنفسهِ (قال) ولعلَّهما ليسا لهُ ولا لابن القنيصي. فقيَّدت هذا على هذه الصورة. ثمَّ جرى بعد ذلك مذاكرة في هذه الابيات وتحادث فيها الشعراء فقال بعضُ من حضر: هذهِ الابيات عندي في تعليقٍ لُغز. فرغبنا اليهِ في الكشف عنها فاحضر التعليق فاذا فيه. «خرج المنتخب العاني(٣ (منسوب الى عانة جزيرة بالفرات) مع الملك الزاهر ابن صلاح الدين صاحب البيرة للصيد فأثاروا ظبيةً في آخر النهار فاستطردَتْ لهم فلم يدركها السلطان إلَّا عند غروب الشمس فأمسكها ونظر الى الشمس وهي تغربُ فاستظرف هذا الاتفاق وقال لشاعرهِ: قُلْ في ذلك شيئاً. فقال:

ويوم حواشيهِ ملمومةٌ علينا نحاذرُ ان تُفرَجا

١) وفي نفحات الازهار: عين من الوجه بالتصحيف
٢) اراد بالغزالة الاولى الحيوان وبأختها الشمس التي الغزالة من اسمائها
٣) وفي الاصل: العاني بالفاء وهو تصحيف

قنصتَ غزالتَـهُ والتفتَ الى أُختها فاحتمت بالدجى

قال المصنّف: فصحَّ عندي انَّ هذا هو قائلها على الخصوص وانَّ الجميع لصوص. (قال) وقد قرأت كتاب اللصوص للجاحظ فلم اسمع فيهِ بأنَّ ثلاثة لصوص اجتمعوا بالاتّفاق الظريف على بيتٍ واحد

٤٠ رشيد الدين ابو حُلَيْقة

﴿اسمهُ اصلهُ نسبهُ دينهُ﴾ افادنا ابن ابي اصيبعة في كتابهِ الممتع عيون الانباء في طبقات الاطباء (٢ : ١٢١ — ١٣٢) معلومات متفرّقة عنهُ وعن اجدادهِ ما نستخلصهُ هنا للقرَّاء . قال يذكر اسمهُ ونسبهُ (ص ١٢٣) : « هو الحكيم الاجلّ العـالم رشيـد الدين ابو الوحش بن الفارس ابي الخير بن ابي سليمان داود بن ابي المنى بن ابي فـانة ويعرف بابي حُلَيْقة »

وذكر جدَّهُ ابا سليمان داود وكان متطبباً (ص ١٢١) فقال عنهُ انَّهُ « كان من اهل القدس ثمَّ انتقل الى الديار المصريَّة » ومما رواه ان ملك القدس الفرنجي اموري (Amaury) وهو يدعوهُ « ماري » لمَّا وصل الى الديار المصريَّة اعجبهُ طبُّهُ فطلبهُ من الخليفة ونقلهُ معهُ هو واولادهُ الخمسة الى البيت المقدس . فخدم الملك هناك وعالج ابن الملك المصاب بالجذام ثمَّ ترهَّب

وممَّا اخبرهُ عنهُ انهُ ارسل احد ابنائهِ وبشَّر الملك الناصر صلاح الدين يوسف بفتحهِ القدس فاصابت ذرّيته لذلك حظوة كبيرة لدى السلطان

واردف ابن ابي اصيبعة ذلك بتراجم ابناء ابي سليمان . وكان اكبرهم الحكيم (ابو سعيد مهذّب الدين) الذي خدم صلاح الدين ثمَّ الملك العادل وولدهُ المعظم . وتوفي سنة ٦١٣هـ (١٢١٦) . ويدعى الثاني (ابا شاكر) خدم الملك الكامل ابن الملك العادل وتوفي سنة وفاة أخيهِ ابي سعيد . واسم الثالث (ابو نصر) كان ايضاً طبيباً وتوفي بالكرك . والرابع (ابو الفضل) كان طبيباً نطاسياً وهو اصغر اخوتهِ توفي سنة ٦٤٤ وعمرهُ ٨٤ سنة هجريَّة (١١٦٤ — ١٢٤٦ م) خدم الملك المعظم بالكرك والملك الكامل بمصر .

الخامس (ابو الخير فارس) تربّى مع ابن ملك الفرنج المجذوم وخرج من بين اخوته الاربعة الاطباء جنديا

ورشيد الدين ابو حُلَيقة هو ابن ابي الخير فارس . دُعي ابا حُلَيقة لحَلْقة من فضّة في اذنه وُصِفت لهُ عند ولادتهِ دفعاً للموت الذي اصاب اخوتهُ قبلهُ فعاش هو وعُرف بابي حُلَيقة

﴿دينهُ واخبارهُ﴾ كان رشيد الدين ابو حليقة نصرانيًّا كجدّه ابي سليمان الذي صرَّح ابن ابي اصيبعة بنصرانيّتهِ وكذلك اولادهُ وحفيدهُ رشيد الدين . وقد اتّسع ابن ابي اصيبعة في وصف معارفهِ الطبيَّة وعلاجاتهِ الغريبة بترياقٍ عجيب وضعهُ فشفى بهِ كثيرين ممَّن أُيس الاطباء من حياتهم وحكموا بوفاتهم القريبة . وذكر خِدَمَهُ الممتازة لاربعة من الخلفاء الايوبيين في مصر وهم الملوك الكامل ثم العادل ثمَّ الصالح وتورانشاه . وعاش الى زمن المماليك وخدم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (٦٥٨ــ ٦٧٦ هـ = ١٢٦٠ــ١٢٧٧م) ولم يذكر سنة وفاتهِ

﴿ادبهُ وشعرهُ﴾ قال ابن ابي اصيبعة يصف معارف رشيد الدين واخلاقهُ ويذكر اجتماعهُ بهِ (٢ : ١٢٣) :

« كان اوحد زمانهِ في صناعة الطب والعلوم الحكميَّة متفنّنًا في العلوم والآداب حسن المعالجة لطيف المداواة رؤوفًا بالمرضى محبًا لفعل الخير . مواظبًا للامور الشرعية متفنّنًا في العلوم والآداب حسن المعالجة لطيف المداواة رؤوفًا بالمرضى محبًّا لفعل الخير . ولقد اجتمعتُ بهِ مرَّاتٍ ورأيتُ من حسن معالجتهِ وعشرتهِ وكمال مروءتهِ مايفوق الوصف »

وقد ذكر لهُ عدَّة تآليف طبيَّة منها كتاب في الامراض واسبابها وعلاماتها ومداواتها . وكتاب في الادوية المفردة دعاهُ المختار في الالف عقّار . وكتاب الادوية المركّبة التي قد اظهرت التجربة نجحها وكتب مقالةً في انَّ اللاذّ الروحانيَّة الذّ من اللاذّ الجسمانيَّة وعلّل ذلك بقولهِ « اذ الروحانيَّة كمالات وادراك الكمالات . والجسمانيَّة انّما هي دفعُ آلامٍ أُخرى وان زادت اوقعت في آلامٍ أُخرى » وهو نعم القول . ولهُ ايضاً مقالة في ضرورة الموت علّلهُ بتحلّل « بدن الانسان بالحرارة التي في داخلهِ وبحرارة الهواء الذي من خارج . فكان يتمثّل بهذا البيت :

واحدهما قاتلي فكيف اذا استجمعا

وكان رشيد الدين شاعرًا روى لهُ ابن ابي اصيبعة بعض المقاطيع نرويها هنا عنهُ . فمن ذلك قولهُ من ابيات يصف فيها منظرة سيف الاسلام (من الكامل) :

سمَحَ الحبيبُ بوَصْلِهِ في ليلةٍ غفلَ الرقيبُ ونام عن جَنَباتِها
في روضةٍ لولا الزوالُ لشابهَتْ جنّاتِ عَدْنٍ في جميع صِفاتِها
فالطيرُ يَطْرَبُ في الغصون بصوتهِ والراحُ تُجلي في الكؤُوسِ صفاتِها
وَمجالِسُ القمرِ المُنيرِ تنزَّهت فيهِ الحواسُّ باسمها وكناتِها

وقال يذكر ايام اجتماعهِ بالمحبوب ووداعه لهُ (من الطويل) :

أَحِنُّ الى ذكر التواصُل يا سَعْدُ حَنينَ النياقِ العِيسِ عنَّ لها الوِرْدُ
فسَعْدى على قلبي أَلَذُّ من المُنى وقُربي لها عند اللّقاء هو القَصْدُ
حوت مَبْسِماً كالدُّرِّ أَضحَى منظَّماً وثغرًا كمثل الأُقْحُوانِ بهِ شَهْدُ
وفَرْعاً كمثل الليل او حظِّ عاشقٍ ووجهاً كوَجْه الصُّبْح هذا لذا ضِدُّ
اقولُ لها عند الوداع وبيننا حديثٌ كنَشْر المِسْكِ خالطَهُ نَدُّ
تُرى نلتقي بعد الفراقِ بمنزِلٍ ويَظْفَرُ مشتاقٌ أَضرَّ بهِ البُعْدُ
تمرُّ الليالي ليلةً بعد ليلةٍ وذكرُكمُ باقٍ يُجدِّدهُ العَهْدُ
ولكنَّ خوفَ الصَّبِّ ان طال هَجْرُكم لَيقضي ولا يَقْضِي لهُ منكمُ وعدُ
عَشِقْتُ سيوفَ الهِنْدِ من أَجلِ أَنَّها تُشابِهُها في فعلِ أَلحاظها الهِنْدُ
ولي في الرماحِ السُّمْرِ سُمْرٌ لأَنَّها تُشابِهُها قدًّا فيا حبَّذا القَدُّ

وفي الورد معنًى شاهدٌ فوق خدّها ... نُشاهدُهُ فيها اذا عُدِمَ الوردُ
وبي من هواها ما جحدتُ وعبّرتْ ... بهِ عَبْرتي يوماً وما نفعَ الجَحْدُ

وقال مشبّباً (من الطويل):

خليليّ انّي قد بَقِيتُ مُسهَّدًا ... من الحبّ مأسورَ الفؤادِ مُقيَّدُ
بحبّ فتاةٍ يُخجلُ البدرَ وجهُها ... ولا سيَّما في ليلِ شَعْرٍ اذا بدا
ضَلَلْتُ بها وهي الهلالُ ملاحةً ... فوا عجباً منهُ أَضلُّ وما هَدَى
لها مَبْسِمٌ كالدُّرّ اضحى منظَّماً ... ونُطقٌ كمثل الدرّ أمسى مبدَّدا

ولما كان رشيد الدين في دمياط اتاهُ خبر والدهِ انهُ كان مرض في القاهرة ثم حظي بالعافية فكتب لهُ (من الكامل):

قطرَتْ عليَّ سحائبُ النَّعْماءِ ... مذ زالَ ما تشكو من البَلْوَاءِ
ولبِسْتُ مذ ابصرتُ خطَّك نعمةً ... فبِما اقوم لشكرها بوَفاءِ

وقال ابن ابي اصيبعة يذكر اهل رشيد الدين فقال (٢ : ٢٢٨) : وجماعة اهل الحكيم رشيد الدين ابي حُلَيقة اكثر شُهرتهم في الديار المصريّة والشام ببني شاكر لشهرة الحكيم ابي شاكر وسُمعتهِ الذائعة فصار كلّ من لهُ نسب اليهِ يُعرَفون ببني شاكر وان لم يكونوا من اولادهِ . ولما اجتمعتُ بالحكيم رشيد الدين ابي حُلَيقة — وكان قد بلغهُ انني ذكرتُ الاطبّاء المشهورين من اهلهِ ووصفت فضلهم وعلمهم — تشكّر منّي وتفضّل فانشدتهُ بديهاً (من السريع) :

وكيف لا اشكرُ مَن فَضلُهم ... قد سار في المشرقِ والمغربِ
تشرقُ منهم في سماءِ العُلا ... نجومُ سعدٍ قطُّ لم تغربِ
قومٌ ترى اقدارَهم في الورى ... بالعلمِ تَسْمو رتبةَ الكوكبِ

كم صنَّفوا في الطب كُتبًا أتتْ بكل معنًى مبدعٍ مُغرِبِ
وانَّ شكري في بني شاكرٍ ما زال في الأبعد والاقربِ
خُلِّدتْ مجدًا دائمًا فيهمُ بحُسْن وصفٍ وثنا طيّبِ

وقد ذكر ابن ابي اصيبعة ولدًا لرشيد الدين يدعى ابا سعيد زاول الطبابة كابيهِ وقال عنهُ انهُ أسلم في ايّام الملك ظاهر بيبرس. وفي خطط المقريزي (٢ : ٣٧٨) جاء ذكر ولد آخر لرشيد الدين لم يُسلم دعاهُ علَم الدين ابا نصر جرجس بن ابي حليقة روى عنهُ انهُ خدم الملك الكامل وحضر وفاتهُ

٤١ ابن مرتين

﴿زمنهُ وشعرهُ﴾ هو شاعر نصرانيٌّ اندلسيّ ذكرهُ ابن العربيّ في مسامراتهِ (٢ : ٣١١ و٢٣٧) قال في باب العشّاق والعشق . انشدني ابن مرتين من هذا الباب يصف ما في الحبّ من الخير والشرّ من الحسن والضرّ (من الكامل) :

الحُبُّ فيهِ حلاوةٌ ومرارةٌ والحبُّ فيهِ شقاوةٌ ونعيمُ
الحبُّ أهونُهُ شديدٌ قادحٌ والحبُّ اصغرَ ما يكونُ عظيمُ
الحبُّ صاحبُهُ يبيتُ مُسَهَّدًا ويطيرُ منهُ فؤادُهُ ويهيمُ
الحبُّ لا يَخفى وان اخفيتَهُ انَّ البُكاءَ على المحبِّ نميمُ
الحبُّ يشهدُ صادقًا (١ في وجههِ عند التنفُّس انَّهُ مهمومُ
الحبُّ داءٌ قد تضمَّنهُ الحشا بين الجوانحِ والضلوعِ مقيمُ

ولم نطَّلع على شيء آخر من شعر ابن مرتين . وانَّما يؤخذ من ذكرهِ في مسامرات ابن

١) ويروى : صارخًا

العربيّ انهُ عاش قبلهُ اعني قبل القرن السابع للهجرة والثالث عشر للمسيح لأنَّ ابن العربي توفي سنة ٦٣٨هـ (١٢٤٠ م)

ثمَّ وجدناهُ مذكورًا في كتاب المقَّري «نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب» (٢ : ٨٨٩) حيث دُعي بالقائد ابن مرتين ويتعيَّن زمانهُ في عهد المعتمد على الله بن عبَّاد صاحب اشبيلية (٤٦١ــ٤٨٤ هـ ١٠٦٨ــ١٠٩١ م) فيكون اذن من شعراء القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح

٤٢ ابن زطينا

﴿نسبهُ زمانهُ دينهُ﴾ وصفنا في المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٥٩٦ــ٦٠٧) كتابًا مخطوطًا قديمًا من اواخر القرن الثالث عشر او اوائل الرابع عشر ونقلنا عنهُ هناك شذراتٍ تاريخيَّة مهمَّة · ففي الصحيفة الثانية عشرة منهُ ورد ذكر ابن زطينا فقال المؤلف في تاريخ سنة ٦٢٦هـ (١٢٢٨ م) : «وفي هذه السنة توفي ابو الفضل جبريل بن زطينا كاتب الديوان كان اوَّلًا نصرانيًّا واسلم في ايام الخليفة الناصر لدين الله» · ومنهُ يتَّخذ انَّهُ عاش في اواخر القرن السادس للهجرة الى الربع الاوَّل من القرن السابع · وانهُ كان نصرانيًّا وامَّا اسلامهُ فنعرف انهُ لم يكن اختياريًا لِما صار وقتئذٍ من الضغط على النصارى كما ورد في الكتاب المذكور (ص٥٩٦ــ٥٩٧) عن ابن فضلان الذي كتب الى الخليفة الناصر لدين الله يحضُّهُ على مناهضة النصارى والضغط عليهم · ومن ثمَّ لا نرتاب في نظمه بين النصارى · ويؤخذ من شعرهِ انهُ عمَّر طويلًا

وقد ذكر المؤرخ المذكور الذي نقلنا عنهُ في تاريخ سنة ٦٣١هـ (١٢٣٢م ص٧٩٥) انَّ هبة الله ابن زطينا خلف اباهُ جبريل في الديوان ورُتّب كاتب السكَّة وذلك بايعاز ابن حاجب قيصر النصراني كما يلومهُ في ذلك ابن رضوان · وهو دليل على نصرانية هبة الله وعلى انَّ اسلام والدهِ كان تظاهرًا ليس حقيقيًّا

﴿ادبهُ وشعرهُ﴾ ورد ذلك في الكتاب المخطوط الذي اشرنا اليهِ فقال : وكان (ابن زطينا) ذا فضل وادب ولهُ نظمٌ ونثرٌ واشياء مستحسنة ومن شعره قولهُ

يحضّ على التوبة والصلاة والصوم (من السريع) :

إنْ سَهِرَتْ عينُك في طاعةٍ فذاك خيرٌ لك من نَوْمِ
أمسُكَ قد فاتَ بعِلّاتهِ فاستدرِكِ الفائتَ في اليومِ
وان قسا القلبُ لأكدارهِ فصَفِّهِ بالذكرِ والصومِ

ولهُ في الاستغاثة بالله عند البليّة (من الوافر) :

اذا أعيا عليك الامرُ فارجعْ الى ربٍّ عوائدُهُ جميلَه
فكم من مَسْلَكٍ معْضِيقٍ سِلْكٍ تجلّى واستبانَ بغيرِ حيلَه

وقال يذكر ضعفهُ لتقدُّمهِ بالعمر (من السريع) :

أُريدُ من نفسي نشاطَ الشَّبابْ ودونَ ما أبغيهِ شيبُ الغُرابْ
فكيفَ والسبعون جاوزتُها ومُذهبُ العمرِ رُمي بالذَّهابْ
ومَطْلَبي عَزَّ وما دونَهُ تأباهُ نفسي وأموري صِعابْ
وقد تحيّرتُ ولا غَرْوَ أنْ يحارَ مَنْ يطلبُ ما لا يُصابْ

٤٣ صاعد بن عيسى بن سمّان

﴿زمنهُ دينهُ شعرهُ﴾ ورد ذكر صاعد في تاريخ كمال الدين ابن العديم الذي عنوانهُ بغية الطالب في تاريخ حلب (Ms de Paris nº 726, ancien fonds, ff. 18r) فقال هناك يذكر ابن سهلون :

« اسرائيل بن سهلون ابو الحسن الطبيب الحلبي اظنّهُ من نصارى حلب ظفرتُ لهُ ببيتٍ من الشعر قرأتهُ بخطّ بعض كتّاب حلب ممّا اختارهُ من شعر صاعد بن عيسى ابن سمّان الكاتب النصراني الحلبي . فكان صديقهُ ابو الحسن اسرائيل بن سهلون الطبيب عمل بيتاً وهو (من الطويل) :

أيا طَيْفَ من أهوى تسَرْبلتَ عِفَّةً واشبهتَ في الاحلام فِعْلَكَ يقظانا

فاجابه يعني صاعد بن عيسى :

ولكنَّنا مُتْنا من الوَجد قبل أنْ يُسلِّمَ دُجّيًّا(١ بالسلام فأَحيانا

على مِثل هذا الفعلِ كانت إمامةٌ تُواصِلُنا أَحيانًا وتهجرُ أَحيانا

اذا كنتُ لاأَلقاكَ في الدهرِ يَقْظةً فيا ليت انّيَ ما عِشْتُ وَسْنانا

فمن ذكر صاعد في تاريخ كمال الدين يتعيَّن انهُ سبق هذا الكاتب المتوفَّى سنة ٦٦٠ ﻫ (١٢٦١م) . وقد سها عن ذكره محمّد افندي راغب في كتابهِ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء

٤٤ نصر الله الغِفاري

﴿زمنهُ شعرهُ﴾ ورد ايضاً ذكرهُ في احد مخطوطات لندن الذي عنوانهُ كتاب تذكرة العلماء والشعراء (Ms Br. Mas. 1108) للمملوك تاني بك الخزندار فنظم بين شعراء القرن الثالث عشر الميلاد نصرالله بن هبة الله الغِفاري الكاتب الشاعر النصراني وروى لهُ من الشعر قولهُ في توبتهِ عن شُربِ المدام (من الخفيف) :

ايُّها الخلُّ خلّني وهمومي شغلَتْني نِدامتي عن نَديمي

عدِّ عنّي كأسَ المُدامِ فاني تائبٌ عن وِصال بنتِ الكرومِ

ختمَ اللهُ لي بخَيرٍ فما لي اربٌ في رَحيقها المختومِ

انا لا اسمعُ الغناءَ فما لي ولثاني الثقيلِ والمزمومِ(٢

قال ومن شعرهِ ايضاً قولهُ في كذب المنجّمين (من الوافر) :

اذا حكمَ المُنجّمُ في القضايا بحُكمٍ جازمٍ فاُرْدُدْ عليهِ

فليس بعالمٍ ما اللهُ قاضٍ فقلّدني ولا تَرْكَنْ اليهِ

١) الدُجّي نسبة الى الدُّجَّة وهي شدَّة الظلام

٢) ثاني الثقيل والمزمومُ من الاصوات المعروفة عند المغنين وارباب الموسيقى

ملحق

بشعراء النصرانيّة بعد الاسلام

القسم الاول

ننشر هنا فوائد شتى من زيادات وتنقيحات على الاجزاء الثلاثة السابقة من كتاب شعراء النصرانية بعد الاسلام. والاعداد تشير الى هذه الطبعة المفردة

ملحق بالشعراء المخضرمين

٢ الحارث بن كلدة (ص ٤–٧)

ورد في العقد الفريد لابن عبد ربّهِ (ج٣ ص٤١٤ — ٤١٦) حديثٌ للحارث بن كلدة مع كسرى انو شروان الفارسيّ رواهُ بعده ببعض التصرُّف ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطبَّاء (١: ١١٠—١١٢) وفيه دلالة على عقلــهِ وادبهِ ومعرفتهِ بالطبّ كانت خاتمتهُ كما جاء في العقد اذ قال كسرى: «لله درُّك من عربيّ لقد أُعطيتَ علماً وخُصصتَ بهِ من بين الحمقى وفطنةً وفهماً» ثمَّ امر باعطائهِ وصِلَتهِ وقضاء حوائجهِ

وقد ورد للحارث في رسالة الغفران لابي العلاء المعرّي (ص ١٦) قولهُ في صديق (من الوافر):

فما عسلٌ بباردِ ماء مُزْنٍ ... على ظَمَــإٍ لِشارِبِهِ يُشَابُ

بــأَشهى من لُقِيّكُمُ الينــا ... فكيفَ لنا بهِ ومتى الإِيابُ

الصفحة ٥ السطر ١٤ـــ٢٠) هذه الابيات البائيَّة المنقولة عن الحماسة البصريَّة المتضمنة الطف عتاب ذُكرت في شواهد الكشاف للزمخشري وفيها بعض روايات كما ترى: البيت ٢ «وأَعْتَبَهم غِضابُ» ـــ ٤ «أُعيِّرهم تَنَاءٍ» اي تباعد ـــ ٥ «لا يدوم لهُ وصالٌ» ـــ وقد روى الزمخشري للحارث هذا البيت (ص١١٧):

نَقَبوا في البلاد من حذرِ المو ت وجالوا في الارض كلَّ مجالِ

الصفحة ٦ س ٤ـــ٥ روى صاحب الحماسة البصريَّة هذين البيتين للحارث بن كَلَدة وقدَّم عليهما بيتين آخرَين:

انَّ اختيارك لا عن خِبْرةٍ سلفتْ إلَّا الرجاء وممَّا يُخطئ البصرُ

كالمستغيثِ ببطن السَّيْل تحسبُهُ جزرًا ببادرهُ اذ بلَّهُ المطرُ

وهو يقدّم البيت الرابع «ان السعيد» على الثالث «لا اعرفنَّك» وقد روى «إذ ارسلتَ . . إذْ لا تنفع»

ومما رُوي للحارث ايضاً قولهُ يذكر الزَّبابة وهي الفارة البرّيَّة الصمَّاء يشبّه بها الرجل الجاهل (كتاب الحيوان للدميري ٢ : ٤ـــ٥) من (مجزوء الكامل):

ولقد رأيتُ معاشرًا جمعوا لهم مالًا ووُلْدا

وهمُ زَبابٌ حائرٌ لا تسمعُ الآذانُ رعدا

٤ اكثم بن صيفي (ص ١٠–١٤)

روى لهُ الجاحظ في كتاب الحيوان (٣ : ١٥) قولهُ (من المتقارب):

نُربّي ويَهلِكُ آباؤُنا وبين نُربّي بنينا فَنيا

٥ عبد المسيح بن بُقَيْلَة (ص ١٣–٢٠)

ص ١٥ س ١٩ الخ (اصمُّ ام يسمع) لهذه الابيات روايات مختلفة . وقد رُويت

على غير ترتيبها . البيت ١ رواهُ النويري في نهاية الارب (٣ : ١٢٩) : « فأزلمَ بهِ » — ٣ رُوي فيهِ : « آل ذئب بن حَجَنْ »

الصفحة ١٦ س ٢ فيهِ : "يسري بالوسن . . . يجوب في الارض على ذات شجن" — س ٣ فيهِ : ترتعني — س ٤ فيه : "تافهٌ" بالفاء — س ١٣ روى المرتضي في اماليهِ (١ : ١٨٩) انباء عِلَّات . . . فجفوٌ ومحفور — س ١٤ فيه "فجفوٌ ومحقورٌ"

ص ١٨ س ١ (لقد بنيت . . . حصناً) روى المرتضي في اماليهِ (١ : ١٨٩) : بنيتُ . . . قصراً — ٢ روى : به انينُ

ص ١٩ س ٩ (تُروِّح بالخورنق) روى السيّد المرتضي في اماليـهِ (١ : ١٨٩) : تَرُوح الى الخورنق

ص ٢٠ س ٨ (نلت بُلغ المزيـد) روى في المرَّصع لابن الاثير (ص ٤١) : فوق المزيد — س ١٠ (انال بالشرف) روى : انالُ في الشرَف

٦ الحُرَقة هند بنت النعمان (ص ٢٠ — ٢٩)

ص ٢٤ س ١٩ — ٢٠ (قصَّة هند والحجّاج) رُويت هذه القصة مع تفاصيل اخرى في احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة كتاب الحكايات والعتاب (ص ١١١ — ١١٢)

ص ٢٦ س ١٢ (صـان لي ذمَّتي) يروى البيت : حـاط لي ذمَّتي . . . الكريمُ الكريما

ص ٢٧ س ٢٢ (قصَّة الحرقة مع سعد بن وقَّاص) رواها الشحري (شرح شواهد المغني للسيوطي ١ : ٢٤٦) مع المغيرة بن شعبة ويدعو الحرقة هناك « الُخرقة » بالخاء

ص ٢٩ س ٩ — ١٣ (اعداء الخ) تروي هذه الابيات في حماسة ابي تمام (ص ٤٠٢) لعُتَيّ بن مالـك العقيلي وروى البيت الخامس : «ولم نُلقِ رحالنا . . جوز الليل» قال «جوز الليل وقت ميلهِ وجنوفهِ الى المغيب

— س ١٣ (ولم نَلوِ رَحلينا) ويروى : ولم نُلقِ رَحلينا واملّها الرواية الصحيحة

٧ الزبرقان (ص ٢٩-٣٧)

ورد في نقائض الفرزدق وجرير (ص ٩٠٥-٧٠٦ ed. Bervan) عن زوجة الفرزدق الملقَّبة بذات الخمار قال: «هي هُنَيْدة بنت صعصعة عمّة الفرزدق اخوها غالب ابو الفرزدق وخالها الاقرع بن حابس بن عقال المجاشعي وزوجها الزبرقان بن بدر» وقال ابن الاثير في كتاب المرصَّع (ص ٩١-٩٢ ed. Seybold) : «سُمّيت بذات الخمار لوَضعها خِمارَها بحضرة ابيها واخيها وخالها وزوجها. فقالوا لها: ما عهدناكِ متبرّجة. فقالت: دخلَتني الخُيلاء حين رأيتكم. فمن جاءت من نساء باربعة يحلّ لها ان تضع خمارها كاربعة جئتُ بهم فصُرْمتي (١ لها: ابي صعصعة بن ناجية واخي غالب ابن صعصعة وخالي الاقرع بن حابس وزوجي الزبرقان بن بَدْر

ومما رواه الثعالبي للزبرقان في كتابهِ احوال العالم في مخطوطات مكتبتنا الشرقية (ص١٣) قولهُ (من الطويل):

اخوكَ الذي لاينقُض الدهرَعهدَهُ ولاعن صروفِ الدهر يَزْوَرُّ جانبُهْ
وليس الذي يلقاكَ بالبِشْر والرضى وان غبتَ عنهُ تابعَتْك عقاربُهْ
فخذمن اخيك العَفو واغفرْ ذنوبَهُ ولا تكُ في كل الامور تُحاسِبُهْ

ثمَّ ألحق هذه الابيات بثلاثة اخرى تُروى في الاغاني (٣: ٢٧) وفي حماسة البحتري (العدد ٣٣٦) وفي غيرهما لبشَّار بن بُرْد من قصيدة شهيرة قالها في مديح عُمر بن هبيرة. وروى الدميري في حياة الحيوان للزبرقان قوله (من البسيط):

تعدو الذئابُ على من لا كلابَ لهُ وتتّقي مَربِضَ المستأسِدِ الضاري

ص ٣٠ س ٢٢ (نحن الكرام..) يروى البيت ايضاً: فلا حيٌّ يقاومنا فينا العلاء..

---

١) قال الصرمة خمسون ناقة وقيل مائة

الصفحة ٣٢ س ١٥ــ١٦ (الطبري ٣ : ١٩٢٤) يُصلح العدد: الطبري ١ : ١٩٦٤

ص ٣٤ س ٣ــ١١ (قال دثار بن شيبان) الابيات الآتية رواها في نقائض جرير والفرزدق (ص ٧١٤) ونسبها الى شيبان بن دثار النَّمَري. روى البيت الثاني: «بما اجترمت» ولم يروِ البيت الاخير

ص ٣٤ س ١٢ (عامر بن بَهْدلة) وفي نقائض جرير والفرزدق يدعى عامر بن أُحَيمر بن بهدلة

٨ عدي بن حاتم (٣٧—٤١)

لعدي بن حاتم الطائي اخبار كثيرة متفرّقة في كتب الادب وقد ذكرنا منها ما هو أثبت واصدق. راجع ايضاً العقد الفريد لابن عبد ربهِ (٣ : ١٤٨) ونهاية الارب للنويري (٣ : ١٥٨) وكتاب حسن الصحابة في اشعار الصحابة (ص ٣٨ــ٤٢)

ص ٣٩ س ١٢ــ١٧ (اجيبوا يا بني ثُعَل) هذه الابيات قد شرحها محمد موستارلي جابي زاده في حسن الصحابة (ص ٤٠ــ٤٢). وقد روى في البيت الثاني: من بعد النِقاء. قال: النقاء بالكسر واصلهُ مقصور.. وهو مخ العظام وشحمها من السِمَن

ص ٤٠ س ١٧ (كرم عديّ) ما رويناهُ هنا عن كرم عديّ نقلًا عن ابن قتيبة ذكرهُ ايضاً ابن عبد ربّهِ مرّتين في العقد في الجزء الاوّل (ص ١١٧) وفي الجزء الثالث (ص ١٣١). وقد روى البيت الثاني (١ : ٤١) : كنصل السيف سُلّ من الخلل. وروى البيت الثالث في الجزء الاوّل: «ليس تُعذَرُ بالعِلَلْ» وفي الجزء الثالث: ليس تعذر بالعذل. وروى البيت الرابع: «فان تفعلوا شرًّا»

١٠ النجاشي الحارثي (٤٣—٥١)

قد وقفنا للنجاشي على مقاطيع اخرى غير التي ذكرناها. فمن ذلك ما ورد لهُ في نقائض جرير والاخطل (ص ١٢٩) يهجو بني العَجْلان (من الطويل):

اذا اللهُ عادى اهلَ لؤمٍ ورقّةٍ فعادى بني العجلانِ رَهطَ ابنِ مُقْبِلِ
قُبَيِّلةٌ لا يَغْدِرونَ بذمّةٍ ولا يَظْلِمون الناسَ حبّةَ خردلِ
وما سُمّي العُجلانَ إلّا لقولهم خُذِ الصَّحْنَ فاحلُبْ ايّها العبدُ واعْجَلِ (١

وروى لهُ الجاحظ في البيان والتبيين (٢ : ٧٤) قولهُ لام كثيّر ابنة الصلت (من الطويل) :

ولستُ بهنديٍّ ولكنّ ضَيقَهُ على رجلٍ لو تعلمينَ مُزيرِ (٢
وأَعْجَبني للسَّوْطِ والنَّوْطِ والعصا ولم تُعجِبيني خُلَّةَ لأميرِ

وفي الاخبار الطوال للدينوري ما رواه للنجاشي (ص ١٨٥) يذكر قتالًا جرى بين جَعْدة بن هبيرة وعتبة بن ابي سفيان في صفّين فانهزم عتبة وقال النجاشي (من البسيط) :

انَّ شَتْمَ الكريمِ يا عُتْبَ خَطْبٌ فاعْلَمَنْهُ من الخطوبِ عظيمُ
أُمُّهُ امُّ هانئٍ وابوهُ من لُوَيِّ بن غالبٍ لَعميمُ
انّهُ لَلْهُبَيْرَةُ بن ابي وَهْبٍ أَقرَّت بفضلهِ مخزومُ

وقال ايضاً (من البسيط) :

ما زِلْتَ تنظرُ في عِطفَيْكَ أُبَّهَةً لا يرفعُ الطَّرْفَ عنك التِّيهُ والصَّلَفُ
لَمّا رأيتَهمُ صُبْحاً حَسِبْتَهمُ أُسدَ العرينِ حمى أشبالها الغَرَفُ (٣
ناديتَ خيلَكَ اذ عضَّ السيوفُ بها عُوجي اليَّ فما عاجوا وما وقفوا
هلّا عطفتَ الى قتلى مصرَّعةً منها السَّكونُ ومنها الأَزدُ والصَّدَفُ

---

١) ويروى . لقيلهم . . خذ القَعْبَ

٢) الضَّيْق الشكّ . والمُزير الدافع على الزيارة ٣) الغَرَف انواع من الشجر

قد كنتُ في منظرٍ عن ذا ومُستَمعٍ يا عُتْبَ لولا سَفاهُ الرأي والتَّرَفُ

وروى لهُ الدينوري ايضاً (ص ١٩٨) قولهُ يمدح الاشتر لمَّا قاتل اهل الشام وردَّ لواءَهم (من المتقارب):

رأيتُ اللواءَ كظِلِّ العُقابِ يُقحِمُهُ الشَّامِيُّ الأخْزَرُ

دَعَوْنا لهُ الكبشَ كَبْشَ العِراقِ وقد خالط العسكرَ العسكرُ

فردَّ اللواءَ على عَقْبِهِ وفازَ بحُظْوَتِها (١ الأَشْترُ

وجاء في كتاب وقعة صفّين بعد البيت الاوَّل:

كليثِ العَرين خِلالَ العَجاج وأقْبَلَ في خيلِهِ الأَبترُ

ثم زاد في آخرها:

كما كان يفعلُ في مثلها اذا ثابَ مَعْصَوصِبٌ مُنْكَرُ

فان يَدْفَعِ اللهُ عن نفسِهِ فحظُّ العراقِ بها الأَوْفَرُ

اذا الأَشْترُ الخيرُ خَلَّى العراق فقد ذهب العُرْفُ والمُنكَرُ

وتلك العراقُ ومن قد عرفتَ كفَقْعٍ تبيَّنَهُ القَرْقَرُ

الصفحة ٤٤ س ١٧ (تعاف الكلاب) روى الحصري في زهرة الآداب (هامش عقد الفريد ١ : ٢١) : «وتأكلُ من عوفِ بن كعبٍ بن نهشل

ص ٤٥ س ١٨ (يا أيُّها الملك) ورد في ديوان الاخطل (ص ١١٢) البيت الاخير من رائيتهِ منسوباً للنجاشي في هذه القصيدة وهو البيت الآتي:

قد أقسم المجدُ حقًّا لا يحالفهم حتّى يحالفَ بطنَ الراحةِ الشعَرُ

ص ٤٨ س ١٥ (دعاً يا معاويّ) هذان البيتان اللذان نقلناهما عن المبرّد رواهما

١) ويروى: بخطوتها

الدينوري في الاخبار الطوال (ص ١٧١) وقال انَّ النجاشي قالها ردًّا على ابيات كعب ابن جُعَيل ثمَّ أَلحقها بخمسة ابيات أُخر وهي:

يَرَوْنَ الطعانَ خلالَ العَجاجِ وضربَ القَوانسِ في النَّقْعِ دِينا
همُ هزموا جَمْعَ جمعِ الزُّبَيْرِ وطَلْحَةَ والمَعْشَرِ الناكثينا
فان يكرَهِ القومُ مُلْكَ العراقِ فقدماً رَضِينا الذي تكرهونا
فقولوا لِكَعْبٍ اخي وائلٍ ومَن جعل الغَثَّ يوماً سَمينا
جَعلتُم عليًّا وأَشياعَهُ نظيرَ ابن هندٍ أَما تستحونا

ومما يروى للنجاشي ايضاً ما قالهُ يوم صفّين لما عزل عليّ الاشعثَ بن قيس واقام في مقامه حسَّان بن مخدوج (راجع كتاب وقعة صفّين (ص ١٠٠) من الطويل):

رَضِينا بما يَرْضى عليٌّ لَنا بهِ وان كان فيما يأتِ جَدْعُ المناخرِ
وصيُّ رسولِ اللهِ من دون اهلهِ ووارثهِ بعد العمومِ الاكابرِ
رَضِي بابن مخدوجٍ فقُلْنا الرِضى بهِ رضاكَ وحسَّان الرِضى للعشائرِ
وللأَشعثِ الكندي في الناس فضلُهُ توارَثَهُ من كابرٍ بعد كابرِ
متوَّجُ آباءٍ كرامٍ اعزَّةٍ اذ المُلْكُ في اولاد عمروِ بن عامرِ
فلولا اميرُ المؤمنين وفضلُهُ علينا لَأَشجَيْنا حُرَيْثَ بن جابرِ
فلا تطلبنَّا يا حُرَيْثُ فانَّنا لقومك درْءٌ في الامور الغوامرِ
وما بأبنِ مخدوجِ بن ذُهلٍ نقيصَةٌ ولا قومُنا في وائلٍ بعوائرِ
وليس لنا الَّا الرضى بابنِ حُرَّةٍ أَشمَّ طويلِ الساعدَيْن مُهاجرِ
على انَّ في تلك النفوسِ حزازةً وصدعاً يؤَّابيهِ اكفُّ الجوابرِ (١

١) آباهُ يؤَّابيهِ جعلهُ يمتنع عنهُ

الصفحة ٥٠ س ١ــ٧ (وماء كلون الغِسْل) هذه الابيات التي يخاطب فيها النجاشي الذئبَ تُروى في عدَّة كتب كالمحاضرات للراغب الاصفهاني (٢ : ٢٩٢) وكشرح شواهد المغني للسيوطي (ص ٢٣٩) وغيرهما . روى الراغب (ر) البيت الاوَّل : وماء كلون البَوْل . . . جاوَزْتُهُ مَحْلٍ . ورواهُ السيوطي (س) :

وماء قديم العهد بالورْدِ آجنٍ يخالُ رضاباً او سلافاً من العسلِ (كذا)

وروى س البيت الثاني : « لقيتُ . . . ضليعٌ » . وروى ر ، س البيت الثالث : « هل لكَ في اخٍ » ثمَّ روى ر « يؤاسي عليك بلا اثرٍ ولا نحلٍ » . وروى ر البيت الرابع : « لم يأتهِ تبعٌ » . وروى س البيت الخامس . « ولا مستطيفهُ » ثمَّ روى ر : « وهاكَ اسقني » . وروى ر البيت السادس : « من السَّخْل » . والصَّغو الجانب والسَّجْل الدلو . وروى ر البيت السابع : « مُطْرب « فاستعوى . . وعدتُ وكلٌّ »

١١ جُحَيَّة بن المضرّب (ص ٥١ــ٥٥)

قد التبس علينا وعلى غيرنا هذا الاسم فرويناهُ جُحَيَّة كما ورد في الاغاني الجزء الرابع (١١٨) وفي الجزء الحادي والعشرين (١٤ــ١٦) وفي فهارس الاغاني ولعلَّ الصواب حُجَيَّة بتقديم الجيم كما جاء في تاج العروس (١٠ : ٨٤)

ص ٥٤ س ١٨ــ١٩ (بمنتصحاتٍ) ويروى : بمنتضحاتٍ . « ولم يَدْعَ » والصواب : « ولم يَدَعْ »

ص ٥٥ س ٧ (يصونون احساباً) ويروى : إحساناً

١٢ امرؤ القيس بن عابس (ص ٥٦ــ٦٠)

ص ٥٩ س ١٨ــ١٩ (رُبَّ خِرْقٍ) هذا البيت من الخفيف لا من الرمل وقد ورد في معجم البلدان لياقوت (٣ : ٨٢٩) ذكرهُ هناك مع بيتين آخرين هكذا :

رُبَّ خِرْقٍ مثل الهلال وبيضا ءَ حصانٍ بالجزع من عمواسِ

قد لقُوا اللهَ غيرَ باغٍ عليهم واقاموا في غير دار ائتناسِ
فصبرنا صبرًا كما عَلِمَ اللهُ م وكنّا في الصبر أهلَ اياسِ

١٣ نائلة بنت الفرافصة (ص ٦٠–٦٣)

جاء في نقائض جرير والفرزدق (ص ١٩٠) «انّ ليلى بنت الاحوص هي امُّ بسطام بن قيس واخت فرافصة الكلبي» فهي اذن عمّة نائلة بنت الفرافصة

الصفحة ٦٠ س ١١ (فتحنّثت) قد اصلح ابن عبد ربهِ (٣ : ٢٧٢) رواية الطبري فرواها : فتحنفت

— س ٢٠ (تحت ركابهم) اصلح : تحثُّ ركابَهم

ص ٦١ س ٢٢ (وتبكي قرابتي وقد غُيّبت) رواها ابن عبد ربهِ في العقد : « وتبكي صحابتي وقد ذهبت »

ص ٦٢ س ٢٢ (دعت بفهر فهتمت فاها) جاء في كتاب اخبار النساء لابن تيميّة (ص ٧٠) :

« انهُ لما قُتل عثمان رضَ وقفت على قبره امرأتهُ نائلة بنت الفرافصة الكلبي فترحّمت عليهِ ثمَّ انصرفت الى منزلها ثم قالت : اني رأيتُ الحزن يبلى كما يبلى الثوب وقد خشيتُ ان يبلى حزنُ عثمان من قلبي الخ . . . وخطبها معاوية فبعثت اليهِ اسنانها وقالت : أذات عروسٍ ترى . (وقالوا) لم يكن في النساء احسن منها مضحكًا »

١٤ مَيْسون الكلبيّة (ص ٦٣–٦٤)

ص ٦٤ س ١–٩ (لَبيتٌ تخفق الارواح . .) رُوي البيت الاوّل في غرر الخصائص (ص ٣٧) : « تخفقُ الارياحُ . ورُوي فيهِ البيت الخامس : « وبكرٌ يتبعُ الأطلال . . من بغلٍ رَدوفِ » . ورُوي البيت السابع : « من عِلجٍ عنيفِ »

١٥ ابو زُبَيد الطائي (ص ٦٥–٩١)

ص ٦٧ س ١٧ (اعطيهمُ الودّ) رواهُ السيد المرتضى في اماليهِ (٤ : ١٩٤) :
« اعطيهمُ الجهدَ مني بَلْهَ ما أسعُ »

الصفحة ٦٨ س ٢ـــ٣ (ابنٌ عِريسةٌ الخ) روى السيد المرتضى هذين البيتين:

أَبَنٌ عِرِيسَــةٌ عُنَّابُها أَشِبٌ ودونَ غايتِهِ مُستَوْرِدٌ شَرِعُ

شاسِي الهبوط زَنَاءُ الحامِيَين متى تَنْشَعْ بوادرُهُ يَحْدُثْ لها فَزَعُ

ص ٦٩ س ٦ـــ٢٤ (تذكار الأسد . . . .) هذا الوصف للأسد لابي زُبيد الطائي ورد في تآليف عديدة غير التي ذكرناها كأمالي السيد المرتضى (٤ : ١٩٤ــ١٩٥) وكتاب الف باء البلوي (١ : ٣٨٥ــ٣٨٦) مع اختلافات في الروايات بعضها حسنٌ وبعضها تصحيف نكتفي بالاشارة

ص ٧١ س ٤ (كالحجر المُلَملَمِ) رواهُ البلوي: «كالحجر المثلَّمِ»
ـــ س ١٣و١٧ (قُضاقِضٌ) رواهُ : «فُصاقصٌ» ـــ س ١٥ (للاقران هطّام) رواه : «هضّام»

ص ٧٢ س٥ (وعينانِ كالوَقبيَنِ . .) رواهُ الجاحظ في كتاب الحيوان (٤ : ١٤٦) «في ملءِ صخرةٍ ترى . . تسَعَّرُ»

ص ٧٦ س ١٦ـــ٢٠ (يا ليت شعري) وجدنا في كتاب الحيوان للجاحظ (٤ : ١٤٦ و٥ : ٦٩) هذين البيتين لعلّهما من اصل هذه القصيدة وفيهما وصف الاسد وهما :

كأنَّ عينَيهِ في وَقْبَــين من حجَرٍ قِيضا اقتناصاً بأطرافِ المنــاقيرِ

اذا تبهنَسَ يمشي خِلْتَهُ وَعِثاً وهتْ سواعِدُهُ من بعد تكسيرِ

ص ٧٨ س٣ (واستظلَّ العصفور) روى الجاحظ في كتاب الحيوان (٥ : ٧٣) : «واستكنَّ العصفور» ـــ س ٥ (من سموم) روى الجــاحظ : «كأنهــا نَفْحُ نارٍ سَجَرَتها الهُجَيْرَةُ العمَّاءُ»

ص ٨٠ س ٢ـــ٣ (تذبُّ عنهُ . .) رواهُ الجاحظ في كتاب الحيوان (٣ : ٩٨) : كذَوِّدِ العُرُسِ» ـــ وروى الشطر الاوَّل من البيت التالي: «اذا وَنى ونِيَةً دلَفْنَ لها»
ـــ س ٦ـــ٩ (ألا أَبلِــغْ . .) هذه الابيات من بحر الوافر لا الطويل. روى الشريشي في شرح المقامات (١ : ٧٢) البيت التالي (س ٨) :

فما انا بالضعيفِ فتظلموهُ ولا حظِّي اللقاءُ ولا الخسيسُ

ومنها بيتان روى اوَّلهما الجاحظ في كتاب الحيوان (٤ : ٩٥) وثانيهما ابو العلاء المعري في كتاب الغفران (ص ١٠٨):

يُحَجّنُ كالمحاجن في فتوحٍ يَقيها قِضّةَ الارض الدخيسُ
فثار الزاجرون فزاد منهم تِقرّاباً وصادفهُ ضَبيسُ

الصفحة ٨٢ س ١٥ الخ (خبرتنا الركبانُ) هذه الابيات ذُكرت في كتاب شواهد الكشاف (ك ص ١٠٠) وفي شرح شواهد المغني للسيوطي (ص ٢١٩). روى البيت الاوَّل في الكشاف: «خَبَّرَتْنا الركبانُ ان قد فخرتم وفرحتم»

ص ٨٣ س ٢ (هل علمتم) روى ك: «هل سَمِعتم من معشرٍ شافهونا»

ـــ س٥ (ثمَّ لما تشذَّرت وانافت) قال السيوطي في شرحهِ: «تشذَّرت رفعت الحرب ذَنَبها. وانافت رفعت رأسها

ص ٨٣ س ٨ (ولقد قاتلوا) جاء في شرح شواهد الكشاف بعد هذا قولهُ:

وحملناهمُ على صَعْبَةٍ زَوْ راءَ يَعلونها بغيرِ وِطاء

ـــ س ١٣ (ما اطافَ المُبسُّ) روى ك: «ما اطافَ الخميسُ»

ص ٨٩ س ١٠ (من يَكدني..) رُوي: «بشيء» وهو تصحيف. وهذا البيت يستشهد بهِ النحويُّون لبيان كون فعل الشرط يكون مضارعاً وجوابهُ ماضياً

انتهت الملحوظات على القسم الاوَّل من شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام



القسم الثاني

ملحق بالشعراء الامويين

١ هدبة بن الخشرم (٩٥–١١٣)

الصفحة ٩٦ س ٢٠ــ٢١ (زيادة بن زيد) صهر هُدْبة بن الخشرم رُويت لهُ في كتاب مجموعة المعاني (طبعة الجوائب ص ٤٢) ابيات عينية حسنة اوَّلها :

وقد ابرزَتْ مني الحروبُ مُجرّبًا صليبًا على وقع الحروب مُشيَّعَا

ص ١٠١ س ٢ــ١٢ (ألا يا قومي) وردت هذه الابيات ايضاً في كتاب الالفاظ لابن السكيت (ص ٤٥٨) وفي شرح شواهد المغني السيوطي (س) (ص٩٦). س٤ (فلا تتقي) روى السيوطي الشطر الاوَّل : « فلا ذا جلالٍ هِبْنَهُ لجلالهِ ــ س٧ (عمدتُ) روى س : « لا يعيّر . ولا يُسَبُّ بهِ قبري» ــ س١١ (رَمَينا) روى س : « فصادَفَ سَهمُنا منيّة نفسٍ» ــ س ١٢ (وراءك من معدّ) روى س : من مَعْدٍ

ص ١٠٤ س١ (يا ويل نفسي على غدٍ) روى س (ص٩٧) : يا لهف نفسي

ــ س ١٢ (لقد زعمت) ذكر ابن السكيت في اصلاح المنطق اوَّل هذه الابيات :

أَتنكرُ رسمَ الدارِ ام انتَ عارفُ أَلا لا بلِ العرفانُ فالدمع ذارِفُ

وفيها :

ترى وَرَق الفتيانِ فينـا كأنَّهم دراهمُ منها جائزاتٌ وزائفُ (١

١) قال في شرحهِ ورَقُ القوم أحداثهم . والورق المال والدراهم ايضاً

راجع ايضاً ابن السكيت في تهذيب الالفاظ (ص١٢١)

الصفحة ١٠٤ س ١٦ (هدبة بعث الى عائشة) وفي شرح شواهد المغني للسيوطي (ص٩٧) : « بعث الى امّ سلمة »

ص ١٠٥ س٣ (ابن امّ كلاب) قال ابن الاثير في المرَّصع (ص ١٨٨ــ١٨٩) : ابن امّ كلاب هو رجل من المدينة عشقَتْهُ حُبّى المدنيَّة فتزوَّجتهُ على كبر سنّها فضُرب بها المثل

ص ١٠٦ س١٤ (وليس اخو الحرب . .) رواهُ الاصبهاني في الراغب (٢ : ١٠٣) : « اخو الحرب الغليظة . . . اذا زَيَّنتْهُ الحربْ . . . »

ص١٠٧ س١٧ (انَّ حزناً انبدا بادئٍ شرّ) رُوي : «انَّ حزناً منكما اليوم يسرّ »

ص ١٠٩ س١٧ (طربتُ . . .) وردت ابيات من هذه القصيدة في العقد الفريد لابن عبد ربهِ (٣ : ١٨٢)

ص ١١٠ س٣ (فيأمن خائف) رواهُ في العقد : « ويأتي اهلهُ النائي الغريبُ

ص ١١١ س ١٤ (وبعض رجاء المرء) رُوي البيت في نهاية الارب للنويري (٣ : ١١١) لهرمة بن الخشرم بتصحيف اسم هُدبة وهو يروي : « ليس نائــلا عناء وبعضُ اليأس اعفى »

٢ موسى بن جابر (ص ١١٣-١١٨)

في كتاب محاضرات الراغب الاصبهاني (١ : ١٥٧) ورد ذكر عمرو بن جــابر الحنفي اخي موسى وروى لهُ بيتاً في وصف عدوّ يكاشر عــدوَّه اذا حضرهُ (من الوافر) :

يكاشرني وأعلَم أَنْ كلانا (كذا) على ما ساء صاحبَهُ حريصُ

٣ شمعلة التغلبي (ص ١١٨-١٢١)

ص ١١٩ س ٢٠ (روى المبرّد هذا الخبر ونسبهُ الى عبد الملك) وهكذا وجدناه منسوباً الى عبد الملك في كتاب الوزراء والكتّاب للجهشياري المطبوع حديثاً (ص

١٨٩) وروى البيت الاوَّل لشمعلة : « وضربةٍ بالرجـل متى تهافتت . . . ولا نكر »
وروى البيت الثاني : « وانَّ امير المؤمنين وفعلهُ »

٤ اعشى بني تغلب (ص ١٢٢-١٢٩)

ذُكر في لسان العرب (١٧ : ٨٠ في مادَّة نوم) بيت لعمرو بن الأَيهم وهو

نَعَيْماني بشربةٍ من طِلاءِ نِعمَتَ النَّيمُ من شبا الزمهريرِ

قال المصحح في الهامش : « قولهُ الايهم في التكملة في مادَّة هيم ما نصّهُ : واعشى بني تغلب اسمهُ عمرو بن الاهيم » قلنا : لم نجد في غير هذا المكان ما يؤيد زعم المصحح . راجع ما قلناهُ عن اسم الاعشى التغلبي ونسبهِ (ص ١٢٢)

ومما يروى للتغلبي في الصحاح وفي اللسان في مادَّة « غما » قولهُ (من الوافر) :

وقافيةٍ كأنَّ السمَّ فيها وليس سليمُها ابدًا بنامي
صرفتُ بها لسانَ القومِ عنكم فخرَّت للسنابك والحوامي

قال : النامي الناجي . وروى لهُ النويري في نهاية الارب (٢ : ٥) (من الطويل) :

وكانوا أُناساً ينفحون فأصبحوا واكثرُ ما يعطونك النظرُ الشَّزْرُ

٥ . اعشى بني ابي ربيعة (ص ١٢٩-١٣٥)

الصفحة ١٣٠ س٣ (دخل على عبد الله) والصواب : على عبد الملك بن مروان الخليفة الاموي . وقد كنَّى الخليفةُ الاعشى بابي عبد الله

— س١٨ (قدم اعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان) زاد ابن عبد ربهِ في العقد الفريد (١ : ١١٨) : وعن يمينهِ الوليد وعن يساره سليمان فقال لهُ عبد الملك : ماذا بقي يا ابا المغيرة ؟ قال : مضى ما مضى وبقي . وانشأ يقول . . .

— س٢٠ (وما انا في امري) روى في العقد الفريد : « وما انا في حقي »

ص ١٣١ س ١—٤ (ولا مسلمٍ مولاي) روى في العقد : « من سوء ما جنى . . من سوء ما اجني » — س٢ روى في العقد : « وانَّ فؤادي » — س ٣ وروى الشطر الاوَّل :

« وفضليَ في الاقوام والشعر انني» — س٤ روى: « واني وان فضّلتُ» ثم روى قول عبد الملك لولديهِ الوليد وسليمان: « أتلوماني على هذا ؟ »

١٠ القطاميّ التغلبي (ص ١٩١–٢٠٣)

الصفحة ٢٠٠ س ٤—١٤ (واني وان كان المسافر) وردت هذه الابيات في زهر الاداب للحصري (الطبعة الجديدة ٣ : ٧١—٧٢). روى البيت الثاني: « يخبر ما رأى» وهو تصحيف — س ٦ روى الحصري: « لمخبركَ الأنباء — س ٧ روى: «تلفّتُ في ظلّ » — س٩ (تصلّى) روى بعد هذا البيت:

فجئتُ اليها مِن دلاصٍ مُناخةٍ ومن رجُلٍ عاري الاشاجعِ شاحبِ

سرى في جليد الليل حتى كأنّما تخرَّمَ بالاطرافِ شوكُ العقاربِ

تقول وقد قرَّبتُ كُوري وناقتي اليك فلا تُذعِرْ عليَّ ركائبي

ص ٢٠١ س ١—٣) (من المشتري القدِّ) روى الحصري: من المشترين القَدْر — س٢ روى: عليَّ مَبيت السوء

١٣ العجّاج بن رؤبة (ص ٢٢٨–٢٣٨)

ص ٢٣٠ س٢ (الحمد لله الذي اعطى الشبر) هو البيت الذي اسندنا اليهِ قولنا بانَّ العجاج كان يدين بالنصرانيَّة في اوائل حياتهِ. وقد اعترض علينا السيد المغربي في جريدة الف باء الشاميَّة (عدد ٩ حزيران ١٩٢٥) وأجبنا على اعتراضهِ وبيَّنَّا لجنابهِ الاسباب الاربعة التي حملتنا على نظمهِ بين شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام (في المشرق ٢٣ [١٩٢٥]: ٥٥٨) ثم فيه ٢٤ [١٩٢٦]: ٨٠)

ص ٢٤٨ س ٧ (فما فُجع الاقوام من رزئها لك) هذا تصحيف والصواب: من رُزْء هالكٍ»

القسم الثالث

ملحق بشعراء الدولة العباسية

٥ الموصلي النصراني (ص٢٥٤)

ص ٢٥٤ س ١٣–١٦ (عديٌّ ونعيمٌ) هذه الابيات التي رواها البيهقي للموصلي النصراني وجدناها في نفح الطيّب للمقّري (١: ٥١٣) منسوبة الى شاعرة نصرانيَّة قال: «انشدنا الامام اللغوي رضيُّ الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطبيّ لزينب بنت اسحاق النصراني الرَّسْعَنيّ» نذكرها هنا بحرفها ويا ليتهُ زادنا علماً عن زينب النصرانية المذكورة:

عَديٌّ وتَيْمٌ لا أُحاوِلُ ذِكْرَهم ... بسُوءِ ولكنّي مُحِبٌّ لهاشمِ

ومـا يعتريني في عليّ ورهطِهِ ... اذا ذُكِروا في اللهِ لومةُ لائمِ

يقولون: ما بالُ النصارى تحبُّهم ... واهلُ النُّهى من أَعْرُبٍ وأَعاجمِ

فقلتُ لهم: اني لَأَحسَبُ حبَّهم ... سرى في قلوب الخَلْقِ حتى البهائمِ

٦ بشر بن هارون (ص ٢٦٢–٢٦٣)

جاء في كتاب جامع التواريخ لابي علي المحسن التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ (٩٩٤م) (في الصفحة ٥٢ ed. Margoliouth): أَنشدني ابو نصر بشر بن هارون الكاتب النصراني البغدادي لنفسهِ في ابي رفاعة بن كامل احد خلفاء القضاة ببغداد على سوادها (من الوافر):

قضى شعري على القاضي بحُكمٍ ... اجاب اليهِ مصفوعاً مُذالا

ولو لم يَستجبْ لنَتَفْتُ منه ... سِبالًا ان وجدتُ لهُ سبالا

ونتفُ سبالهِ شيءٌ مُحالٌ ... لأنَّ الخَلْقَ صيَّرهُ مُحالا

قال: وانشدني انفسهِ في شعبان سنة ٣٥٩هـ (٩٧٠م) في رئيسين صُرف احدهما بالآخر (من الوافر):

مضى من كان يُعطينا قليلًا واوفى من يَشِحُّ على القليلِ
واحسَبُ ان سيملكنا مُكدٍّ متى اطَّردَ القياسُ على الدليلِ
فقل للفاطميّ لقد تمادت اناتك في الحلول وفي الرحيلِ
فحُثَّ السَّيْر علَّ الله يهدي شِفاءً منك للبلدِ العليلِ

١٠ عيسى بن فرُّخنشاه (ص ٢٦٣—٢٦٦)

ص٢٦٤ س٢٢ (ذكر لهُ الصابي) والصواب: ذكر لهُ الصولي. وقد جاء في كتاب الاعجاز والايجاز للثعالبي (طبعة مصر ١٨٩٧ ص ١٣): عيسى بن فرُّخنشاه وزير المعتز كان يقول: القلمُ الرديءُ كالولد العاقّ. قال ابن عبَّاد: وكالاخ المُشاقّ. وكان عيسى يقول لا اشكر لحظهُ واشكو لفظهُ

١٢ ابن بطلان المتطبّب (ص ٢٦٦—٢٧٧)

ذكر محمَّد افندي راغب الطبَّاخ في تاريخ حلب (٤: ١٩٤—١٩٦) فصلًا في عناية ابن بطلان ببناء البيمارستانات بانطاكية وحلب

ص ٣٧٠ س٩ (وفاة ابن بطلان) ذكرنا اختلاف الكتبة في تعيين سنة وفاة ابن بطلان بين السنة ٤٤٤ و٤٦٣هـ (١٠٥٢—١٠٧٠م). وذكر الطبَّاخ في تاريخ حلب (٤: ١٩٦) انَّ ابن بطلان توفي بانطاكية يوم الجمعة ٨ شوَّال سنة ٤٥٨ (١٠٦٦م) والله اعلم

ومن الشعر المنسوب الى ابن بطلان ميميَّة في وصايا طبيَّة اوَّلها:

احفظ بنيَّ وصيَّتي واعمل بها فالطبُّ مجموعٌ بنصِّ كلامي

رواها ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١: ٢٩١) قال انها نسبت الى الرئيس ابن سينا والى ابن بطلان والصحيح انها لمحمد بن محليّ بن الصائغ العنتري

١٤ عون الراهب (ص ٢٧٨–٢٧٩)

وردت في كتاب ادب الكاتب للصولي (ص٨١) ابيات في القلم انشدها عون ولعلّهُ عون الراهب المذكور هنا

١٩ امين الدولة ابن موصلايا (ص ٢٨٣–٢٨٨)

هذا ما كتبهُ ابن الميسّر في آخر الجزء الثاني من اخبار مصر (ص ٩٩ .ed : Massé)

« امين الدولة ابو سعد العلاء بن ابي علي الحسن بن وهب بن الموصلايا كاتب الانشاء بدار الخلافة ببغداد. كتب للقائم والمقتدي والمستظهر (أصلح : وللمقتدي والمستظهر) خمساً وستين سنة وكان ابتداء خبره منه في ايّام القائم سنة ٤٣٢ ومات في ١٨ جمادى الاولى سنة ٤٩٩ ﻫ (١١٠٦م) بعد ما أُخر وكان عَمَى (عِلي) على ابن اخيهِ ابي نصر وكان نصرانيًا فاسلم في ايام المقتدي على يدهِ ولم يزل موقّرًا وناب في الوزارة ولهُ شعر وكان قد جمع من (بين) حسن الخطّ والبلاغة ولد ليلة السبت ١٦ شوّال سنة ٤١٢ﻫ (١٠٢١م)

٢١ ابو غالب ابن الاصباغي (٢٩١–٢٩٢)

اسمهُ عبيد الله بن هبة الله كما جاء في وفيات الاعيان لابن خلكان (٢ : ١٧)
الصفحة ٢٩١ س٢١ (عقرتهم معقورةٌ) ذكر المقري في نفح الطيب (١ : ٤٤٦) ابياتاً لابي بكر محمّد بن زهر في وصف الخمرة :

ومُوَسّدين على الأكُفّ خدودَهم قد غالَهم نوم الصباح ونالَني
ما زلتُ اسقيهم واشربُ فضلهم حتّى سكرتُ ونالهم ما نالني
والخمرُ تعلمُ كيف تأخذ ثأرها اني أملْتُ إناءَها فأمالني

ثمّ قال «وزعم ابن خلكان (٢ : ١١) انّ ابن زهر ألمّ في الابيات المذكورة

يقول الرئيس ابي غالب عُبيد الله بن هبة الله» ثمَّ ذكر الابيات وروى البيت الاوَّل: «عاقرتُهم مشمولةً» وروى البيت الثاني: «ذكرتْ حفائدَها»

٢٨ ابو الفرج يحيى ابن التلميذ (ص ٣١٠—٣١٤)

وصف ياقوت في معجم الادباء أبا الفرج بن التلميذ فقال (٧: ٢٨٢): كان اديباً شاعرًا وكان مقيماً باصبهان مقرَّباً عند الامراء والاعيان وقصدهُ الشريف ابن الهبَّاريَّة الاديب الشاعر فأكرمهُ وحباهُ وحصل لهُ بواسطتهِ من الامراء والاكابر مالٌ عظيم فمدحهُ بعدَّة قصائد. توفي ابو الفرج معتمد الملك سنة ٥٥٩ (١١٦٤ م)

ص ٣١١ س١٣ (فما ان تُفارِقُ) روى في معجم الادباء «فما ان تفارقهُ» (كذا) وقد روى لهُ ياقوت هناك هذين البيتين (من السريع):

ما هذه الدنيا لطالبها إلّا بلاءٌ وهو لا يدري
اذا اقبلَتْ فسدَتْ امانتُهُ او ادبرَتْ شغلَتْهُ بالفكرِ

٢٩ هبة الله بن التلميذ (ص ٣١٥—٣٣٤)

وصفهُ ياقوت في معجم الادباء (٧ : ٢٤٣) وصفاً جميلًا فذكر معرفتهُ باللغات الفارسيَّة واليونانيَّة والسريانيَّة وتضلُّعَهُ بالعربيَّة وذكر نظمهُ الفائق وتقدُّمهُ عند الخلفاء وعلوّ مكانتهِ لديهم وانهُ عُمّر طويلًا نبيه الذكر جليل القدر وانهُ كان مقدَّم النصارى في بغداد ورأسهم ورئيسهم وقسيسهم وكان حسن العشرة كريم الاخلاق ذا مروءة وسخاء حلو الشمائل كثير النادرة وكان يميل الى صناعة الموسيقى ويقرّب اهلها» وذكر لهُ شعرًا (٢٤٦—٢٤٧)

٣٤ يحيى بن ماري (ص٣٤٧—٣٥١)

ذكرهُ ياقوت في معجم الادباء (٧: ٢٩٥) وقال فيهِ انهُ توفي بالبصرة ثمّ روى لهُ في الاقتصاد (من الكامل):

نعمَ المعينُ على المروءة للفتى ... مـالٌ يصونُ عن التبـذّلِ نفسهُ
لا شيءَ انفعُ للفتى من مـالـهِ ... يقضي حوائجـهُ ويجـلبُ أُنْسَهُ
واذا رمَتْـهُ يـدُ الزمان بسهمـهِ ... غدتِ الدراهمُ دون ذلك تُرْسَهُ

(قال) ولهُ ايضاً (من الكامل) :

لاموا على صَبِّ الدموع كأنَّهم ... لا يعرفون صبـابتي وولوعي
كُفُّوا فقد وعَدَ الحبيبُ بزورةٍ ... ولـذا غسلْتُ طريقـهُ بدموعي

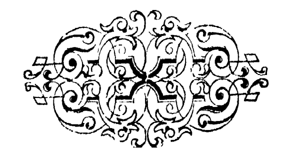
وروى ايضاً (من الخفيف) :

نفرَتْ هندُ من طـلائعِ شيبي ... واعترَتْهـا شآمـةٌ من وُجومي
هكذا عـادةُ الشيـاطين يَنْفُرْ ... نَ اذا مـا بدَتْ نجومُ الرُّجومِ

٣٥ بنو مماتي النصارى الاقباط (ص ٣٥١-٣٥٩)

ذكر محمَّد افندي راغب الطبَّاخ في تاريخ حلب(٤: ٣٢٢) اسعدَ بن مماتي واتسع في ذكره وروى شيئاً من شعرهِ في وصف الثلج (ص ٣٢٧-٣٢٨)

انتهى



فهرس

القسم الثالث من شعراء النصرانيّة

شعراء الدولة العباسية

La collection de ces fragments forme un ensemble assez suggestif et nous fait connaître l'activité de ces poètes, qui se sont essayés dans tous les genres cultivés par leurs congénères : épîtres dédicatoires, odes diverses, élégies, satires, poésies morales ou badines, et cela parfois avec finesse et bonheur. C'est ce qui leur a valu l'honneur d'être cités par les auteurs musulmans, qui d'ordinaire n'ont de préférence que pour ceux de leur culte. Cela explique aussi pourquoi dans leur choix, ils ont omis tout ce qui porte une trace de Christianisme.

Nous avons aussi rangé parmi les chrétiens quelques poètes, contraints par des mesures vexatoires de passer à l'Islâm, de l'aveu même des historiens musulmans.

Ce fascicule se termine par un certain nombre d'additions, de notes et de rectifications, suggérées par des publications récentes ou de nouvelles recherches; elles embrassent les trois Périodes étudiées jusqu'ici, depuis l'hégire jusqu'à la fin de la Période Abbasside.

Les Poètes chrétiens des époques postérieures feront l'objet d'études subséquentes.

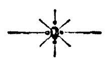
Beyrouth
3 *Décembre* 1926.



LES POÈTES ARABES CHRÉTIENS APRÈS L'ISLAM

3e FASCICULE

Période Abbasside



C'est un nouveau spécimen de Littérature arabe chrétienne que nous offrons à nos lecteurs d'Orient et aux Orientalistes d'Europe. Il fait suite aux deux fascicules précédents et contient les notices et les poésies de 44 auteurs chrétiens qui ont fleuri sous le règne des Califes abbassides en Syrie, en Egypte ou en Mésopotamie.

Sans doute beaucoup de ces poètes n'ont ni le renom, ni le génie poétique ou la fécondité de leurs contemporains de l'Islâm ; nous ne retrouvons parmi eux aucun poète de la valeur d'Aḫṭal ou de Qaṭâmî ; mais ils ne méritent pas moins la reconnaissance de la Littérature arabe classique, qu'ils ont cultivée avec soin, malgré le peu de moyens dont disposaient les chrétiens au Moyen-Age.

Je vais plus loin ; je dirai même qu'ils méritent d'autant plus notre reconnaissance, que leurs œuvres ne sont que les épaves d'un grand naufrage où ont péri de riches trésors littéraires soit à cause de l'état d'avilissement où s'est trouvé le Christianisme sous les dynasties musulmanes, soit par la négligence des chrétiens à recueillir les productions littéraires de leurs coreligionaires, soit surtout par la perte des bibliothèques chrétiennes, détruites par les guerres, le pillage, l'incendie des couvents et plus encore par le fanatisme religieux de leurs adversaires.

Ce qui est certain c'est que nous n'avons là que les faibles restes d'un héritage poétique aujourd'hui perdu. Ce sont de simples fragments éparpillés dans les ouvrages d'auteurs musulmans, noyés dans leurs récits et d'où il a fallu les extraire et non sans peine, comme des perles de leur nacre.